

SOCIO ECONOMIC ELEMENTS
in the Writings of Abdul Rahman Muneef,
With Special Reference to His Quintet :
Mudn Almilh – Cities of Salt

The Thesis is submitted to University of Calicut
for award of the Degree Of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

By
ABDUL MAJEED T.

under the supervision of
Dr. ABDUL MAJEED T. A.
Registrar, University of Calicut
and Research Supervisor



Department of Arabic, University of Calicut
KERALA, INDIA
www.universityofcalicut.info

2016

العناصر الاجتماعية والاقتصادية
في إبداعات عبد الرحمن منيف
بإشارة خاصة إلى خماسيته - مدن الملح

أطروحة جامعية لنيل
شهادة الدكتوراه

قدّمها
عبد المجيد تي.

تحت إشراف
الدكتور عبد المجيد ت. أ.
وكيل جامعة كاليكوت ومشرف بحوث



قسم اللغة العربية
جامعة كاليكوت، كيرالا - الهند
2016م / 1437 هـ
www.universityofcalicut.info

DECLARATION

I, Abdul Majeed T., hereby declare that the thesis entitled '**Socio Economic Elements in the writings of Abdul Rahman Muneef, with special reference to his quintet: Mudn Almilh – Cities of Salt**' is submitted by me for award of the Degree of **Doctor of Philosophy** of this university. The thesis is my own work under the supervision of **Dr. Abdul Majeed T. A.** Registrar University of Calicut and Research Supervisor, Department of Arabic of this University. The thesis has not been presented for any other degree of this university or any other universities.

Abdul Majeed T
(Research Scholar)

Dr. Abdul Majeed T. A.
(Research Supervisor)

Dr. A.B. Moideenkutty
(Head of the Department)

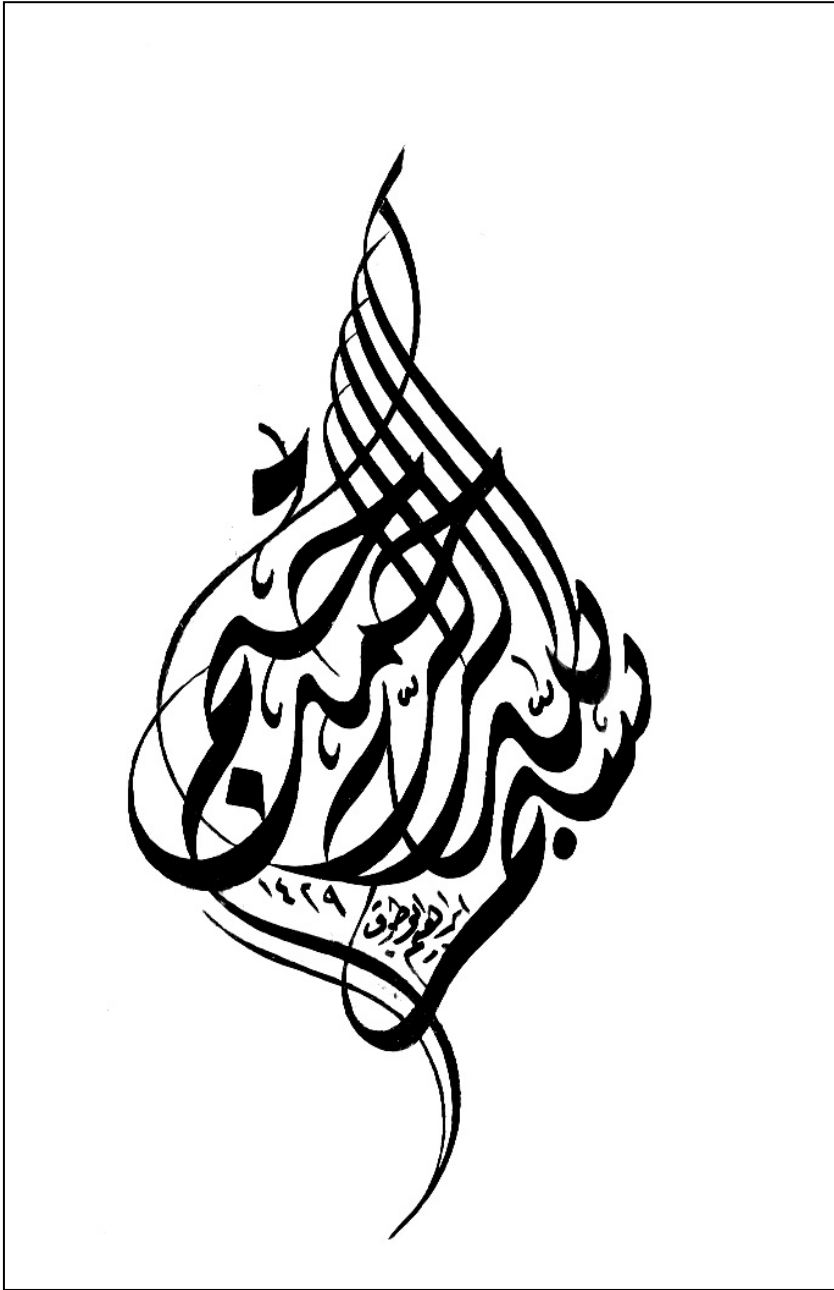
University of Calicut
Date : 30/06/2016

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled '**Socio Economic Elements in the writings of Abdul Rahman Muneef, with special reference to his quintet : Mudn Almilh – Cities of Salt**' is submitted for award of the Degree of **Doctor of Philosophy** of this University. The thesis is a genuine work carried out by **Abdul Majeed T.** under my supervision and the thesis has not been submitted for any other degree of this university or any other universities.

Dr. Abdul Majeed T. A.
(Research supervisor)

University of Calicut
Date : 30/06/2016



الإهداء

إلى أمي الحنون

وإلى أبي المرحوم

غفر الله لهما في الدارين

كلمة الشكر

الحمد لله الذي علّم الانسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد.

أولاً، أحمد الله ، وهو الذي وقّفتي لإتمام هذا البحث. فهذه حصيلة دراستي وبحثي عن 'العناصر الاجتماعية والاقتصادية في إبداعات عبد الرحمن منيف، بإشارة خاصة إلى خماسيته - مدن الملح'.

إنه من دواعي سروري أن أشكر لمشرفي الفاضل د/ عبد المجيد، ت.أ. وكيل جامعة كاليكوت، لأنه كان لا يألو جهداً لأن يرشدني نحو هدف المنشود بهذا البحث، مع أنه مشغول بالأمر الجامعية على مدار الساعة. وأشكر الأستاذ د/ أي. بي. محي الدين كوتي، رئيس قسم العربية، جامعة كاليكوت، وهو الذي قام بتوفير جميع التسهيلات في القسم، كما أشكر لكل من أساتذة هذا القسم.

وأشكر والدَيّ زوجتي، لو لم يكن دعمه ومساعدته لا أقدر على إتمام هذا البحث في هذه الصورة التي تراها، لأنه أرسل إلي جميع المصادر ومعظم المراجع من الإمارات العربية المتحدة، بواسطة عدلان حسن عدلان، أمين مكتبة، مركز المعلومات والدراسات البرلمانية، الإمارات العربية المتحدة، فأدعو الله لهم للخير والعافية.

ولن تغيب عن بالي تشجيعات أمي، وأبي المرحوم وأعضاء أسرتي الآخرين، على الدراسات والبحوث منذ طفولتي. وأذكر زوجتي، شكيلة لا تزال تُدكّرني بأنشطة البحوث ووقّرت لي التسهيلات للقراءة والكتابة. ولن أنسّ شكايات بناتي شميلة مريم و سنا زيادة و زينب الودود، وكم مرة دَعَيْنَ الله أن يتمّ بحث أبين في أسرع وقت ممكن، لأنهنّ ضحون لأجلي الكثير من راحة الحياة الأسرية.

وأقدم جزيل الشكر لـ إي. بي. إمبشي كويا، عميد كلية فاروق، و د/ علي نوفل، رئيس القسم العربية، كلية فاروق، وموظفي المكتب، في القسم العربي بجامعة كاليكوت، منهم الأخ شكور والأخ نصر الدين وموظفي كلية فاروق، وأمين مكتبة، بجامعة كاليكوت وكلية فاروق وكلية روضة العلوم.

وأقدم جزيل الشكر والعرفان لجميع أساتذتي ورفقائي وأصدقائي وزملائي الذين ساعدوني بهذا الصدد، وأخيراً أدعو الله أن يجعل هذه المحاولة العلمية مفيدة لطلاب الأدب العربي والباحثين وخاصة في فن الرواية العربية. والله الموفق وهو المستعان.

عبد المجيد تي

المحتويات

14	-----	:	المقدمة
22	-----	:	الباب الأول
23	-----	:	الفصل الأول
24	-----	:	المبحث الأول : أسرته
25	-----	:	المبحث الثاني : مولده
25	-----	:	المبحث الثالث : نشأته ودراسته
27	-----	:	المبحث الرابع : وفاته
28	-----	:	الفصل الثاني
29	-----	:	المبحث الأول : فترة الخمسينات
30	-----	:	المبحث الثاني : فترة الستينات
31	-----	:	الفصل الثالث
32	-----	:	المبحث الأول : عالمه الرواية
33	-----	:	المبحث الثاني : الخطوة الأولى
34	-----	:	المبحث الثالث : الخطوة الثانية
35	-----	:	المبحث الرابع : الخطوة الثالثة
36	-----	:	الفصل الرابع
37	-----	:	المبحث الأول : جنسيته السعودية
37	-----	:	المبحث الثاني : إسقاط الجنسية
38	-----	:	الفصل الخامس
39	-----	:	المبحث الأول : مذهبه الأدبي
39	-----	:	المبحث الثاني : أسلوبه
39	-----	:	المبحث الثالث : الواقعة السحرية
41	-----	:	الفصل السادس
42	-----	:	المبحث الأول : مكانته الأدبية
42	-----	:	المبحث الثاني : في الأدب العربي والعالمية
43	-----	:	المبحث الثالث : أدب السجون
45	-----	:	المبحث الرابع : الثقافة اليسارية

46	-----	الجوائز	:	المبحث الرابع
47	-----	مؤلفاته	:	الفصل السابع
48	-----	مؤلفاته الروائية	:	المبحث الأول
50	-----	مؤلفاته القصصية	:	المبحث الثاني
50	-----	الدراسات الأدبية	:	المبحث الثالث
51	-----	الدراسات الفنية	:	المبحث الرابع
51	-----	المقالات والدراسات	:	المبحث الخامس
53	-----	الكتب المترجمة	:	المبحث السادس
55	-----	الشهادات	:	الفصل الثامن
56	-----	في المطبوعات	:	المبحث الأول
58	-----	في ميزان النقد	:	المبحث الثاني
59	-----	الرواية في الأدب العربي	:	الباب الثاني
60	-----	تعريف الرواية	:	الفصل الأول
61	-----	تعريف عامة	:	المبحث الأول
62	-----	تاريخ حيّ وديوان حدائث	:	المبحث الثاني
64	-----	الرواية كفن جديد	:	الفصل الثاني
65	-----	نشأة الرواية	:	المبحث الأول
66	-----	نشأة الرواية العربية	:	المبحث الثاني
70	-----	تطور الرواية	:	الفصل الثالث
71	-----	الرواية العربية المترجمة	:	المبحث الأول
72	-----	الرواية العربية الحديثة	:	المبحث الثاني
73	-----	عناصر الرواية	:	الفصل الرابع
74	-----	الحدث أو الحدائث	:	المبحث الأول
74	-----	الشخصية	:	المبحث الثاني
76	-----	الزمان	:	المبحث الثالث
76	-----	المكان	:	المبحث الرابع
77	-----	الحوار	:	المبحث الخامس

77	-----	الأسلوب	:	المبحث السادس:
78	-----	الحكاية	:	المبحث السابع :
79	-----	أنواع الرواية	:	الفصل الخامس :
80	-----	رواية البطولة	:	المبحث الأول :
80	-----	رواية التاريخية	:	المبحث الثاني :
82	-----	رواية النفسية	:	المبحث الثالث :
82	-----	رواية الإجتماعية	:	المبحث الرابع :
83	-----	رواية الفلسفية	:	المبحث الخامس:
84	-----	رواية الأسطورية	:	المبحث السادس :
85	-----	المجتمع البدوي وتطوره	:	الباب الثالث
86	-----	البدو والبدواة	:	الفصل الأول
87	-----	دلالاته ومفهومه	:	المبحث الأول
88	-----	البدواة البدائية	:	المبحث الثاني
90	-----	خصائص البدوي	:	الفصل الثاني
91	-----	خصائص عامة	:	المبحث الأول
91	-----	أهم خصائصهم	:	المبحث الثاني
94	-----	هيئة البدواة	:	الفصل الثالث
95	-----	توزع البدواة الجغرافي	:	المبحث الأول
97	-----	الإختلافات بين القبائل البدوية	:	المبحث الثاني
99	-----	العناصر الاجتماعية والإقتصادية	:	الفصل الرابع
100	-----	العناصر الإجتماعية	:	المبحث الأول
101	-----	العناصر الإقتصادية	:	المبحث الثاني
103	-----	توطين البادية	:	الفصل الخامس
104	-----	بداية التطورات	:	المبحث الأول
107	-----	العرب في مجتمع ما قبل الدولة	:	المبحث الثاني
108	-----	اكتشاف النفط في العالم العربي	:	الباب الرابع
109	-----	اكتشاف النفط	:	الفصل الأول

110	-----	تنقيب النفط	:	المبحث الأول
112	-----	أوبك (OPEC)	:	المبحث الثاني
113	-----	العرب بعد اكتشاف النفط	:	الفصل الثاني
114	-----	المرحلة الجديدة	:	المبحث الأول
114	-----	التغيرات في قوة العمل	:	المبحث الثاني
115	-----	الماء والنفط	:	المبحث الثالث
117	-----	تأثير النفط	:	الفصل الثالث
118	-----	تأثيره على مهنة الغوص	:	المبحث الأول
118	-----	تأثيره على الصناعات	:	المبحث الثاني
119	-----	تأثيره على الإقتصادية	:	المبحث الثالث
120	-----	تأثيره على الإجتماعية	:	المبحث الرابع
121	-----	التغيير على الأسرة	:	المبحث الخامس
121	-----	التغيير على الطبقة	:	المبحث السادس
الباب الخامس : العناصر الاجتماعية في ابداعات عبد الرحمن منيف،				
125	-----	دراسة أعمال مختارة		
126	-----	الأشجار وإغتيال مرزوق	:	الفصل الأول
127	-----	خلاصة أحداث الرواية	:	المبحث الأول
128	-----	بنية الكتاب	:	المبحث الثاني
129	-----	تنقسم الرواية إلى أربعة أقسام	:	المبحث الثالث
131	-----	دلالة العنوان في الرواية	:	المبحث الرابع
133	-----	قصة حب مجوسية	:	الفصل الثاني
134	-----	خلفية الرواية	:	المبحث الأول
134	-----	خلاصة أحداث الرواية	:	المبحث الثاني
136	-----	بنية الكتاب	:	المبحث الثالث
136	-----	فصول الرواية	:	المبحث الرابع
137	-----	الأبعاد الاجتماعية	:	المبحث الخامس
138	-----	أسلوب الراوي	:	المبحث السادس

139	-----	عنوان الرواية	: المبحث السابع
140	-----	النهايات	: الفصل الثالث
141	-----	خلفية الرواية	: المبحث الأول
142	-----	بنية الكتاب	: المبحث الثاني
142	-----	فصول الرواية	: المبحث الثالث
144	-----	خلاصة أحداث الرواية	: المبحث الرابع
145	-----	قضية الرواية -	: المبحث الخامس
145	-----	بطل الرواية	: المبحث السادس
147	-----	الدراسات	: المبحث السابع
147	-----	أسلوب الرواية	: المبحث الثامن
147	-----	النهايات، في رأيهم	: المبحث التاسع
149		العناصر الاجتماعية والاقتصادية في رواية 'مدن الملح'	: الباب السادس
150	-----	مدن الملح، دراسة تحليلية	: الفصل الأول
151	-----	بنية الرواية	: المبحث الأول
155	-----	خلفية التأليف	: المبحث الثاني
157	-----	تسمية مدن الملح	: المبحث الثالث
159	-----	تشكيل الأحداث التاريخية	: المبحث الرابع
160	-----	الممنوع	: المبحث الخامس
160	-----	خلاصة القصة	: المبحث السادس
167	-----	الشخصيات في مدن الملح	: المبحث السابع
170	-----	الزمان والمكان في مدن الملح	: المبحث الثامن
173	---	العناصر الاجتماعية في مجال الحكومة	: الفصل الثاني
174	-----	صورة بناء السلطنة والحكومة	: المبحث الأول
178	-----	صورة الجيش	: المبحث الثاني
179	-----	صورة الدستور	: المبحث الثالث
179	-----	صورة المحكمة	: المبحث الرابع
180	-----	صورة الانقلاب	: المبحث الخامس
181	----	العناصر الاجتماعية في مجال العامة	: الفصل الثالث

182	-----	جدلية الذات والآخر	: المبحث الأول
186	-----	صورة حقوق الإنسان	: المبحث الثاني
188	-----	وضع التوازن الطبيعي	: المبحث الثالث
190	-----	وضع اللاتوازن الطبيعي	: المبحث الرابع
198	-----	دور متعب الهذال كعامل إجتماعي	: المبحث الخامس
199	-----	صورة المرأة	: المبحث السادس
204	-----	صورة الجنس	: المبحث السابع
205	-----	القمع من جهة السلطة	: المبحث الثامن
206	-----	مسألة الديمقراطية	: المبحث التاسع
206	-----	صورة البيع والشراء	: المبحث العاشر
208	-----	العناصر الاقتصادية	: الفصل الرابع
209	-----	مفهوم الاقتصادية	: المبحث الأول
209	-----	عناصر المشكلة الاقتصادية العامة	: المبحث الثاني
201	-----	العولمة الاقتصادية	: المبحث الثالث
212	-----	الأوضاع الاقتصادية الأولية في المجتمع البدوي	: المبحث الرابع
214	-----	الإنعاش الاقتصادي في بداية عصر الحديث	: المبحث الخامس
215	-----	البدو بعد ظهور الثروة النفطية	: المبحث السادس
216	-----	النفط ومدن الملح	: المبحث السابع
218	-----	رأي أهل وادي العيون عن المال ومجيء الأمريكين	: المبحث الثامن
219	-----	دور نائب شركة النفط	: المبحث التاسع
221	-----	صورة المنح الاقتصادية	: المبحث العاشر
221	-----	صورة تصريف الأموال لدى البدو	: المبحث الحادي عشر
223	-----	المساعدة المالية	: المبحث الثاني عشر
223	-----	الأزمة الاقتصادية	: المبحث الثالث عشر
225	-----		خاتمة البحث
226	-----		نتائج البحث
229	-----		المصادر والمراجع

صورة عبد الرحمن منيف وغلاف الرواية 'مدن الملح'



عبد الرحمن منيف



مدن الملح
الأخدود

II

عبد الرحمن منيف



مدن الملح
التي

I

عبد الرحمن منيف



مدن الملح
بادية الظلمات

V

عبد الرحمن منيف



مدن الملح
المنبت

IV

عبد الرحمن منيف



مدن الملح
تقاسيم الليل والنهار

III

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء. وبعد،

الأدب هو التعبير الإنساني عن مجمل حياته بما فيه العواطف والأفكار والخواطر. والرواية هي فن سرد الأحداث وهي أجمل فنون الأدب النثري. ودور الرواية، في تصوير حياة الإنسان، يأتي في الدرجة الأولى من بين أنواع الأدب العربي الجديد. وتحقق هذا لما تناولت الرواية الحديثة، القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية، موضوعا لأحداثها. فهذه الأطروحة "العناصر الاجتماعية والاقتصادية في إبداعات عبد الرحمن منيف بإشارة خاصة إلى خماسيته - مدن الملح" تُسلط الأضواء على أن الرواية لها قدرة سحرية لتنوير الأفكار والآراء أمام الجمهور. وقد أعد الباحث هذه الأطروحة لتقديمها إلى قسم العربية، جامعة كاليفورنيا، كيرالا، الهند، لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، في اللغة العربية وآدابها.

تحليل العنوان

العناصر : مُفرد عنصر وهو لغة : مادة وعامل، بمعنى كلمة (elements) في الإنجليزية. ويراد بها في هذا البحث القضايا والفكرات (issues and thoughts).

الاجتماعية : اسم مؤنث منسوب إلى اجتماع كما هو مصدر صناعي من اجتماع إذا لم يكن نعنا أو صفة. وهذه الكلمة تتعلق بجماعة أو مجتمع والعلوم الاجتماعية. هي مصطلح يقابل العلوم الإنسانية والطبيعية ، ويطلق على عدد من العلوم التي تعنى بالجوانب الثقافية والاقتصادية والسياسية للمجتمع ، كعلم الاجتماع وعلم السياسة والاقتصاد. وهذه الجوانب تُناقش في الأطروحة تحت مصطلح 'العناصر الاجتماعية' (social elements).

الاقتصادية : هي اسم مؤنث منسوب إلى اقتصاد كذلك هو مصدر صناعي من اقتصاد إذا لم يكن نعنا أو صفة. هي النشاط البشري الذي يشمل إنتاج وتوزيع وتبادل واستهلاك السلع والخدمات. وهي لغة التوسط بين الإسراف والتقتير. وهي اصطلاحاً المفهوم الذي تدرسه العلوم الاقتصادية. ويُستخدم مصطلح الاقتصاد كمرادف للادخار أو لخفض الإنفاق. وقد يكون الاقتصاد في الواقع نتيجة لزيادة الناتج المحلي الإجمالي (GDP, gross domestic product) و الناتج القومي الإجمالي (GNP, gross national product). فالعناصر التي تتولد من الاقتصادية والتي تُؤدي إليها، تُناقش وتُحلل مع القضايا الاجتماعية تحت مصطلح 'العناصر الاجتماعية والاقتصادية' (socio economic elements).

إبداعات : مفردة ابداع، هو إيجاد شيء غير مسبوق، يعني (innovation and creativity) في الإنجليزية. وتُعدّ في اللغة العربية كلمةً غنيّةً بالمعاني الاصطلاحية. وهي تُستخدم في مجال الأدب لعملية ذهنية واعية قوامها مجموعة من البنى الفنية واللغوية، فيأتي النص الجديد ليختزن خلاصة التجربة الإبداعية للمبدع الذي أنتج هذا النص. وتُراد بها الأعمال الأدبية في هذا بحث.

عبد الرحمن منيف : هو عبد الرحمن إبراهيم منيف (1933- 2004)، ينتمي إلى قرية قصيبا شمال مدينة بريدة بمنطقة القصيم الواقعة وسط المملكة العربية السعودية، يعد عبد الرحمن المنيف أحد أهم الروائيين العرب في القرن العشرين، لأنه استطاع في رواياته أن يعكس الواقع الاجتماعي والسياسي العربي.

إشارة خاصة : يعني بلفت النظر إليه، حيث ركّز الباحث على الدراسة وتحليل العناصر فيه. فأجرى الباحث دراسة خاصة عن 'مدن الملح' و أجرى دراسة عامة عن الأخرى من إبداعات منيف.

خماسية : هي اسم مؤنث منسوب إلى خماس ، وهو ما يتكون من خمسة أجزاء أو أشياء. وفي هذا البحث يُراد به خمسة أجزاء من رواية 'مدن الملح'.

مدن الملح : 'مدن الملح' هي رواية عربية للروائي السعودي عبد الرحمن المنيف ، تعد واحدة من أشهر الروايات العربية وتتألف هذه الرواية من خمسة أجزاء. وهي: التيه، الأخدود، تقاسيم الليل والنهار، المنبت، بادية الظلمات.

أهمية البحث ودوافع اختياره

كانت الرواية من أحب المقروءات لدى الباحث، عند ما كان يدرس في المدرسة الثانوية، بعد ما تأثر برواية مليالمية. وهي ، رواية إيندو ليكا 'Induleka'، أبدعها أو. تشندو مينون 'O.Chandumenon'. ومكانته في الأدب المليالمي مكانة رواية 'زينب' في الأدب العربي. ولما كان الباحث طالبا في البكالورية أخذ يقرأ قراءة الرواية العربية، من أهمها رواية دعاء الكروان لطفه حسين.

ولمّا التحق الباحث بالماجستير في جامعة جوهرلال نهرو، حصل على فُرص ذهبية لقراءة روايات عربية كثيرة من مكتبة الجامعة، بما فيها رواية سلوى في محب الريح لمحمود تيمور، خان الخليلي لنجيب محفوظ، وموسم الهجرة إلى الشمال لطيب الصالح. فتأثر الباحث بموسم الهجرة إلى الشمال لِمَا تناولت الرواية معاناة الشعوب الفكرية والنفسية والاجتماعية عامة ولِمَا تُناقش اشكالية 'الذات والآخر' و 'الصدام بين الشرق والغرب' خاصة.

ومن هذا المنطلق حاول الباحث أن يتمتع بقراءة الروايات التي تناول إشكاليته 'الذات والآخر' و الصدام بين الشرق والغرب'. وهذه المحاولة أدت إلى عالم عبد الرحمن منيف الروائي، ومن هناك تعرّف الباحث على مُنِيف وإبداعاته القيمة. فرواياته الخماسية - مدن الملح أعجبتُ الباحثُ بسبب ضخمتها وقضاياها التي تناولتُ فيها. ومنها احتلال الأجانب واستعمارهم على الجزيرة العربية لتتقرب النفط. لأن النفط هو الأساس للاقتصاد العالمي، وهذا دَفَعَ الباحثُ أن يجري دراسة تحليلية حول هذا الموضوع والرواية، فعرض الباحث المسألة على الأستاذ المشرف فوافق عليه مع مزيد من الإرشادات. وهكذا تم اختيار الموضوع للبحث.

الدراسات السابقة

ولما أجرى الباحث المناقشات الابتدائية مع الخبراء في هذا المجال، وجمع المصادر الأولية للبحث، وجد الباحث أن هناك قد تم تقديم بعض الدراسات والأطروحات في الجامعات داخل الهند وخارجها في مواضع لها تعلق غير مباشرة في هذا الباب. منها:

- المكان ودلالاته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، الأستاذ الدكتور صالح ولعة، جامعة عنابة، الجزائر، 2010.
- تجريبية عبد الرحمن منيف، في مدن الملح، نورة آل سعد، إدارة الثقافة والفنون، 2005.
- تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف، عدنان محمد على المحادين، جامعة مؤتة، 2006.
- النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية، دراسة نقدية تحليلية، محمد رشدي عبد الجبار، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2010.
- قضايا إنسانية واجتماعية وسياسية في روايات عبد الرحمن منيف، دراسة نقدية تحليلية، شاذية تبسم، جامعة بابا غلام بادشاه، راجوري، كشمير، 2014.

منهج البحث:

المنهج الذي اتبعه الباحث هو المنهج التحليلي لأنه أنسب مناهج البحث لتحقيق أهداف هذا البحث. وقد قام الباحث بدراسة عرض المحتويات وتحليلها، وبعرض العناصر الاجتماعية والاقتصادية من داخل المتن، و بموازنة الشخصيات من التاريخ الخيالي مع التاريخ الواقعي.

فقام الباحث أولاً، بجمع المصادر الإبتدائية والثانوية عن الروائي عبد الرحمن منيف. وثانياً، قام بجمع المعلومات المتعلقة بحياة البدو وتاريخ تنقيب النفط واكتشافه. وثالثاً، قام بترتيب المعلومات من المصادر الأصلية. ورابعاً، قام بتحليل حياة البدو

وتاريخ اكتشاف النفط في الصحراء في الجزيرة العربية ، وأخيرا قام الباحث بتحليل روايات منيف عامة ثم روايته مدن الملح تحليلا دقيقا. وذهب الباحث خلال جميع مراحل الدراسات التحليلية في هذا المجال، وهذا لاكتشاف العناصر الاجتماعية والاقتصادية التي ناقشها الراوي في إبداعاته.

ولإتمام هذا البحث زار الباحث الجامعات والمكتبات الكبرى في كيرالا لجمع المواد اللازمة لبحثه. وقد جمع المواد لهذا البحث من مصادر مختلفة، بما فيها الكتب العربية والإنجليزية في هذا الموضوع ، والمجلات ، والصحف، والمواقع الإلكترونية الأصلية.

تقسيم البحث

احتوت هذه الأطروحة على :

- الإقرار من الباحث
- الشهادة من المشرف
- كلمة الشكر
- محتويات البحث
- مقدمة
- ستة أبواب
- خاتمة البحث ونتائجه
- قائمة المصادر والمراجع

واشتمل هذا البحث على ستة أبواب وهي:

أبواب	عناوين	عدد الفصول	عدد المباحث
1	عبد الرحمن منيف، سيرته الذاتية	8	26
2	الرواية في الأدب العربي	5	19
3	المجتمع البدوي وتطوره	5	10
4	اكتشاف النفط	3	12
5	العناصر الاجتماعية والاقتصادية في إبداعات عبد الرحمن منيف، دراسة أعماله المختارة.	3	21
6	العناصر الاجتماعية والاقتصادية في الرواية 'مدن الملح'	5	36

الباب الأول : عنوانه 'عبد الرحمن منيف، سيرته الذاتية' وفيه ثمانية فصول، الفصل الأول: حياة منيف، عرض الباحث فيه معلومات عن أسرته و مولده و ودراسته ووفاته. الفصل الثاني : تناول الباحث فيه الأحداث السياسية في فترة الخمسينات والستينات. الفصل الثالث : تناول الباحث فيه دخول منيف إلى عالم الأدب وإلى عالم الرواية خاصة. الفصل الرابع : عرض الباحث فيه القضية الجنسية التي تعرضت لها منيف، وفيه جنسيته السعودية و إسقاط الجنسية. الفصل الخامس : مذهب منيف الأدبي وأسلوبه والواقعة السحرية. الفصل السادس : مكانته الأدبية، ناقش الباحث فيه عن مكانته في الأدب العربي والعالمي وعن أدب السجون والثقافة اليسارية والجوائز التي حصل عليها منيف. الفصل السابع : فيه بيان عن مؤلفاته بما فيه مؤلفاته الروائية والقصصية والدراسات الأدبية والدراسات الفنية والمقالات والدراسات والكتب المترجمة. الفصل الثامن : الشهادات، فيه آراء عن منيف الواردة في المطبوعات وما قاله النقاد.

الباب الثاني : عنوانه 'الرواية في الأدب العربي' فيه خمسة فصول. الفصل الأول : تعريف الرواية، فيه تعاريف عامة عن الرواية كذلك تُعرّف الرواية كديوان حدثية. الفصل الثاني : الرواية كفن جديد، فيه بحث عن نشأة الرواية ونشأة الرواية العربية. الفصل الثالث : تطور الرواية، فيه بحث عن الرواية العربية المترجمة وعن الرواية العربية الحديثة. الفصل الرابع : عناصر الرواية وهي الحدث ، الشخصية، الزمان، المكان، الحوار، الأسلوب والحكاية. الفصل الخامس : أنواع الرواية، فيه بحث عن روايات البطولة والتاريخية والنفسية والاجتماعية والفلسفية والأسطورية.

الباب الثالث : عنوانه 'المجتمع البدوي وتطورات' فيه خمسة فصول، الفصل الأول: البدو والبدو، فيه بحث عن دلالاته ومفهومه وعن البداوة البدائية. والفصل الثاني : خصائص البدو فيه بحث عن خصائص عامة وعن أهم خصائصهم. والفصل الثالث : هيئة البداوة، فيه بحث عن توزع البداوة الجغرافية والإختلافات بين القبائل البدوية. والفصل الرابع : العناصر الاجتماعية والاقتصادية، والفصل الخامس : توطين البادية، فيه مبحثان هما بداية التطورات، والعرب في مجتمع ما قبل الدولة.

الباب الرابع : عنوانه 'اكتشاف النفط في العالم العربي' وفيه ثلاثة فصول، الفصل الأول: اكتشاف النفط، فيه بحث عن تنقيب النفط وعن دور أوبك (OPEC). والفصل الثاني: العرب بعد اكتشاف النفط، وفيه عرض موجز عن المرحلة الجديدة والتغييرات في قوة العمل، والماء والنفط. والفصل الثالث: تأثير النفط وفيه بحث موجز عن تأثير النفط على مهنة الغوص وعلى الصناعات والإقتصادية والاجتماعية والتغيير في الأسرة والتغيير في الطبقة.

الباب الخامس : عنوانه 'العناصر الاجتماعية في ابداعات منيف ، دراسة أعماله المختارة' فيه ثلاثة فصول. الفصل الأول: الأشجار وإغتيال مرزوق، هو أول رواية لمنيف ، فيه بحث عن أحداث القصة وبنية الكتاب ودلالة العنوان في الرواية. والفصل الثاني: قصة حب مجوسية، وهي واحدة من روايات منيف، يتناول هذا الفصل خلفية هذه الرواية وخلاصة أحداثها والأبعاد الاجتماعية التي تناقش الرواية. الفصل الثالث: النهايات، هو رواية تناولت الحياة الصحراوية أحداثا لها، في هذا الفصل بحث عن خلفية الرواية وأحداث الرواية وبطل الرواية وكذلك بحث عن الدراسات حول هذه الرواية.

الباب السادس : عنوانه 'العناصر الاجتماعية والإقتصادية في رواية - مدن الملح'، فيه أربعة فصول. الفصل الأول: مدن الملح دراسة تحليلية، تناول الباحث فيه أبحاثا عن بنية الرواية، خلفية الرواية، تسمية مدن الملح، تشكيل الأحداث التاريخية، شخصيات الرواية. الفصل الثاني: العناصر الاجتماعية في مجال الحكومة، يبحث هذا الفصل عن صورة بناء السلطنة والحكومة، صورة الجيش، صورة الدستور، صورة المحكمة، صورة الانقلاب. الفصل الثالث: العناصر الاجتماعية في مجال العامة، فيه بحث حول عشرة مباحث وهي: جدلية الذات والآخر، صورة حقوق الإنسان، وضع التوازن الطبيعي، وضع اللاتوازن الطبيعي، دور متعب الهذال كعامل إجتماعي، صورة المرأة، صورة الجنس، القمع من جهة السلطة، مسألة الديمقراطية، صورة البيع والشراء. الفصل الرابع: العناصر الاقتصادية، فيه ثلاثة عشر مبحثا وهي: مفهوم الاقتصادية، عناصر المشكلة الاقتصادية العامة، العولمة

الاقتصاديّة، الأوضاع الإقتصادية الأولية في المجتمع البدوي، الإنعاش الاقتصادي في بداية عصر الحديث، البدو بعد ظهور الثروة النفطية، النفط ومدن الملح، رأي أهل وادي العيون عن المال ومجيء الأمريكيين، دور نائب شركة النفط، صورة المنح الإقتصادية، صورة تصريف الأموال لدى البدو، المساعدة المالية، الأزمة الإقتصادية.

الخاتمة : وفيها خلاصة البحث.

نتائج البحث : قدّم فيه الباحث أهم نتائج بحثه والتوصيات. وتليها قائمة المصادر والمراجع.

هذه هي الخطوات التي اعتمدها الباحث ليقدم البحث وليصل إلى النتائج بعد تحليل العناصر في الموضوع بدقة. والله ولي التوفيق.



الباب الأول

عبد الرحمن منيف، سيرته الذاتية

- | | | |
|--------------|---|----------------------|
| الفصل الأول | : | حياة منيف |
| الفصل الثاني | : | البدايات السياسية |
| الفصل الثالث | : | دخوله إلى عالم الأدب |
| الفصل الرابع | : | القضية الجنسية |
| الفصل الخامس | : | مذهبه الأدبي |
| الفصل السادس | : | مكانته الأدبية |
| الفصل السابع | : | مؤلفاته |
| الفصل الثامن | : | الشهادات |

الفصل الأول

حياة منيف

- المبحث الأول : أسرته
- المبحث الثاني : مولده
- المبحث الثالث : نشأته ودراسته
- المبحث الرابع : وفاته

الفصل الأول : تاريخ الحياة

المبحث الأول : أسرته

اسمه الكامل عبد الرحمن إبراهيم المنيف، ينتمي إلى قرية 'قصيبا' شمال مدينة 'بريدة' بمنطقة القصيم الواقعة وسط المملكة العربية السعودية، "كان والده إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن المنيف من كبار تجار العقيلات الذين اشتهروا برحلات التجارة بين القصيم والشام. قبل مائة وعشرين عام غادر إبراهيم قرية 'قصيبا' قاصدا بلاد الشام، سوريا، فلسطين، نهر الأردن، العراق، ومصر. وقد بدأ يتاجر بالجمال وبدأ وضعه المالي يتحسن وسرعان ما صار له شأن"¹.

وأثناء عودته إلى الجزيرة العربية توقف في عمان، وهناك تزوج بإمرأة عراقية 'نورة الجمعان'. "وبقي إبراهيم في الاردن منذ عام 1930 يتاجر ويحاول أن يصفي أموره وحساباته المالية عند الآخرين حيث وُلد له ابنه الأخير عبد الرحمن عام 1933 وفيما بعد شقيقته خديجة وحصّة. طالت إقامته في عمان وتعددت مشاغله وأعماله. وفي إحدى تنقلاته بين العشائر ومضارب البادية في سوريا لشراء الماشية انقلبت به السيارة وأصيب بكسر في الحوض عام 1926 وتعالج، إلا أن هذه الإصابة أدت إلى وفاته في عمان عام 1936 م ، تاركا أربعة أبناء.

و هم :

- عبد الله، توفي عام 2001 م بعمان.
- علي، توفي عام 1977م بدمشق. وقد أهدى له أخوه عبد الرحمن الجزء الأول من مدن الملح 'التيه'.
- فهد، توفي 1965م.
- عبد الرحمن الذي ولد بعمان عام 1933م وتوفي سنة 2004 م "².

¹ محمد القشعري، ترحال الطائر النبيل ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت، لبنان ،2003.
² المصدر نفسه ، ص : 17

المبحث الثاني : مولده

ولد عبد الرحمن في عمان سنة 1933، وهو أصغر أبناء العائلة ، بعد بضعة أشهر من قيام ابن سعود في الرياض بتوقيع امتياز تمكين الأمريكيين من التنقيب عن النفط، وهو الحدث الذي ربطه الكاتب بمصيره الخاص. فوصول الأمريكيين كان نذيراً ببداية نهاية عالم كان فيه تجار من نمط والده قادرين على التجوال بحرية في مجمل الأراضي العربية دون أن تعترضهم أي حدود أو سياسيات. "بُعيد ولادة منيف توفى أبوه. بقيت العائلة في الأردن ، حيث تولت جدته العراقية الجزء الأكبر من مسؤوليات تربيته، في حين بادر إخوته الأكبر سناً إلى استئناف مهنة الأب واعدة الأسرة"³.

المبحث الثالث : نشأته ودراسته

تلقى عبد الرحمن منيف التعليم القرآني التقليدي وتعليمه الابتدائي بعمان، حيث قضى أولى سنوات حياته التي تركت آثاراً في بناء شخصيته. " من البداية تعرض الصبي لضغوط سياسية. فمن ذكرياته الأولى كانت وفاة غازي، ملك العراق في 1939 . وفي سنوات مراهقته المبكرة كان عبد الرحمن شاهداً مباشراً على حرب 1948 العربية - الإسرائيلية الكارثية ، والمصيبة التي حلت بالفلسطينيين على أيدي القوات الصهيونية بالتواطؤ مع النظام الملكي الاردني على هذا الصعيد، وهما حدثان تركا انطباعات بالغة العمق عليه. صيفاً كان عبد الرحمن يمضي عطلة مع الفرع السعودي لعائلته في نجد"⁴.

و لما نشأت الأحزاب في الأردن إبان الخمسينات انتسب إلى حزب البعث وغادر منيف عمان واستقر ببغداد مواصلاً تعليمه، والتحق بكلية الحقوق عام 1952، بينما حركات التحرر العربي على أشدها، والدول الأوروبية تسعى بدأب لإجهاض هذه الحركات العربية، وانخرط منيف في المظاهرات الطلابية المعارضة لـ"حلف بغداد" باعتباره مؤامرة تستهدف النيل من الوطنيين العرب، حيث أدت إلى طرده من العراق عام 1955، فميم وجهه شطر مصر، فاستكمل دراسته في جامعة القاهرة، وواصل العمل السياسي بل والاشتغال بقضايا وطنه العربي الكبير.

³ عبد الرحمن منيف 2008، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009 ، ص56.

⁴ منيف، سيرة حياة : مجلة نيولفت ريفو (new left review) العدد : 37، كانون الثاني - شباط 2006 .

" كان عبدالرحمن منيف في حوالي الخامسة عشرة من عمره حين وقعت حرب العام 1948 التي أسفرت عن سقوط جزء كبير من فلسطين في قبضة العصابات الإرهابية الصهيونية التي سارعت إلى إعلان قيام 'دولة إسرائيل'، المُغفلة الحدود، فوق ما احتلته من أرض فلسطين! وقد كان لهذا السقوط، وللإعلان الذي أعقبه، أن يكسرا أحلام الصبي عبدالرحمن منيف، التي هي أحلام أمته، وأن يُحدثا في وجدانه اليقظ وعقله الفتّي 'جرحاً عميقاً، وسؤالاً: الضعفاء، الضائعون، لا يستطيعون شيئاً'. وهكذا عاد سؤالُ القوّة ليفتح رحلة البحث عن ماهية القوّة ومصادر اكتسابها، من جديد، فما كان لخطوات الشاب عبدالرحمن منيف، دارس الحقوق في جامعة بغداد منذ العام 1952، والمسكون بأحلام ذبيحةٍ وجرحٍ عميقٍ وسؤالٍ، إلا أن تقوده إلى تعرّف الفكر القومي ممثلاً في حزب البعث، وإلى الانخراط في العمل السياسي الذي جعله يوقن أنه قد وصل إلى اكتساب القوّة التي جعلها هدفاً تمكينياً ظلّ يسعى إليه، أو أنه قد شرع في عبور طريق يفضي إلى تحقيق هدف الحصول على تلك القوة التي أرادها وسيلةً لتحقيق أهداف إنسانية هي، دائماً، أنبل وأسمى!"⁵.

" ولكنّ قوّة الفكر الذي اعتنقه عبدالرحمن منيف لم تكن إلا 'وهمّ قوّة' أو 'قوّة' موهومة، كما أنّ 'صوفيّة' الانخراط في العمل السياسي الحزبي اليومي لم تكن إلا 'سدّياً غامضاً' يماثل هلامية العالم. أما الرياح، فلم تكن مواتيةً أبداً، ربما لأنّ القبطان أساء تقدير قوّة سفينته، أو لأنه أبحر في وقت غير موائم، فما أنْ صعد عبدالرحمن منيف، المتلهف إلى التغيير، متن تلك السفينة التي سرعان ما تحطّمت، حتّى طردته حكومة نوري السعيد التي وقّعت وثيقة 'حلف بغداد' في العام 1955 من العراق، فتوجّه إلى القاهرة ليكمل دراسته الجامعية. ومذ ذاك، انخرط الشاب عبدالرحمن منيف في متاهة قادته من منفى إلى منفى، سواء على المستوى الوجداني داخل المجال الذي ظلّ يعتقد أنه وطنه الكبير، أو على المستويين الوجداني والجغرافي خارج هذا المجال، وفي منافي العالم التي بدت، في عيونه، موحشةً وقاسية"⁶.

⁵ مفهوم الرواية عند عبد الرحمن منفي، عبد الرحمن بيسسو، الجديد، العدد: 4، في 2015/05/01.

⁶ المصدر نفسه.

عاد منيف للترحال ثانية وسافر إلى يوغوسلافيا عام 1958م، وتحول عن دراسة الحقوق إلى الإقتصاد، فحصل على شهادة الدكتوراة في "اقتصاديات النفط" من جامعة بلغراد عام 1961م. "من الواضح ، ان سنوات الدراسة في يوغوسلافيا كانت قد زادت من ثورية عبد الرحمن شاحنة إياه بقدر مفرط من النزعة الإنسانية القائمة على الشك والنزوع الثقافى المولع بطرح الأسئلة مما أبقاه غير مؤهل لأن يكون حزبيا جيدا. ومع صيرورته، تدريجيا ، صاحب صوت ناشز في صفوف الحزب ، استقال عبد الرحمن منيف من البعث فى 1962م. إلا أنه بقي ملتزما بقضية التحويل الثوري للعالم العربي"⁷.

ورجع عبد الرحمن منيف من يوغوسلافيا عام 1961م ليعمل في الشركة السورية للنفط، وانضم لحزب البعث أحد معاقل القومية العربية، ثم سافر إلى لبنان عام 1972م للعمل في مجلة البلاغ. وبدأ الكتابة الروائية بعمله الشهير " الأشجار وإغتيال مرزوق". ثم عاد للعراق مرة أخرى عام 1975م ليتّأس تحرير مجلة "النفط والتنمية" حتى عام 1981م، واستمر هاجس الثورة والتمرد داخله وكان سببا لما تعرض له من المحن والشدائد. فغادر العراق إلى فرنسا وتفرّغ للعمل الأدبي الروائي، فى نفس العام. وفي عام 1986م، عاد إلى سوريا مرة أخرى واستقر في دمشق و بقي إلى آخر ايامه معارضا للإمبريالية العالمية، كما اعترض دوما على الغزو الأمريكى للعراق عام 2003 م، رغم انه كان معارضا عنيفا لنظام صدام حسين.

المبحث الرابع : وفاته

توفى في دمشق في 24 كانون الثاني 2004 م. وستظل هذه الرحلة الإنسانية والروائية خالدة، تلك التي بدأت في عمان ثم بغداد فالقاهرة فيوغوسلافيا فيبيروت فباريس، ثم أخيرا دمشق حيث اختارها منيف مقرا له، لتشهد آخر لحظات حياته. تزوج منيف من سيدة سورية "وله من الذرية ابنان هما : ياسر وهانى وبنتان : هما عزة وليلة"⁸.



⁷ منيف، سيرة حياة : مجلة نيولفت ريفو (new left review) العدد : 37، كانون الثاني - شباط 2006 .
⁸ محمد القشعوى ، ترحال الطائر النبيل، دار الكنوز الأدبية ، بيروت، لبنان، 2003، ص 25

الفصل الثاني

البدايات السياسية

- المبحث الأول : فترة الخمسينات
- المبحث الثاني : فترة الستينات

الفصل الثاني : البدايات السياسية

المبحث الأول : فترة الخمسينات

في الخمسينات من هذا القرن بلغ المد القومي للفكر السياسي في المنطقة العربية أوجه، وجذبت تياراته المختلفة الكثير من الشباب المتطلعين الى دور ما في الحياة السياسية، ومن بين هؤلاء الشباب كان عبد الرحمن منيف. عمل مع حزب البعث، ولم يطل العمل الحزبي كثيرا، لأن فترة الخمسينات والستينات لم تكن فترة مد قومي فقط. وانما كانت فترة جذر للحقيقة أيضا. وهنا بدأ التفكير بهجر الشكل القديم للفكر والتفكير، ويجاد شكل جديد قادر على تجسيد الطموح، أو على الأقل تغيير الأداة التي يمكن من خلالها مواجهة العالم.

ويقول منيف " منذ سنة 1950م حتى 1965م كنت مستغرقا تماما في السياسة والعمل السياسي. ولكني رأيت ان هذا كله خدعة كبيرة. كان الواحد منا يتصور ان المؤسسة السياسية يمكن ان تكون امينة في قناعاتها ومقولاتها السياسية ومن خلال التجربة رأينا ان هناك فارقا كبيرا بين الافكار التي كان يؤمن بها ويدعو لها ، والممارسات الفعلية التي كانت. وأمكن الوصول الى نوع من الصيغة او التعايش للبقاء ضمن تلك المؤسسة وصار هنالك حاجز بيننا وبين الاستمرار. وبدأ البحث عن اشكال جديدة لمواجهة العالم ومحاولة تغييره ، سواء أكان ذلك في العمل السياسي أو العمل الفني ومن هنا كان الاقتراب من أداة أخرى من أدوات التعبير والتغيير هي الرواية وذلك الذي كان يعبر عن قضاياها بكتابات سياسية وجد ان هذا الطريق ضاق وصارت هناك حواجز ، فتش عن صيغ تعبير أخرى وانا كانت لدي القناعة وامتحنتها عمليا وتبينت أنها ممكنة : ان تعبير عن الأفكار والطموح الى التعبير يمكن ان يكون فنيا"⁹

⁹ عبد الرحمن منيف، بين الثقافة والسياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت / دار البيضاء 1999.

المبحث الثاني : فترة الستينات

وفترة الستينات بشكل خاص ، كانت الفترة التي وضعت التجربة على المحك. "وكانت الحد الفاصل بين القناعات القديمة والواقع الجديدة والمرير، في تلك الفترة تبين للروائي عبد الرحمن منيف ولمعظم الحالمين بواقع أفضل أن الذين يتربعون على عرش التنظيم السياسي ويديرونه، يعانون من قدر كبير من الترهل والبلاهة ، وفي تلك الحالة لم يكن أمام منيف إلا أمران : أما أن يواصل الطريق ويكون ضد قناعته، أو يترك التنظيم الى غير رجعة وقد اختار الأمر الثاني : لما جاءت الأحداث الكبرى التي هزت واقع المجتمع العربي ، وأدت الى الكوارث المعروفة ، اتضح ان التنظيم السياسي والفكر السياسي المسيطرين والسائدين يتمتعان بحد كبير من التخلف والعجز وعدم القدرة على فهم المرحلة وبالتالي على قيادتها، ومن هنا كان الابتعاد عن السياسة اليومية بمعناها التنظيمي ، والالتفاف أكثر الى الثقافة والى الرواية بشكل خاص" ¹⁰

ولم يكن قرار الابتعاد عن التنظيم فجائيا، وانما كان هذا القرار بعد الكثير من المراجعات للذات ومحاكمتها محاكمة عقلية ، لا بل بعد مراجعة شاملة للحياة كلها وبعيدا عن أي مؤثر يمكن أن يحد من حرية القرار وعقلانيته : "وبدأت أعيد مراجعة حياتي كلها بعيدا عن المؤثرات الآتية المتلاحقة : قرأت، حزنت، ندمت. قلت لنفسي كم كنا أغنياء وجبناء خلال فترات طويلة سابقة. وتأكدت لدي هذه القناعة أكثر وأنا أستعيد ليس فقط الأخطاء التي وقعت، وانما معها المبررات التي كانت تساق والحجج التي تقدم قلت لنفسي بأسى : لا يكفي في العمل السياسي أن يكون الانسان صادقا ومتفانيا خاصة في جو الكهانة ، والذي انتقل من الأديرة النائبة الى التنظيمات السرية . فحين تغيب الحرية في القول والاختبار، خاصة الأخطاء بحجة حماية التنظيم ولعدم تمكين الأعداء، فعندئذ من الأفضل ، ان يكون الإنسان ماكرا بارعا وأقرب الى النفاق خاصة مع من هم أكبر منه موقعا، ومع من هم أقوى ، أما إذا كانت الطيبة سلاح المناضل ، فإنها في حالات كثيرة تدل على الغفلة وسوء التقدير وعدم معرفة القوانين الحقيقية التي تحرك الأشخاص" ¹¹.

¹⁰ محمد القشعبي ، ترحال الطائر النبيل ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت، لبنان ، 2003. ص 25
¹¹ المرجع نفسه ، ص : 26

الفصل الثالث

دخوله إلى عالم الأدب

- المبحث الأول : عالمه الرواية
- المبحث الثاني : الخطوة الأولى
- المبحث الثالث : الخطوة الثانية
- المبحث الرابع : الخطوة الثالثة

الفصل الثالث : دخوله إلى عالم الأدب

المبحث الأول : عالمه الرواية

دخل منيف إلى عالم الرواية من باب السياسة، ودخل السياسة من باب الثقافة، وأخلص للرواية والسياسة والثقافة حالما بالأحداث الاجتماعية التي تعني حق البشر في وجود إنساني عربي كريم. "ولاشك أن عبد الرحمن منيف المسكون بهوم الناس المضطهدين وموضوعات القمع والديمقراطية خاض مع بعض الاصدقاء الحوار في كل هذا لعل ذلك يؤدي إلى تبلور بعض الأفكار، فيتحمل الجميع المسؤولية قبل الوقوع في كوارث حتمية. ولم يكن هذا تنبؤاً وإنما رؤية واضحة وقراءة دقيقة لما يجري من حولنا خارجياً وداخلياً. وبدأت النقاشات والحوارات كلما التقى مع الأصدقاء"¹².

وقد جاء منيف إلى عالم الإبداع الروائي وهو في الأربعين من عمره وبعد أن خاض في زخمة العلم والعمل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وكتب الدراسات في الإقتصاد والعلم والسياسة ووعى العالم الذي يعيش فيه. "وأدرك أنه عالم بحاجة لثورة تعصف به وتبنيه من جديد، ولكنه أدرك بحسه الإبداعي أنّ ذلك مستحيل في الظروف الراهنة، وأدرك أن دوره في التغيير لن يحقق شيئاً من خلال عمله في السياسة والنشاطات الاجتماعية المختلفة وإنما يمكن تحقيق ذلك من خلال العمل الإبداعي وخاصة الإبداع الروائي، وكانت روايته الأولى 'الأشجار واغتيال مرزوق' وتبعتها الروايات الأخرى حتى وصل إلى إنجاز العمل الروائي الإبداعي الكبير خماسية 'مدن الملح' "¹³.

الادب ، عند عبد الرحمن منيف أداة لمواجهة الحياة، وبذلك جمع بين حقلين معرفيين لهما التأثير الاقوى والقدرة الأفضل على الاقناع وعلى التبصير بالحقائق التي تخفي عن الآخرين. وهذا يظهر في ثلاث خطوات هامة.

¹² من عبد الرحمن منيف الي فيصل درّاج، من أجل علم جمال المضطهدين، مجلة بدايات: فصلية ثقافية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥ .
¹³ د/ نبيه القاسم، 'بموت منيف فقدنا عرّافة العرب وصوت الضمير الحي' الاتحاد، في 6/02/2004 .

المبحث الثاني : الخطوة الأولى

وما كان عبدالرحمن منيف روائياً عربياً حسب ، بل كان روائياً العالم العربي، بهوممه وأوهامه وأحلامه وقضاياه وبخبياته وآماله. وهذا ما يظهر منيف خلال قوله : "صحيح أن السياسة كانت بالنسبة لي في وقت من الأوقات مهنة، لكن الصحيح أيضا أن الأدب كان هواية. وغالبا ما تكون الهواية أسرة ويتم التعامل معها بجدية أكثر مما يظن الكثيرون. أما اذا ما حصل التطابق بين المهنة والهواية فعندئذ يمكن أن يولد الفن وهذا ما وقع لي. فبعد فترة قصيرة في العمل السياسي اكتشفت انني أخذت نفسي وأخذت الآخرين . ليس لأن السياسة مهنة رديئة بذاتها بالمطلق وانما لأن هذا النوع من السياسة كان أقرب إلى العبث، لأنه لا يستند الى العقل، إلى معرفة الواقع، إلى خدمة الفقراء والمضطهدين، ولذلك غادرت المؤسسة السياسية التي كنت فيها دون أسف، وانصرفت الى الهواية . وهذه الهواية التي أمارسها الآن بالإضافة الى المتعة الكبيرة التي أحسها من خلالها الممارسة ، أجدها أكثر جدوي وتأثير لخدمة الآخرين ، لأن من جملة مزايا الفن، بما في ذلك الرواية، ان تجعل الانسان أكثر وعيا وأكثر شجاعة وأن تجعله أكثر احساسا، والتالي حساسية، بالظلم والقهر والغبن وأن تدفعه لعمل شيء لكي يكون هذا العالم مكانا يليق بالإنسان"¹⁴.

وكان منيف يطرح الفكر السياسي من خلال الأدب عنده وإليه يشير منيف "هكذا كان ، طويت مرحلة أخرى من حياتي، وقلت لنفسي بنوع من العزاء : لقد استهلكتني الصحافة، واستنفدت الكثير من الأفكار التي كنت أتغنى بها . والآن يجب أن اتوجه الى عالمي الحقيقي ، الى الرواية ، لكي أتابع فيها كل ما يسكنني من الأحلام والطموحات، واليقينات والشكوك، وشهوات الحاضر والمستقبل كلها"¹⁵. ومن هذا المنطلق بدأت الأداة الجديدة تلعب لعبتها السياسية من جديد: مراجعة أخطاء الماضي من خلال الفن والأدب.

14 محمد القشعبي ، ترحال الطائر النبيل دار الكنوز الأدبية ، بيروت، لبنان، 2003. ص : 27.
15 محمد عبدالرزاق القشعبي ، الجزيرة والخليج العربي .. نصف قرن من النهضة الثقافية، مجلة العربي الثاني عشر 4 - 6 مارس/أذار 2013 بالكويت.

إن عبد الرحمن منيف يواصل اعترافاته بهذا الصدد ، من خلال النصوص ، لا يجد حرجا في دفع كل الأخطاء الى الظهور، ودفع الأمور الى نهايتها ، ليكون النقد والنقد الذاتي أول خطوة بعد القطيعة وأثناء اعادة النظر. " انما تمزقت سياسيا ، أي بكلمات أخري، هجرت كثيرا من قناعاتي وعلاقتي السابقة، لأنني اكتشفت في وقت متأخر للأسف، أنني كنت أحمل في داخلي مجموعة من البلاهات، وعلى كتفي مجموعة من الجيف، أحاول الآن أن أعزي نفسي، أستعمل كلمات كبيرة لكي أتوصل إلى قناعة من نوع معين، تعلمت الكثير، استنفدت خبرة لا تقدر، عرفت معنى الحياة ، ويمكن أن أضيف أوصافا أخرى لكي أخلص الى نتيجة ، ليس كل عملي السابق حماقة، وليست كل علاقتي الماضية جثثا متحركة، قد تتاح لي فرصة مراجعة هذه التجربة في وقت من الأوقات لكي استخلص منها الدروس والعبر، وقد تتاح قرائن ومعلومات جديدة تثبت صحة تقديراتي حول قضايا معينة وأشخاص معينين .. الآن وأنا أتحدث عن تلك الفترة اشعر بخيبة كاوية، أشعر بما يشبه الوقوع تحت فعل الخديعة"¹⁶.

المبحث الثالث : الخطوة الثانية

والخطوة الثانية في الطرح السياسي من خلال الأدب كانت بفضح المؤسسات والرموز التي ساهمت وما تزال تساهم في انحطاط الأفكار والقيم وفي جعل الهزيمة حالة دائمة لا يمكن تجاوزها. منيف يقول:

"هل يمكن إرجاع السبب في الحال التي أعاني منها إلى أنني قد عدت بيأس الآخرين، بالرغبة مثلهم في إراحة رأسي من عناء لا يؤدي إلى نتيجة؟ صحيح أنني لم أعد أثق بالمؤسسات والرموز التي تملأ الدنيا ضجيجا، وأنني أرى أن هذه المؤسسات ورموزها قد أفلست ويجب أن تتوارى، أن تبتعد خجلا، وأن تحاول التكفير عن أخطائها وما ألحقته بالناس من أذى. ولكن هروبي إلى جانب ذلك إنما هو محاولة للبحث عن الراحة، عن السلامة. وهكذا جعلت بصورة دائمة أمضغ حجرا: إنني أضغ في حلقي شيئا لا أستطيع أن أبلعه، ولا أستطيع أن ألفظه. ولكن علي من هذه اللحظة، أن أتوقف عن

16 د.حسين جمعة ، أطيايف المنطلق والتضاد 'منيف نموذجا'. <http://www.startimes.com/?t=9322639/> 20/11/2016.

إدانة الآخرين. إذا كان من حقي أن أصدر حكم بالإدانة فيجب أن يكون هذا الحكم علي، على نفسي. أما أن أحمل الآخرين مسؤولية الخيبة، فأنا أضلل نفسي، وأكطب عقلي. إن حيرة من نوع جارف تملأني. لكني سأتجاوزها. لا يمكنني أن أتخلى عن مدينتي. لا أتصور، للحظة، أن تحارب عمورية وحدها بدوني، أن أبقى بعيدا ومتفرجا وفي وريدي دم ينبض، وأنا بقدر ما أكرهها، أعشقها. لكن لا أستطيع أيضا أن أكون جزءا من الجوقة، أو مخدرا يتخدر به الآخرون. يجب أن أتروى قليلا لكي أعيد النظر في كل شيء! وثمة سؤال واضح على كل إنسان أن يطرحه على نفسه، كما أطرحه على نفسي، في هذه الأيام الصعبة المخيفة، والعواصف على الأبواب: أين مكاني من هذا كله؟ هل سأجده؟ هل سأكون جديرا بالمستقبل؟ هذا هو السؤال: أما أنا فإذا استطعت أن أصحو، أن أستعيد ثقتي بالبشر والأشياء، أن أكتشف نقطة الضوء¹⁷.

المبحث الرابع : الخطوة الثالثة

أما الخطوة الثالثة فقد كانت نشيجا منفردا ومعبرا عن تلك الاحلام التي تحطت وتلاشت، ومن وحي ذلك الاعتقاد على الانسان ان يواجه بعد أن تأكد له أن المشاركة لا يمكن أن تعنى إلا التبعية وتبجيل الصنمية المتربعة على قمة هرم التنظيمي والهرم الجماعي : تحطمت اكثر الاحلام اعرف ذلك ، لم يبق الا القليل، لكن معها، وربما قبلها ، تحطمت اغلب الاوهام ، كلها. لم أعد قادرا على عبادة اي صنم ، ولم يعد يرشدني ويقودني سوى الضمير. هذا هو الاعتقاد الجديد وما دامت الفرادة أصبحت اعتقادا ، فلا يهم قول الناس ولايهم كلامهم ، لأن المشاركة بكل تجلياتها ما عادت تجدي ، لذلك "لا يهمني ماذا ستقولون. فأنا قليل الاكتراث بما يقوله الناس عني . ولكن لأسباب شديد الاقتناع بها ، اختلفت مع هذا العالم ، ولم يعد اي شيء يجمعنا . سمّوا ما أحلم به خطيرا ، لا يهمني ! لا يهمني أن اكون على وفاق مع أحد. افترقت عن كل ما حولي ، وربما الى الأبد. اصبحت اسير باتجاه سريع نحو المجهول، ولولا ذكريات ما تزال ندية تخص دمي لارتكبت حماقات كثيرة"¹⁸.

¹⁷ عبد الرحمن منيف، جبرا ابراهيم جبرا، عالم بلا خرائط، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الخامسة، 2007، ص: 381، 382.
¹⁸ محمد القشع، ترحال الطائر النبيل ، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، 2003. ص : 29.

الفصل الرابع

القضية الجنسية

- المبحث الأول : جنسيته السعودية
- المبحث الثاني : إسقاط الجنسية

الفصل الرابع : القضية الجنسية

المبحث الأول : جنسيته السعودية

وقد كانت ولادة منيف لأب سعودي وأم عراقية في 1933 ، بعد بضعة أشهر من قيام ابن السعود في الرياض، بتوقيع امتياز تمكين الأمريكيين من التنقيب عن النفط. وهو الحدث الذي ربطه منيف بمصيره الخاص. وبُعيد ولادة منيف توفي أبوه ، ولذلك قضى عبد الرحمن منيف أيام طفولته مع العائلة في الأردن في عمان. وتولت جدته الجزء الأكبر من مسؤوليات تربيته. وفي الصيف كان عبد الرحمن منيف يمضي عطلته مع الفراع السعودي لعائلته في نجد. ان جنسيته السعودية جعلته شخصية ذات شأن في حركة ذات تطلعات وحدود عربية من احتلال موقع مميز في تنظيم الحزب الناشئ.

المبحث الثاني : إسقاط الجنسية

وكان من نصيب عبد الرحمن منيف إسقاط جنسيته السعودية بوصفه خطرا على المملكة، وسحب جواز سفره، ليجد نفسه وسط دوامة من الإبعاد والنفى" وكان يسافر بعد ذلك بجوازات سفر جزائرية، يمنية أو عراقية"¹⁹. وعاد إلى الترحال والتنقل، فنجده ينتقل من بلدة إلى بلدة، ومن قطر إلى آخر، إما مبعدا أو منفيا، لكنه ظل متمسكا بما يؤمن به من أفكار وما يعتمل داخله من آمال وأحلام. ووسط التنقل والرحيل ووسط المشاق التي يخوض غمارها فاجأ الجميع بإصدار روايته الأولى 'الأشجار واغتيال مرزوق' عام 1973، وكان هذا الحدث إيذانا بميلاد روائي كبير كان له أثره الواضح على طريق الرواية العربية الحديثة. "وفي عام 1963م تمّ سحب جواز سفره السعودي من قبل السفارة السعودية في دمشق تذرعا بانتماءاته السياسية لم يرد له حتى وفاته في 2004م. ان جنسيته السعودية جعلته شخصية ذات شأن في حركة ذات تطلعات وحدوية عربية ، مما مكّنه، من البداية ، من احتلال موقع مميز في تنظيم الحزب الناشئ"²⁰.

19 عبد الرحمن منيف 2008، المركز الثقافي العربي للنشر ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009 ، ص59.
20 المصدر نفسه ، ص58.

الفصل الخامس

مذهبه الأدبي

- المبحث الأول : أسلوبه
- المبحث الثاني : الواقعة السحرية

الفصل الخامس : مذهبه الأدبي

المبحث الأول : اسلوبه

برع منيف في ابداع بيوغرافيا المنطقة ووصف البيئة من الصحراء إلى الوادي وإلى المعسكر وإلى الحي وإلى الدكاكين وهي التي لم ترصف بعد. وساهم هذا الابداع البارع ودقة التفاصيل في إمكانية تخيل الزمان والمكان والشخصيات بطباعها وإنفعالاتها وتأثرها بمجريات الأحداث، حتى كان لها دورها البارز في تحريك الحدث. و"لم يحدد منيف في رواياته المكان والزمان لأنه كان مقتنعاً، وهو المنتمي إلى أكثر من قطر عربي، أن لا اختلاف في نمط الحكم والحكام والنظم والسجون في عالمنا العربي، فما يصدق على هذا القطر وهذا النظام، يصدق على غيره، والانسان العربي المعذب هو نفسه في شرق الوطن العربي وفي غربه"²¹

واستخدم منيف لغة وسطى بين الفصحى والعامية ، لم يكن عبد الرحمن كلي الاقتناع بالأسلوب الذي توصل إليه . الا أن مثل هذه اللغة، بوصفها أداة للمزاوجة بين التاريخ والرواية على أوسع نطاق، فعالة على نحو مدهش. انه صورّ التاريخ بأسلوب حكواتي شعبي يروي سيرة مصير جماعة لا مجموعة من الأفراد.

المبحث الثاني : الواقعية السحرية (Magical Realism)

استخدم منيف الواقعية السحرية (Magical Realism) في رواياته العربية وهو أول كاتب استعمل وذكر هذا الفن في الروايات العربية. الواقعية السحرية هي نوع أدبي تظهر فيه عناصر سحرية خيالية أو أحداث غير واقعية في إطار واقعي بهدف تعميق فهم الواقع، وعلى قدر مهارة المؤلف يصعب على القارئ التفرقة بين الواقع والخيال. يستخدم هذا المصطلح اليوم على نطاق أوسع في التصوير والوصف ولم يعد مقتصرًا على النقد.

²¹ د/ نبيه القاسم، 'بموت منيف فقدنا عرّافة العرب وصوت الضمير الحي' القدس العربي ، في 11 / 02 / 2004 .

ظهرت الواقعية السحرية نتيجة لمجموعة من العوامل الفاعلة والمؤثرة من أهمها التطور الإبداعي العالمي في الرواية والقصة . وتقوم الواقعية السحرية على ثلاثة ارتباطات أو جوانب أساسية، وهي : الجانب العجائبي الذي تمثل قصص ألف ليلة وليلة وحواديت الجادات، ركيزته القوية، والجانب الاسطوري على نحوها. يقول خوشي لوس بورخيس " إن الأسطورة تقع في بداية الأدب وفي منتهاه"، والجانب السيريالي الذي كان بمثابة ثورة في التحولات التي حدثت في الأدب المعاصر. وهذا الكتاب يحاول تقديم نماذج للواقعية السحرية في الرواية العربية المعاصرة، فضلا عن دراسة جذور هذا التوجه في التراث العربي بالكثير من الكتابات التي تؤسس لهذا التيار في الثقافة العالمية وفي إبداعنا العربي الحالي.

شاع هذا المصطلح في الثمانينيات من هذا القرن بشيوع أعمال عدد من كتاب القصة في أمريكا اللاتينية. يعد مصطلح 'الواقعية' من اوسع المصطلحات شيوعاً . وعلى الرغم من انه يرتبط بالفن و الأدب بشكل خاص ، فإنه يتخطاهما ليشمل مختلف الفكر الانساني ، وتبعاً لذلك تشعبت عنه مصطلحات كثيرة مثل 'الواقعية السحرية' و'الواقعية الجديدة' و 'الواقعية الاجتماعية' و'الواقعية النقدية' و'الواقعية الاشتراكية' وغير ذلك.

ومن دلالات الواقعية السحرية الغرائبية كما شاعت في الأدب، خاصة القصة بشكليها الرئيسين القصة القصيرة والرواية. غير أنها يرسم القاص تفاصيله رسماً مما يزيد من حدة الاصطدام بالغريب والمستحيل الحدوث حيث يتداخل فيه. ومن الكتاب الذين اشتهروا أيضاً بتوظيف تقنية الواقعية السحرية الإيطالي إيتالو كالفينو (1923 - 1985م)، والإنجليزي جون فاولز (1926م) والألماني غنتر غراس (1927م)، ومن العربي عبد الرحمن منيف.



الفصل السادس

مكانة منيف الأدبية

- المبحث الأول : الأدب العربي والعالمي
- المبحث الثاني : أدب السجون
- المبحث الثالث : الثقافة اليسارية
- المبحث الرابع : الجوائز

الفصل السادس : مكانته الأدبية

المبحث الأول : مكانة منيف في الأدب العربي والعالمي

عبد الرحمن، أحد أهم الروائيين العرب في القرن العشرين وأحد أبرز المفكرين والأدباء العرب وشخصيات الأدب العالمي حيث استطاع في رواياته أن يعكس الواقع الاجتماعي و السياسي العربي، و النقلات الثقافية العنيفة التي شهدتها المجتمعات العربية خاصة في دول الخليج العربية أو ما يدعى بالدول النفطية. "ان جنسيته السعودية جعلته شخصية ذات شأن في حركة ذات تطلعات وحدوية عربية، مما مكّنه ، من البداية ، من احتلال موقع مميز في تنظيم الحزب الناشئ"²². ذكر منيف في رواياته عن الحوادث الواقعة الاجتماعية الحديثة والسياسية العربية تتعلق بأحوال جزيرة العرب. ربما ساعده في هذا أنه أساسا خبير بترول عمل في العديد من شركات النفط مما يجعله مدركا لاقتصاديات النفط، لكن الجانب الأهم كان معاشته و إحساسه العميق بحجم التغيرات الاتي أحدثتها الثورة النفطية في صميم و بنية المجتمعات الخليجية العربية.

" كان كاتبا فعالا سيايا بوصفه مناضلا أو اختصاصيا فنيا عبر خمسة بلدان، مؤلفا لخمس عشرة رواية - بما فيها الأضخم والأعظم بين الكتابات الروائية الحديثة باللغة العربية - إضافة إلى تسعة كتب أخرى غير رواية. من شأن تقديم سجل واف عن درجة هذا الإنجاز وتفصيله أن يتطلت بعض الوقت. غير أن تقريرا أنيا مؤقتا بات أكثر من مطلوب"²³. يعتبر منيف من اشد المفكرين المناوئين لأنظمة كثير من الدول العربية. من اشهر رواياته 'مدن الملح' التي تحكي قصة إكتشاف النفط في السعودية وهي مؤلفة عن 5 أجزاء، ورواية شرق المتوسط التي تحكي قصة المخابرات العربية وتعذيب السجون .

" يتميز عبد الرحمن منيف عن بقية الروائيين العرب في أنه عاش في بيئات متعددة هي التي الهتمه كتاباته. بداية في البيت السعودي والبيئات العربية والغربية الأكثر تطورا. ومعها عالم الفن التشكيلي. قوة روايته في أنها حاولت الاحاطة بهذه البيئات ومن

²² عبد الرحمن منيف 2008، المركز الثقافي العربي للنشر ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009 ، ص :58، 57.
²³ منيف، سيرة حياة : مجلة نيولفت ريفو (new left review) العدد : 37، كانون الثاني - شباط 2006 .

ثم الكشف عن لغزيتها "24. ولأهمية عبد الرحمن منيف ومكانة إبداعه تم منحه جائزة مؤتمر الرواية العربية الأول الذي عقد في القاهرة عام 1998، وستظل تجربته محط أنظار الجميع ومصدر احترام وتقدير ممن يتفق معه أو يختلف.

المبحث الثاني : أدب السجون

أدب السجون هو نوع من أنواع الأدب الحديث، يصور فيه الحياة داخل القضبان، يناقش فيه الظلم الذي يتعرض له السجناء، والأسباب التي أدخلت بهم إلى السجن، حيث يقوم السجناء أنفسهم بتدوين يومياتهم وتوثيق كل ما مرّوا به من أحداث بشعة داخل جدران السجن. والإبداعات العربية في أدب السجن تختصر البؤس العربي المسيطر إلى صلابة السجن ووحشية السجناء. "هموم عبد الرحمن منيف في إبداعاته الروائية تشعبت ولكنها تمحورت في معظمها في القضايا الكبيرة التي تهّم الإنسان العربي وتشغله، وهي قضايا: الحرية والديمقراطية وكرامة الإنسان. ففي رواياته أدخلنا إلى السجون في العالم العربي، هذه السجون المظلمة التي تزهد روح الإنسان وتفقد كرامته وتحوله إلى لا شيء. وصوّر لنا عالمنا العربي المحكوم من قبل حكام عملاء للغريب يعملون كل ما يسيء لوطنهم وشعوبهم وكل ما يرضي سيّدهم وغرورهم ومصالحهم الذاتية. وتوقف منيف عند حالة الغربة والانسحاق التي يعيشها المثقف في العالم العربي وكيف أن هذا المثقف لا يجد أمامه إذا ما أراد أن يؤدي دوره تجاه وطنه وشعبه لا يكون له من اختيار إلا بين السجن والغربة. وكثيراً ما يكون الموت الحل المثالي له"25

"عاش منيف يحلم بتحقيق حلمه بالتغيير وبخلق عالم عربي جديد ومستقل، وإنسان حر وصاحب كرامة وقدرة على العمل، ولكنه مات وهو يعاني افتقاد الحلم ووهن الجسد. مات لينضم إلى الكوكبة الرائدة من أصحاب الأحلام الكبيرة الذين سبقوه. مات ليتركنا بعده نتابع الحلم ونجتزع النكسات والنكبات، ونعيش السجن الكبير والمهانة واغتصاب الغرباء"26

24 عبد الرحمن منيف في الرواية العربية ، جريدة الحياة ، 26 يناير ، 2004 الرقم : 14914
25 'بموت منيف فقدنا عرّافة العرب وصوت الضمير الحي'، نبيه القاسم "الاتحاد"، 6.2.2004 و "القدس العربي"، 11.2.2004.
26 المصدر نفسه.

تعتبر روايته شرق المتوسط التي صدرت عام 2001 عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، أول رواية عربية تنتمي لأدب السجون، وبفضلها تجرأ الكتاب على التطرق لهذا النوع من الأدب، حيث تلتها سيل من الروايات التي تصنف تحت أدب السجون. وهي التي تناولت موضوع التعذيب في السجون الذي تمارسه الأنظمة الشمولية العربية التي تقع في المنطقة العربية وشرق المتوسط. تناقش هذه الرواية القمع في الدول العربية والإعتقال السياسي، دون تحديد أسماء أو مدن، لذلك كل عربي سيقراً هذه الرواية أياً كانت جنسيته، سيشعر وكأنها تتحدث عن بلده، فالقمع هو الشيء الوحيد الذي يجمع بينهم، علامة عربية خالصة مطبوعة على جبين كل المدن، معلقة على أبواب البيوت، موجودة في كل مكان، في الغرف، الشوارع، البيوت. تقوم هذه الرواية بمكان صوت لمن لا صوت لهم.

ويقول منيف متحدثاً إلى أهل باريس: "لو جنتم بكتبكم على شاطئ المتوسط الشرقي، لقضيتم حياتكم كلها في السجون، سيأكلكم الندم، سوف تكفرون بكل شيء، وتدفعون ثمن الكلمات حياتكم كلها في السجون الصحراوية، وهناك تصابون بالسل، والتيفوس وتموتون"²⁷.

"كانت روايته صورة عن الواقع، وصوتاً للمقموعين الذين أعارهم الروائي صوته. استرشد الروائي بما يعانیه الناس، ولا يتجرأون على الكتابة عنه. أنتج الروائي عقداً كتبها بينه وبين قارئ قائم فطبت روايته شرق المتوسط أكثر من عشرين مرة. لم يهجم منيف بقارئ محتمل، فالقارئ هناك ينتظر كاتباً لا يغترب ويعطيه صوته صادقاً. ولهذا بدا الروائي لدى القراء روائياً بطلاً يواجه السلطة بالحقيقة، يعطي القراء وثيقة تحكي عما يعيشونه، ولم يتمردوا عليه بعد. عاد إلى موضوعه مجدداً في روايته 'الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى' مؤمناً بالكلمة المحرصة، وبأن في حياة الخاضعين ما يستلزم التحريض. فالسلطة التي تتفنن صناعة الإذعان تقنتي سجننا تأديباً محدوداً، وتختصر حياة المجتمع كله في سجن كبير، يبدد حياة البشر وأحلامهم"²⁸.

27 عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص: 52.
28 فيصل دراج، الثقافة الديمقراطية وسياسة الكتابة، بدايات، العدد 10، شتاء 2015.

"ففي رواياته أدخلنا إلى السجون في العالم العربي، هذه السجون المظلمة التي تزهق روح الإنسان وتفقده كرامته وتحوله إلى لا شيء. وصوّر لنا عالمنا العربي المحكوم من قبل حكام عملاء للغريب يعملون كل ما يسيء لوطنهم وشعوبهم وكل ما يرضي سيّدهم وغرورهم ومصالحهم الذاتية. وتوقف منيف عند حالة الغربة والانسحاق التي يعيشها المثقف في العالم العربي وكيف أن هذا المثقف لا يجد أمامه إذا ما أراد أن يؤدي دوره تجاه وطنه وشعبه لا يكون له من اختيار إلا بين السجن والغربة. وكثيراً ما يكون الموت الحل المثالي له"²⁹.

المبحث الثالث : الثقافة اليسارية

"تكوّن المثقف عبد الرحمن منيف في بحثه عن أسباب الانهيار العربي. لم يقرأ فلسطين كشعار، إنما قرأها كواقع تاريخية دامية، يمكن تحديد أسبابها، ومواجهتها، آخذاً بمفهوم الممارسة، الذي قد يحلم باسترجاع فلسطين أو يسهم في تبيد ما تبقي منها. ولم يكن موقفه من الوحدة العربية مختلفاً، تلك الوحدة التي تستدعي حقوق المواطنة قبل أن ترتدّ إلى معركة ذي قار. ولعل هذا الوضع، الكاره لأشكال البلاغة السلطوية، هو الذي جعله لا يميل إلى جدل القطري والقومي الذي يعترف باللغة ولا يعترف بالواقع، ودفعه إلى اختبار 'ماركسيته' وهو يتطلع إلى أحوال البشر الفعلية"³⁰.

"جسد منيف المثقف الحديث في مقولات: الشعب والتنوير والمستقبل، مؤمناً بأن تكون الشعبي سيرورة كفاحية، وبأن التنوير الشعبي نقيض للمدرسة الرسمية والأيديولوجيات السلطوية. وحدّ مساره أوخياره الثقافي، بين الالتزام بالقيم التنويرية ونقد السلطة السياسية، معلناً عن صورة مثقف يساري، يسيّس النقد والثقافة والكتابة الروائية وعلم الجمال خلافاً لآخرين فصلوا، في زمن محاصر، بين الدعوة إلى التنوير والنقد السياسي. فمنذ ثمانينات القرن الماضي اكتفى الكثير من المثقفين بالنقد الثقافي، ورموا جانباً النقد السياسي، الذي يمس ممارسات السلطة في وجوهها المختلفة. وقف هؤلاء وراء حداثة زائفة أو مجزوءة فنقدوا الدين ودافعوا عن الحرية، وذهبوا إلى قراءة

29 /د/ نبيه القاسم، 'موت منيف فقدنا عرّافة العرب وصوت الضمير الحي' الاتحاد، في 6 /02 /2004
30 فيصل دراج، الثقافة الديمقراطية وسياسة الكتابة، بدايات، العدد 10، شتاء 2015.

النظريات الأدبية شمالاً وجنوباً محاذرين الدخول إلى الشأن العام ومحاذرين أكثر المساس بالسلطة السياسية ، كما لو كان الخراب الاجتماعي المتماذي يستولد ذاته من ذاته، في بلدان محكومة بسلطاتها القمعية من الألف إلى الياء"³¹.

"أخذ منيف بتقليد يساري قديم ، يسيّس الأسئلة الاجتماعية جميعها، مبتدئاً بالسلطة المستبدة المسيطرة، التي ترى في الفعل السياسي الشعبي هرطقة وخروجاً على القانون. أقام حداً بين السلطوي والشعبي، والمتسلط والديمقراطي، وبين العموميات التنويرية التي لا ترى السلطة والنقد السياسي اليساري الذي يرى في نقد السلطة فعلاً تنويرياً. وكان نقده للسلطة ممزوجاً بالغضب، كأن يتحدث عن السياسة الأمية والمتقلبة التي تغمر الساحة العربية من أقصاها إلى أقصاها وعن سيطرة نمط من السياسيين يتصفون بالشطارة والقسوة الانتهازية ، وصولاً إلى الخسة، في آن واحد . ساوي منيف في فترة حزبية منقضية بين السياسة وعمران الحقيقة، قبل أن يصطدم بسياسة، ويذهب إلى الكتابة الروائية، مستأنفاً العمل السياسي بشكل آخر"³².

المبحث الرابع : الجوائز

حصل منيف على جائزة الرواية العربية في المؤتمر الأول للرواية الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة في مصر، إضافة إلى عدد من الجوائز الأدبية الأخرى. وحاز على جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية للرواية عام 1989م وعلى جائزة القاهرة للإبداع الروائي التي منحت للمرة الأولى عام 1998م.

"كثيرون من النقاد العرب شعروا بأن منيف كان هو الجدير بالجائزة ولكن سخريته الشرسة والسوريالية بالأسرة الملكية وحاشيتها مع أثرياء النفط أدت إلى إبقائه خارج دائرة الثقافة الرسمية. فكتبه باتت ممنوعة في العربية السعودية وغيرها من بلدان الخليج. إلا أنها ظلت مع ذلك تنتقل وتقرأ سرا من قبل عدد كبير من أصحاب السمو والسطان في شبه جزيرة العرب"³³.

31 فيصل دراج، الثقافة الديمقراطي وسياسة الكتابة، بدايات ، العدد 10، شتاء 2015.

32 المصدر نفسه.

33 طارق على ، وداعاً يا عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص : 487.

الفصل السابع

مؤلفات منيف

- المبحث الأول : مؤلفاته الروائية
- المبحث الثاني : مؤلفاته القصصية
- المبحث الثالث : الدراسات الأدبية
- المبحث الرابع : الدراسات الفنية
- المبحث الخامس : المقالات والدراسات
- المبحث السادس : الكتب المترجمة

الفصل السابع : مؤلفات منيف

المبحث الأول : مؤلفاته الروائية

- ◀ "الأشجار واغتيال مرزوق" وهي أول من رواياته، دار العودة، بيروت، عام 1973. "أتم منيف الرواية في ربيع 1971 وصدرت في 1973"³⁴.
- ◀ "قصة حبّ مجوسية" دار العودة، بيروت، عام 1974.
- ◀ "شرق المتوسط" دار الطليعة، بيروت، عام 1975. هذه الرواية أحدثت ضجة في العالم العربي وهي أول رواية عربية تصف بجرأة موضوع التعذيب في السجون خاصة التعذيب التي تمارسه الأنظمة الشمولية العربية التي تقع شرق المتوسط في إشارة واضحة للنظام السوري و العراقي. وهي أيضا تحكي قصة المخابرات العربية وتعذيب السجون.
- ◀ "حين تركنا الجسر" دار العودة، بيروت، عام 1976.
- ◀ "النهايات" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام 1977.
- ◀ "سباق المسافات الطويلة" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام 1979.
- ◀ "عالم بلا خرائط" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام 1982. في كتابة هذه الرواية اشترك منيف مع روائي عربي آخر هو جبرا إبراهيم وكان بينهما صداقة عميقة، توجت هذه الصداقة مؤخرا برواية ثنائية، قد تكون من الأعمال الأدبية النادرة التي تكتب من قبل شخصين ربما على مستوى العالم، و النتيجة كانت 'عالم بلا خرائط' التشابك و التناسق الفني لهذه الرواية كان على درجة عالية يستحيل معها التصديق بأن هذا العمل مؤلف من قبل شخصين اثنين.

عبد الرحمن منيف 2008، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009، ص 60.

◀ "مدن الملح" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. وهي التي تتكون من خمسة أجزاء وهي: "التيه" عام 1984 و"الأخدود" عام 1985 و"تقاسيم الليل والنهار" عام 1989 و"المنبت" عام 1989 و"بادية الظلمات" عام 1989. وهذه الخماسية عمله الأبرز. وهذه الرواية تحكي قصة إكتشاف النفط في السعودية. يصف الجزء الأول التغيرات العميقة في بنية المجتمع البدوي الصحراوي بعد ظهور النفط، في الأجزاء الثاني يبدأ بوصف رجال الأعمال الذين وفدوا على المنطقة الخليجية و دخولهم في تحالفات مع حكام المنطقة ، الأجزاء الثلاثة الأخيرة تصف التحولات و التفاعلات السياسية في شبه واضح مع تاريخ حكام آل سعود، ولهذا منعت رواياته من دخول المملكة العربية السعودية و كثير من الدول الخليجية.

◀ "الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى" المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي، بيروت، عام 1991. وهذه الرواية التي تعدّ جزءا ثانيا لروايته 'شرق المتوسط' أعاد به الحديث عن التعذيب في السجون لكنه صورها هنا في بيئة أقرب لبيئة مدن الملح الخليجية.

◀ "سيرة مدينة" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام 1994، (سيرة مدينة - عمان في الأربعينات، 1994) يرصد فيه تاريخ هذه المدينة العريقة والتطورات التي طرأت عليها وأهم الأحداث التي وقعت بها، وأرخ لتحول عمان من بلدة بسيطة وادعة إلى مدينة اتسعت جبالها وسهولها وتلالها لأكثر مما اتسع مسرحها الروماني القديم.

◀ "أرض السواد" المركز الثقافي العربي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام 1999. وهي ثلاثية وآخر رواية له، التي أراد ان يتحدث فيها عن تاريخ و مجتمعات العراق.

◀ "أم النذور" المركز الثقافي العربي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وهي التي كتبها منيف في بدايات حياته، لكنها لم تنشر إلا عام 2005.

المبحث الثاني : مؤلفاته القصصية

ولم يكتب عبد الرحمن منيف إلا مجموعتين قصصيتين ، وربما كانت هاتان المجموعتان مرحلة تجريبية في حياة الكاتب، إلا أنهما لم تصدرا إلا متأخرًا على الرغم من كونهما البدايات الأولى في حياته الأدبية، وهما:

◀ "أسماء مستعارة"المركز الثقافي العربي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام 2006.

◀ "الباب المفتوح"المركز الثقافي العربي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام 2006.

المبحث الثالث : الدراسات الأدبية والسياسية

◀ "الكاتب والمنفى" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام 1991.

◀ "الديمقراطية أولاً، الديمقراطية دائماً" المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي ، بيروت، عام 1995.

◀ "بين الثقافة والسياسة" الديمقراطية دائماً" المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي ، بيروت/الدار البيضاء، عام 1999.

◀ "رحلة ضوء" (مقالات) المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، عام 2001 .

◀ "ذاكرة للمستقبل" المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، عام 2001.

◀ "لوعة الغياب" المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، عام 2001.

◀ "عروة الزمان الباهي" المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، عام 1997.

- "العراق: ، هوامش من التاريخ والمقاومة" المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، عام 2003.
- "إعادة رسم الخرائط" المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي، 2007.
- "مبدأ المشاركة وتأميم البترول العربي" دار العودة ، عام 1973.
- "البترول العربي، مشاركة أو التأمين" (بيروت) 1975.
- "تأميم البترول العربي" بغداد، عام 1976.

المبحث الرابع : الدراسات الفنية

- "القلق وتمجيد الحياة" (كتاب تكريم جبرا) - 1995.
- "مروان قصّاب باشي: رحلة الفن والحياة" نشر خاص ، عام 1996.
- "جبر علوان: موسيقا الألوان" دار المدى، عام 2000.

المبحث الخامس : المقالات والدراسات

- الرواية العربية تاريخ من لا تاريخ لهم. م: الناقد، ع 18، لندن : ديسمبر 1989، ص 10 – 41.
- البيريستروكيا عربيا. م: النهج ، ع 23، س: 6 ، بيروت : 1990م ص: 135 – 138 .
- محور 28: الديمقراطية والمجتمع العربي. م : النهج، ع 30، س: 7 ، بيروت : 1990م ص: 114 – 121 .
- حول حوار بين التيارات الفكرية العربية م : النهج، ع 29، س: 7 ، بيروت : 1990م ص: 51 – 71 .

- المنفي والمدينة الأولى .. وجواز السف- عبد الرحمن منيف. م : البديل، ع 16-17، بيروت : 1991م.
- قانون الاشرار. م : الناقد، ع 39، لندن : 1991م ص: 13 – 18 .
- وطني. ج: القدس العربي، ع 935، س: 4 ، لندن : 1992.
- رحلة مع نذير نبعة. م : المدي، ع 4، س: 1 ، دمشق : 1993م ص: 80 – 84 .
- رسالة مفتوحة لحقوق الانسان. م : ادب ونقد، ع 96، القاهرة : 1993م ص: 130 – 133 .
- الجواهري والسياسة م : الطريق، ع 6، س: 56 ، بيروت : 1997م ص: 98 – 101 .
- ابن خلدون وصورته في منمنات تاريخية م : الطريق، ع 1، س: 55 ، بيروت : 1996م.
- توفيق يوسف عواد ، قراءة جديدة ، مجموعة الصبي الاعرج م : الطريق، ع 3، س: 58 ، بيروت : 1999م ص: 88 – 95 .
- محمد محمود خليل: الانسان والفن ثروة دائمة. م : نزوي، ع 22، عمان : 2000، ص : 135- 140.
- هل أن العرب أمة شعر فقط؟ م : المجلة العربية للثقافة ، ع 18، س: 10 ، ص: 184- 188.
- خطر البترول هل كان حقيقة ان وهم؟ م : قضايا عربية، ع 3، بيروت : 1974م ص: 63- 76.

المبحث السادس : الكتب المترجمة

وقد تُرجمت كثير من أعمال عبد الرحمن منيف إلى لغات شتى بما فيها من الانجليزية والروسية والفرنسية وغيرها. "وبعد صدور روايته 'سيرة مدينة' في عام 1993م اتصلت به منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة 'يونسكو' وطلبت منه اللقاء للتفاهم حول ترجمة 'سيرة مدنية' إلى أهم اللغات العالمية. فقد التقى بعد الرحمن منيف مجموعة من المترجمين لعدة لقاءات في عاصمة إسبانيا تمهيدا لترجمتها لأكثر من 15 لغة"³⁵.

وترجمة الجزء الثالث من 'مدن الملح' أحدثت صدى نقدياً، فكتبت الصحافية السويسرية أنغيلا شادر مقالاً نقدياً بجريدة "نويه تسوريشر تسايونغ" تقول فيه: "لم يسبق لكاتب قبل عبد الرحمن منيف أن صورّ بهذه الدقة وذلك الغضب المقدس تلك الحالة البائسة التي وجد فيها أنفسهم أولئك المقتلعون من جذورهم الذين رأوا الدخان يتصاعد من حقول البترول العجفاء التي أخذت في الانتشار طاردة أشجار النخيل المثمرة"³⁶. وترى شادر أن هناك أسباب معروفة جعلت دولاً عربية عديدة، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، تضع 'مدن الملح' على قائمة الأعمال الممنوعة، فالخماسية "تعكس البانوراما التاريخية الشاملة والساخرة والنقدية لدولة النفط التي تدعى 'موران' وبسهولة يدرك القارئ أن المقصود بالقائمين على أمور تلك الدولة هم أعضاء العائلة السعودية الحاكمة"³⁷. وتمتدح الناقدة السويسرية اختيار هذا العمل لتقديمه للقارئ الألماني، غير أنها تفتقد مقدمة تضع القارئ في السياق التاريخي لهذا الجزء. لاريسا بندر توافقها على رأيها، غير أنها تضيف: "الأمر إشكالي من جهة، هذا عمل أدبي، وليس كتاباً في التاريخ. في الوقت نفسه فإن القارئ الألماني لا يعرف المنطقة العربية وتاريخها، لذلك أعتقد أن وضع مقدمة أو شرح لتلك الفترة التاريخية كان سيسهل على الألمان فهم الكتاب"³⁸.

35 محمد القشعبي، ترحال الطائر النبيل، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، 2003، ص 45
36 الادب العربي بعيون المانيا، "مدن الملح" الممنوعة سعودياً مُحْتَقَى بها عالمياً، <http://www.dw.com>
37 ملحمة روائية...دهاليز المكائد وعالم الحروب، <https://ar.qantara.de>
38 الادب العربي بعيون المانيا، "مدن الملح" الممنوعة سعودياً مُحْتَقَى بها عالمياً، <http://www.dw.com>

العنوان	اللغة المترجمة إليها	اسم المترجم	الناشر	مكان النشر	تاريخ النشر
النهايات	الانجليزية	روجر ايلين	كوارتيت بوكس ليمند	لندن	1988
اختلافات الليل والنهار	الانجليزية	بيتر ثيروكس	فينتاج بوكس	لندن	1993
قصة مدينة : طفولة في عمان	الانجليزية	سميرة كوار	كوارتيت بوكس ليمند	لندن	1996
مدن الملح (ثلاثة أجزاء)	الانجليزية	بيتر تيروكس تحرير: ايروول مكدونالد	فينتاج بوكس	لندن	1987، 91، 93، 2001
شرق المتوسط	الانجليزية	عثمان نادر خلف	فينتاج بوكس	لندن	1996

الفصل الثامن

الشهادات

- المبحث الأول : في المطبوعات
- المبحث الثاني : في ميزان النقاد

الفصل الثامن : الشهادات

المبحث الأول : في المطبوعات

شاهدت الأدباء والصحف اليومية والمجلات والدوريات والسياسيون والكتاب الآخرون على رؤية عبد الرحمن منيف ومؤلفاته. ومن أهم ما ودر في هذا المجال:

"وتتجلى شمولية هذا الروائي العربي في أنه - إلى كتابة الرواية - مارس العديد من فنون الكتابة وأنواعها . وهي فنون تتصل بنسب ما الى الرواية او القص او السرد .. وحتى في كتابته البحثية يميل عبد الرحمن منيف الى ما يشبه السرد أو القص، في البحث.. فمن مقالات في الفنون التشكيلية .. الى اهتمامه بوضع عدد من المقالات عن عدد من الأدباء والفنانين تقع بين السيرة والبحث.. الى كتابه الجميل عن الفنان السوري 'مروان قصاب باشي في رحلة الحياة والفن' ... الى بداية مشروعه لفريد، عربيا في كتابة سير المدن والتي بدأها بسيرة مدينة عمان في الأربعينات، وسيتبعها بكتاب عن دمشق، الناس الومعالم والروح .. الى مقالاته في شؤون السياسة والديمقراطية والكفاح.. الى أبحاثه عن أنواع الرواية العربية وأفاقها .. والماحة، في بعض هذه المقالات الى الرواية العربية المنشودة.."³⁹

"يذهب عبد الرحمن منيف الروائي العربي الكبير صاحب خماسية مدن الملح والعديد من الروايات المتميزة الى مقاربة العلاقة مع الفن. يبسط منيف رؤيته حول انسان المنفي الذي يكون من الصعب تحديد الاسباب التي تدفعه الى اختيار المنفي ، يقول عبد الرحمن منيف: وليس أسهل من ملاقاته القلم بالرصاصه والكاميرا بقذفية ، وخاصة وأن جزءا من المعركة اعلامي ، والنسبة الطررفين ، ودماء المنفين التي سالت في المنافي، وعمليات الخطف .. دليل على أن المنفي يصبح صيدا سهلا في الوقت الذي يتوهم أنه نجا بمجرد ان يهيأت له الفرصة لمغادرة الوطن- السجن"⁴⁰

"أمام أعمال الروائي العربي 'عبد الرحمن منيف' تشعر أن الكتابة موقف ، الكتابة فكر، والفكرة الاساسية التي تطالعنا في أعمال منيف هي اغتراب الانسان العربي

39 محمد كروب، الطريق ع 4، أغسطس 2000 م.
40 أحمد على هلال ، السفير، بيروت، 1995/10/11م.

، وهذا الاغتراب الذي يبدو ميتافيزيقية كونيا في حالات كثيرة وهو أحيانا ما يكون اغترابا قانونيا خاصة في حالات البيع ، والتنازل عن الممتلكات والارادة ، وعادة ما يصاحبه شعور الفرد بالاحفاق والتشيؤ ، وفقدان الارادة ، واستقلال العالم الموضوعي وانفصاله عنه وسيطرته عليه "41 .

"عبد الرحمن منيف مثقف كبير وروائي. والاستماع الى آرائه ووجهات نظره في الأدب وفي السياسة وفي تشكيلات المجتمعة فرصة لا تأتي دائما ولا تعوض، خاصة ونحن الآن في خضم متلاطم من الاحداث والتطورات، سواء تلك التي نحيها في المنطقة او تلك التي تجري حولنا في هذا العالم الشاسع ولكن الضيف كحرم الابرة، والحديث مع عبد الرحمن منيف متعة اضافية فرواياته المهمة في سباق المسافات الطويلة الى شرق المتوسط مرورا بالحماسية الكبيرة 'مدن الملح' وانتهاء بـ شرق المتوسط مرة أخرى لا تزال تسكن ذاكرتنا وتنعش فيها الاحساس بجمال الابداع وبقوة الكلمة المنتظمة"42 .

"من المعروف أن عبد الرحمن منيف قد جاء الى الرواية في وقت متأخرة نسبيا من عمره، فقد ولد عما 1932م و كتب روايته الأولى 'الاشجار وإغتيال مرزوق' عام 1971م علما بأنه نشرها عام 1972م . ويكون بذلك قد كتب روايته الأولى وعمره 40 سنة وهو سن غير متقدم كثيرة ، فيما لو علمنا ان كثيرا من الروائيين وعلى رأسهم جاسية ماركيس يفضلون ان يكتب الرواي أولى روايته بعد سن الأربعين لأنه يكون بذلك قد تم نضجه الفكري والثقافي العام وأصبح بعد أكثر عطاء وقدرة على ان يقدم لنا رواية جيدة. لكن انتظار منيف حتى الاربعين من عمره لكي يكتب روايته الأولى لم يكن عملا بنصيحة جارية ماركيز ، وانما جاء نتيجة لانصراف منيف قبل الأربعين للعمل السياسي واكتفائه لكتابة مقالات السياسية دون رواية ، ولكن يبدو انه لم يستطع أن يقول ما يريد أن يقوله عبر المقال السياسي ، ووجد عن الرواية هي الفضاء الأدبي الذي يستطيع ان يعبر فيه عن أفكاره"43 .

41 شاعر عبد الحميد ، مجلة إبداعي ، ع 3 ، يناير 1985م، القاهرة.

42 جمعه الخلفي، مجلة الحرية ، لبنان ، 28 / 4 / 1991م.

43 شاعر النابلسي، مدار الصحراء ، ص 367 ، 368.

ولا عجب في تمكّن منيف من رصد التحولات الإنسانية والمتغيرات البيئية، ومن تخليد مرحلة مهمة من مراحل المجتمع العربي بدقة متناهية، وهو الذي عاش جزءاً من هذه التحولات. كما لا عجب في جواب صديقه الكاتب جبرا إبراهيم جبرا على إرسال منيف له روايته فور الانتهاء من كتابتها:

"لا أظن أن كاتباً عربياً - روائياً أو غير روائي - كتب في الماضي شيئاً يقارب ما كتبت في هذه الرواية. وبعد أن كتبتها لا أظن أن كاتباً سيجرؤ على أن يكتب شيئاً مثلها في المستقبل. في الرواية نفس ملحمي لا أعرف مثله في أي عمل روائي عربي. إنه يذكرني بالروايات الكبرى التي كتبت في الغرب في النصف الأول من هذا القرن. الثاني، الاسترسال، الاتساع المستمر.. الانتقال الصعب والموجع من البداوة إلى النفط، أمور لم يلتفت إليها جدياً أحد، أو لم يرها بهذا العمق، وهذا الحب، وهذه اللوعة"⁴⁴.

المبحث الثاني : منيف في ميزان النقد

قال عنه الناقد السعودي، عبد الله الغدامي: "لقد جعل منيف من نصه الروائي شهادات عن مرحلة من التغيير الشديد سياسياً واجتماعياً ولم يجد حرجاً في المزج بين السياسي والفني، وربما أثر السياسة في كثير من الأحيان، مما جعل له خصوماً عديدين، ولكنه مع هذا ظل ضميراً جمعياً وأديباً وخيراً العطاء"⁴⁵.

وقال عنه الروائي المصري جمال الغيطاني: "حافظ منيف على نقاء المثقف العربي في زمن شهدنا فيه الأعاجيب، وحافظ على ثوابت أساسية وقناعات لم تتبدل، ليس من منطق الجمود، ولكن من منطق تعبيرها عن موقف إنساني وقومي عميق"⁴⁶.

أما الناقد السوري، نبيل سليمان فقد قال: "إن هدف المشروع الروائي عند منيف هو: أن تكون الكتابة شهادة على القتل وزمنهم، ولكن بالطريقة المجنونة. وتقول عنه زوجته سعاد القوادي التي عاش معها عاماً كاملة: كان حبنا مختلفاً، عشنا ورشة عمل من لقائنا حتى الآن، وأنا مرتاحة، لأنه مارس كل الأشياء التي يحبها، وقد زاد من ألفتنا أننا كنا متواضعين في شروط وطريقة حياتنا"⁴⁷.

44 محمد العليمي، بحثاً عن متعب الهذال، 18 أغسطس 2014، <https://www.alaraby.co.uk/books/2014>

45 عبد الرحمن منيف بين هم الإبداع الروائي ومأساة السياسة وأكذوبة التاريخ، الأستاذة بعيو نورة، جامعة تيزي وزو

46 المصدر نفسه.

47 المصدر نفسه.

الباب الثاني

الرواية في الأدب العربي

- الفصل الأول : تعريف الرواية
الفصل الثاني : الرواية كفن جديد
الفصل الثالث : تطور الرواية
الفصل الرابع : عناصر الرواية
الفصل الخامس: أنواع الرواية

الفصل الأول

تعريف الرواية

- المبحث الأول : تعاريف عامة
- المبحث الثاني : تاريخ حي وديوان أحداثه

الفصل الأول : تعريف الرواية

المبحث الأول : تعاريف عامة

الرواية، بمعناها العام، هي القصة الطويلة، ذات السياق الممتد في الزمن ، والاحداث المتشعبة في المكان ، والمتنوعة في إطار الوحدة. وتعتبر الرواية من أنواع الأدب النثري. هي تقص حياة شخص أو أشخاص، وترسم معالم بيئة أو بيئات وتشهد على مجرى عصر أو عصور. إنها القصة الفنية المعهودة بعناصرها ومقوماتها وأبعادها ومختلف تقنياتها المكتسبة عبر أجيال وقرون. والرواية بهذا المعنى العام، عريقة في آداب الأمم ، قديمة ترقى إلى آلاف السنين.

ان الرواية في تعريف مبسط : "تجربة أدبية ، يعتبر عنها بأسلوب النثر سردا وحوارا من خلال تصوير حياة مجموعة أفراد أو شخصيات، يتحركون في إطار نسق اجتماعي محدد الزمان والمكان ، ولها امتداد كمي يحدد كونها رواية " ⁴⁸

والرواية ، بالمعنى الاصطلاحي الخاص، ومميزاتها المحددة والماثورة، ربيبة النهضة الأوروبية الحديثة. قد تتنوع اغراضا نفسية أو اجتماعية أو فلسفية أو تاريخية أو سيرة حياة ذاتية. وقد تفرغ خيالية أو واقعية، وقد تكون تعليمية أو مجردة من أي التزام أخلاقي أو ايديولوجي لكنها تبقى في النهاية قصة طويلة تقوم على السرد المتدرج صُعدا وتشويقا إلى نهاياتها المرتبقة والمرصودة وعلى حيك المحادثة وتسلسلها في مسار تفصيلية مما يهم الانسان ، ويتداول مصيره ووجوده وعلى رسم الحيز المكاني والزمني لشخصها وإحيائهم بما تفرضه طبائعهم وتقاليدهم البيئة من حولهم، وروح العصر وحركة المجتمع وتناقضاته.

" والرواية في الأصل قصة تُروى وقوامها الإخبارُ بِحدثٍ ينخرطُ في مجراه أشخاصٌ يتلبسون حالاته من الفعل و ردود الفعل ، وهو يتمدد ويطتور في حيز المكان والزمان ، وينجلي في النهاية عن خاتمة وعن مغزى توحى به الأحداث ، وتخصره

⁴⁸ طه وادي، الرواية السياسية ، 1994، القاهرة، در النشر للجامعات المصرية .

مصائر الأشخاص، ويرمز الى الرسالة التي تحملها الرواية إلى قرائها مُجسّدة بذلك موقف القصاص من حركة الحياة التي أحيها بالبناء الفني أشخاصا ، وأحداثا، وأبعادا إنسانية واجتماعية.⁴⁹

المبحث الثاني : تاريخ حي وديوان حدثا

إن الإبداعية الروائية لدى منيف هو سجلّ تاريخي. ولذلك يُعرّف عبدالرحمن منيف الرواية بأنها 'تاريخ من لا تاريخ لهم' ، أو وثيقة اجتماعية تاريخية أو سجلّ حيّ، يرى فيها الناس أحلامهم وضباب آمالهم وسير حياتهم ويقراً فيها أفكارهم ، أو 'مرآة لحياتهم حتى يرون فيها صورهم وأسماءهم وذواتهم العميقة ومصائر واقعهم. يرى الرواية جنساً أدبياً قائماً بذاته' لأنها تعرض حيوات رجل أو امرأة أكلت السياط ظهورهم، من داخل السحن و خارجها حتى من جو الوطن المفتوح.

فإن منيف يفتح الرواية على التاريخ ووقائع الحياة وصيرورتها في العالم العربي، وعلى السياسة بأوسع معانيها وأعمقها، مؤسساً وشائج علاقة حيوية تربط ما بين الرواية من جهة، والمفهوم العميق لكلّ من التاريخ والسياسة على نحو ما ينبغي أن يتجسّدا في الرواية التي هي تاريخ حيّ وديوان حدثا من جهة أخرى، فالرواية تكتب التاريخ بطريقتها الخاصة فلا تكون كتاباً مصقولاً في التاريخ، بل 'مصباحاً' يضيء التاريخ عبر انفتاحها عليه، فيجعلنا نرى وقائعه وأحداثه ومشاهده من منظورات متباينة وزوايا عديدة.

"وحين يؤكّد عبد الرّحمن منيف، ممارسةً إبداعيةً وتنظيراً، أنّ الرواية لا تعكس الواقع على نحو مرآوي مسطح وإنما تصوغ واقعاً آخر، واقعاً مستقلاً ومكتفياً بذاته، واقعاً يومئ إلى واقعين آخرين ولكنه ليس أياً منهما، فإنه يلمح إلى ما ينبغي للرواية أن تتوافر عليه من قدرة على الإسهام في خلق إنسان التغيير، وذلك عبر ما تمتلكه من قدرة على التعامل، امتداداً وعمقاً، مع واقع هو 'كتلة من لهب' تدميريّ حارق، تذهب إلى اختراق قشرته الصلبة، لتكون هي بدورها 'كتلة من لهب' تغييريّ خلاق يتأسس على

⁴⁹ الدكتور ميشال عاصي والدكتور إميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في اللغة والادب، ج - الاول ، 1987، دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان.

قراءة صادقة وتحليل عميق لواقع توّد كشفه وفضحه واكتشاف إمكاناته على نحو يرتقي بوعي الإنسان به، ويرفع درجة حساسيته إزاءه، ويحرّضه على تغييره. وفي هذا الضوء، لا تكون الرواية إلا وسيلة للتغيير في يد إنسان التغيير حيث تتولّى إثارة أقوى ما فيه من مكونات الوعي والإدراك والحساسية والمشاعر، وتزوّد بالرؤى الواضحة، وتسهم في خلقه من جديد، ليكون إنساناً فاعلاً يمتلك من الدوافع والقدرات ما يُمكنه من إحداث التغيير المنشود"⁵⁰.



50 عبد الرحمن بسيسو، مفهوم الرواية عند عبد الرحمن منيف، نُشر في الجديد، العدد: 4، في 2015/05/01.

الفصل الثاني

الرواية كفن جديد

- المبحث الأول : نشأة الرواية
- المبحث الثاني : نشأة الرواية العربية

الفصل الثاني : الرواية كفن جديد

المبحث الأول: نشأة الرواية

والرواية كلون مميز من ألوان القصص، مدينة في القرنين الأخيرين إلى الأدباء الذين في أوروبا وأمريكا وروسيا وسائر البلدان المقدمة أمدها بتقنيات جمالية رائعة ، وبأبعاد مضمونية غنية في دلالاتها ورموزها. "ان هذا النوع من الفن القصصي لم يعرفه كتابنا القدماء، وانما دخل أدبنا في جملة ما دخله بتأثير الحضارة الجديدة. وقد سلكت الرواية في تطورها نفس السبيل الذي سلكته القصة القصيرة . فظهرت أول امرها في ترجمات شتي من الأدب الأوربي . وظلت الترجمة مصدرها الأكبر حتى الى ما بعد الحرب العالمية الثانية. على أنه منذ اوائل قرننا الحالى العالمية الأولى وما زالت حتى بلغت الآن شوطا بعيدا في ميدان التقدم".⁵¹

ومن مستلزمات الاكتمال في بناء الحادثة ان تُحكى وقائعها حكما متصاعدا لا تقطع فيه ولا تراخ ولا تشتت ولا ازدواج ولا تعدد. فالحادثة ينبغي أن تكون واحدة، وإن تنوّعت فصولها ووقائعها وينبغي أن تُساق سوقا متماسكا منطقيا بالنسبة إلى بواعثها، وإلى ما يماثل في الواقع النموذجي للحياة والناس. وينبغي أن تتدرّج في سياقها تدرّجا ناميا، متطورا تطورا جدليا مترابطا. كما ينبغي ان تكون الحادثة نموذجا تتمثل فيه اتجاهات عصر، وحالات بيئية، فضلا عن تصوير واقع خاص بفترة، أو بطبقة من فئات المجتمع وطبقاته في ذلك العصر وتلك البيئة.

ويرى الباحث الاسباني ' أمريكو كاسترو' أن أصول الفن القصص الأوربي "يرجع إلى تلك الأحاديث القصصية التي كان يتناقلها العرب، والتي عرفتها أوروبا عن طريق أسبانيا المسيحية. ولفظ 'الحديث' العربي قد انتقل إلى مختلف اللغات الأوربية : novela بالأسبانية والإيطالية وnovel بالإنجليزية . ومعنى هذا أن الرواية بالمفهوم

⁵¹ أنيس مقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، الطبعة الرابعة، 1984، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

الأوربي الحديث لم تولد من الملحمة القديمة ، وانما من القصص المحكي بطريق الرواية الشفوية⁵²

والرواية تُعطي قراءها صورة صادقة عن علاقات الناس فيما بينهم في الحقبة التاريخية المحيطة وعن أوضاعهم وتقاليدهم ونُظْمهم كافة. وهذا ما يُحْيِي الطابع المحلي، ويصبغها بصبغة العصر، ويجعلها شاهدا على أهله من مختلف الوجوه. ولذا يصحّ من هنا أن تكون بيد الأدباء أداة اصلاح وتقويم عن طريق التأثير الفني، ووسيلة أدبية جماهيرية للتثقيف، وبتّ الأفكار الاصلاحية وترويجها.

المبحث الثاني : نشأة الرواية العربية.

أن الرواية العربية تأثرت بالرواية الغربية في شتى الموضوعات والأساليب والمذاهب المتصلة بالرواية والروائيين معا وهو بسبب كثرة الارتباط بخارج شبه الجزيرة العربية. وفي الوقت نفسه لا تخفى الصلة بين نشأة الرواية العربية الحديثة وتراث العربي القصصي والروائي.

وذلك لأن الفنون الأدبية لا تمكن نشأتها بدون جذور تربطها بواقع المجتمع، ونفسيات أفراده ، ولأن الروائي يتعامل مع فراغ فاذا لم تمكنه طبيعته الخاصة لا يستطيع أن ينقطع بجذوره الفكرية والعاطفية والنفسية عن بيئته بمكوناتها المتنوعة. ولكن أغلب الباحثين قد أنكروا الصلة بين نشأة الرواية العربية وبين التراث القصص والروائي عند العرب. "والذين ينفون الصلة بين الرواية العربية الحديثة والتراث الروائي والقصصي ، يغفلون طبيعة صلة الفن الروائي بالواقع الاجتماعي من جهة ، وطبيعة التواصل والتأثر والتأثير في مجالات الحضارة وما يربطها من ثقافات وآداب وفنون."⁵³

52 د / محمود على مكي ، مجلة علم الفكري (الفن القصصي المعاصر في اسبانيا) ص 43.

53 د/ ابراهيم السعافين، تطور الروايات العربية الحديثة في بلاد الشام - 1870- 1967م، ص 16.

"وإذا كان بعض الباحثين يرى أن عمر الرواية العربية الحديثة قصير لا يتعدى الخمسين عاما بكثير مي مقابل الرواية الغربية التي تجاوزت مائتين وخمسين عاما"⁵⁴. و يرى الناقد مصطفى عبد الغني أن ظهور الرواية في الوطن العربي ارتبط بعاملين " أحدهما ، أثر كل من مصر ولبنان وفي نشأة هذا الجنس الأدبي سواء في درجة التأثير بالغرب أو التأثير في الأقطار العربية، اما العامل الآخر فهو ان تطور هذا الفن الروائي ارتبط في ظهوره بتطور الاتجاه القومي العربي ونضجه أكثر من أي عامل آخر"⁵⁵.

ويرى الباحث الاسباني 'أمريكو كاسترو' أن أصول الفن القصص الأوربي " يرجع إلى تلك الأحاديث القصصية التي كان يتناقلها العرب، والتي عرفتها أوروبا عن طريق أسبانيا المسيحية. ولفظ 'الحديث' العربي قد انتقل إلى مختلف اللغات الأوربية : novela بالأسبانية والإيطالية وnovel بالإنجليزية . ومعنى هذا أن الرواية بالمفهوم الأوربي الحديث لم تولد من الملحمة القديمة ، وانما من القصص المحكي بطريق الرواية الشفوية"⁵⁶.

ويرى الدكتور محمود مكي أن من أهم التيارات العربية التي تأثرت الرواية الاسبانية تياران بارزان الأول : قصص الفروسية العربية التي كانت شائعة في الاندلس، والثاني هو المقامات العربية ، ظهر على ابن دريد والهمداني والحريري. وتطورت الكتابة والقصص على أسلوب المقامات دهرا من الزمن وبعد ذلك توقفت " ولعل من أهم أسباب ذلك إحتقار شأن القصة والقصص، لدى المسيطرين على الحياة الأدبية في تاريخنا العربي القديم بل في تاريخنا المعاصر حتى وقت قريب"⁵⁷. وبعض الباحثين يرى أن الرواية العربية هو فن جديد " وقد ذهب الدكتور سهيل إدريس إلى القطع اليقيني لنفي أية صلة بين الفن القصص والروائي القديم وهذا الفن في أدبنا الحديث، هو يقينا

54 د / مجدي وهبه ، مجلة عالم الفك، الكويت ، ص 4 العدد الثالث ، 1972.

55 مصطفى عبد الغني ، الاتجاه القومي في الرواية ، المجلس الوطني للثقافة، 1994.

56 د / محمود على مكي ، مجلة علم الفكري (الفن القصصي المعاصر في اسبانيا) ص 43.

57 فاروق خورشيد : مجلة الكاتب ، مدخل إلى دراسة الرواية المصرية المعاصرة' السنة الخامسة عشرة فبراير 1975 العدد 167 ص 55.

انتاج جديد منقطع الأسباب بماضي الانتاج العربي، اذ بدأ تقليدا للرواية والقصة الأجنبية، كما عرفها كتاب ذلك العهد، سواء بالترجمة أو بالمطالعة المباشرة⁵⁸ "

وهذا الرأي خلافا لقول جورجي زيدان أنه يقول " أما أهل هذه النهضة فقد أكثروا من نقل هذه الكتب عن الفرنسية والانكليزية والاطالية، وهي تسمى في اصطلاح أهل هذا الزمان ' روايات' . والروايات المنقولة الى العربية في هذه النهضة لا تعد ولا تحصى ، وأكثرها يراد بها التسلية. ويندر ان يراد بها الفائدة الاجتماعية أو التاريخية أو غيرها . على أنهم نقلوا بعض روايات أو أشعار: شيكسبير، وهيكو، ودوماس، ومولير، وشاتوبريان وغيرهم. وقد رحّب قراء العربية العقلاء بهذه الروايات ، لتقوم مقام القصص التي كانت شائعة بين العامة لذلك العهد ، مما ألفه العرب في الأجيال الاسلامية الوسطى. نعني قصة على الزبيق والزير سالم ونحوها، فضلا عن القصص القديمة كعنتره ، وألف ليلة وليلة فوجدوا الروايات المنقولة عن الافرنجية أقرب الى العقول مما يلائم روح العصر فأقبلوا عليها⁵⁹ "

ويتضح من هذه الآراء " أن عنصر القصة كان يتفاعل في وجدان هذه الأمة منذ عصورها الموعلة في اعماق الزمن ، وظل يتفاعل معها على مرّ الأجيال ، يقوم بوظائف اجتماعية ونفسية متعددة الجوانب⁶⁰ "

الرواية العربية اليوم مرآة تعكس وقع المجتمع العربي، وتعتبر عن همومه وأحلامه، ولذلك يمكن من خلالها قراءة المجتمع واعطاء صورة عنه أكثر مما هو متاح لوسائل التعبير الأخرى ، لأن الرواية هي عمل فردي بالدرجة الأولى، إذ لا تحتاج إلى تمويل، كالتسليم مثلا، ولا إلى صالات كالمسرح والفنون التشكيلية، وبالتالي لا تخضع، مباشرة، للسلطة أو لصاحب رأس المال. كما أن الرواية تختلف عن الشعر من حيث أن الأخير يتوجه إلى العاطفة والوجدان، في حين تتوجه الرواية الى مخاطبة ملكات الانسان كلها.

د / سهيل ادريس ، محاضرات عن القصة في لبنان ص 5 معهد الدراسات العالية القاهرة 1978.

جورج زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ج 4 ص 572- 573، دار مكتبة الحياة بيروت 1972.

د/ ابراهيم السعافين، تطور الروايات العربية الحديثة في بلاد الشام - 1870- 1967م، ص 28.

قد تكون الرواية وسيلة ماهرة للتعبير، إذ يمكن أن تستخرج من التاريخ ومن الأساطير ومن السير الشعبية مادة لعملها، وهذه المادة بقدر ما توهم أنها تتناول الماضي فهي تتطلع إلى الحاضر وإلى المستقبل، وتقوم بعملية اسقاط ومقاربة بحيث يلتقط القارئ هذه الرسالة، خاصة من حيث المقارنة أو المطابقة بين ما كان يجري في الماضي وبين ما يعيشه الآن، وهكذا تستطيع الرواية أن تقول ما لا تستطيعه الأدوات الأخرى، أو لا تقوي عليه.

ولأن مجتمع العربي في المرحلة الراهنة يجتاز حالة انتقالية، وبالتالي يواجه مشاكل كبيرة، نتيجة التناقضات والمصاعب والتحديات، فمن الطبيعي أن تتصدى الرواية لهذه المشاكل، وأن تعكس ما يترتب على وجودها وتأثيرها، ومن هنا نجد أن الكثير من الروايات يتطرق إلى الهموم السياسية والاستغلال والديكتاتورية، ولذلك نجد، مثلا أن السجن السياسي يحتل مساحة ملفتة في الرواية العربية، وقد أثرت إبداعات منيف في هذا الارتقاء للرواية العربية الراهنة.

وهذا ما يظهر من قول منيف: "إنني، كروائي أبحث عن التناقضات في مجتمعي، أبحث عن الأمور القاسية والنايية، وأجعلها مادة لروايتي. بمعنى آخر: أما لا أخاف من كشف الغطاء، من تركيز الأضواء والنواقص، لعناعتني بأن معرفتها بداية حلها. أما أن تؤخذ قضايا جانبية، أو جزئية، وتعتبر أنها وحدها صورة العرب، فهذا لا يقبل به العقل أو الضمير النزيه، كما لا يصور المجتمع على حقيقته، وبالتالي يبقى سوء التفاهم والحذر"⁶¹.



الفصل الثالث

تطور الرواية

- المبحث الأول : الرواية العربية المترجمة
- المبحث الثاني : الرواية العربي الحديثة

الفصل الثالث : تطور الرواية

المبحث الأول : الرواية العربية المترجمة

والرواية العربية ، بمفهومها الأصولي الذي استقرت عليه في الآداب الأجنبية لا ترقى في بواكيرها الأولى إلى أبعد من بداية القرن الحاليّ مع أن الأدب القصصي بمفهومه العام، قديم متوارث منذ العصر الجاهلي والعصور التي تلتها. وقد تداوله العرب بأشكال وأساليب مختلفة، نوادرَ وحكاياتٍ وأساطيرَ وسيراً ومقامات وأمثالا خرافية وقصصا شعبية وما إلى ذلك من آثار متنوّعة تدخل في نطاق القصص الأدبي بصورة عامة.

"ظهرت الروايات العربية الأولى في سنة 1847 م ، وكانت منذ نشأتها تحت تأثير عاملين : الحنين الى الماضي والإفتتان بالغرب والخضوع لهيمنتها، في بداية القرن العشرين اتسم عدد من الروايات التي كتبت بمراعاة الذوق الشعبي والثقافي للعرب، فظهرت مثلا روايات جورجى زيدان التاريخية المشهورة ، وخطت الرواية العربية خطوة جديدة على يد أمثال جبران خليل جبران وأمين الريحاني ثم ميخائيل نعيمة وفي عام 1914م صدرت رواية 'زينب' لهيكل وهي التي يعتبرها نقاد الأدب الروائي منعظا هاما في مسار الرواية العربية ، وفي نفس هذه المرحلة أصبحت المقياس الغربية هي السائدة في كتابة الرواية العربية لم تدخل في الحيز الأهم والمرحلة الكبرى من مراحل تطورها إلا في الستينات من القرن الماضي."⁶²

وقد مرّت الرواية العربيّة قبل بداية القرن الحالي بطور الترجمة عن الآداب الأجنبية. وفي هذا الحقل يرد ذكر أديب اسحاق، الذي نقل عن الفرنسية رواية 'الباريسية الحسنة' سنة 1884، ونجيب الحدّاد، الذي ترجم في السنة ذاتها رواية 'الفرسان الثلاثة' وطانيوس عبده، الذي ترجم، في العام نفسه رواية 'روكمبول' وأسعد داغر الذي نقل إلى

⁶² لمحة عن ظهور الرواية ، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابع، شتاء ، 1391

العربية في السنة عينها رواية 'بعد العاصفة' للكاتب الفرنسي، هنري بوردو (H. Bordeau) كما نشر هؤلاء وغيرهم العديد من الروايات الأجنبية الشهيرة ، التي مهّدت لظهور الرواية العربية الموضوعية.

المبحث الثاني : الرواية العربية الحديثة

وفي هذا المجال تبرز قصة 'زينب' سنة 1913م لمحمد حسين هيكل في المقدمة البواكير الروائية الأولى، التي توافرت لها الحدود الدنيا من العناصر الفنية الأصولية. ويتوالى ، من بعد، وضع الروايات المتكاملة بقلم طه حسين في 'الأيام' وإبراهيم المازني في 'إبراهيم الكاتب' سنة 1931م وتوفيق الحكيم في 'يوميات نائب في الأرياف' 1937م ، وتوفيق يوسف عواد في 'الرغيف' و'الصبي الأعرج' و'قميص الصوف' وسواهم ممن وضعوا الروايات في مختلف البلدان ، ومختلف الأغراض والموضوعات والإتجاهات، كنجيب محفوظ ومارون عبّود وخليل تقي الدين، والطيب صالح ، وليلى بعلبكي، ويوسف حبشي الأشقر، وهو أيضا من رواد الرواية العربية الحديثة في لبنان. وثمة اليوم ، إلى هؤلاء ، العديد من كتاب الرواية في العالم العربي ممن يطول تعدادهم ، ويحملون رايات الإبداع الروائي الأصولي ، والحديث بكثير من الجدارة والأصالة والإبداع.

وتناقشت الرواية مشاكل الحياة ومواقف الإنسان منها في ظل التطور الحضاري السريع ، وعالجت موضوعات شتى بما فيها موضوعة تاريخية، واجتماعية، وعطفية.

"ان مساهمة نجيب محفوظ في بناء الرواية العربية الجديدة والتميزة لا يماثله أي جهد آخر، فبعد تمارينه الأولى ، وكانت حول تاريخ مصر القديمة، اكتشف المنجم الحقيقي: الحيّ الشعبي والحياة الشعبية، وظل ملازما لهذا المناخ مع تنوع غني وتجديد مستمر، وبذلك وضع الأسس الحقيقية للرواية العربية"⁶³



عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى ، 2001 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

الفصل الرابع

عناصر الرواية

- المبحث الأول : الحدث أو الحادثة
- المبحث الثاني : الشخصية
- المبحث الثالث : الزمان
- المبحث الرابع : المكان
- المبحث الخامس : الحوار
- المبحث السادس : الأسلوب
- المبحث السابع : الحكاية

الفصل الرابع : عناصر الرواية

ومن أهم العناصر الروائية : الحدث، الشخصية ، الزمان ، المكان، الأسلوب، الحكمة، الحوار.

المبحث الأول : الحدث او الحادثة

هو عنصر عام من عناصر الرواية ، هو يصور حالات الشخصيات ويرسم مشاعرها. "وهو جملة من المواقف والانكسارات والانتصارات المتعاقبة التي تتكون من القصة، أو هو تلك السلسلة من الوقائع المسرودة سردا فنيا والتي يضمها اطار خارجي . لأن اركان الحدث ثلاثة : وهي الفعل والفاعل والمعني، فلا يمكن تجزئها، كما يرتبط بالشخصية في الأعمال القصصية ارتباط العلة بالمعلول."⁶⁴

المبحث الثاني : الشخصية

تنهض الشخصية بدور رئيسي في بناء الرواية، ولا يتصور وجود الحدث بدونها وهي التي تقوم بها القصة " فالشخصية هي الكائن الانسان الذي يحرك الأحداث وينهض بها، وبذلك تعانك اشخصية كأداة فاعلة مع باقي الأدوات الأخرى، ليزداد العمل الفني جلاء من خلال التلاحم بين أجزائه وعناصره"⁶⁵.

"إن الشخصية في القصة والرواية تكون مخلوقة ذهن الكاتب لكن هذه الشخصية يجب ان تكون ممكنة الحدوث مع الحياة الواقعية اليومية التي يحيهاها البشر بالفعل."⁶⁶ والشخصية متعددة ، وهي من حيث تكوينها نوعان:

الأول : الشخصية النامية المتطورة وهي الشخصية تتطور وفقا للأحداث ، ولا تبدو للقارئ في صفحة الأولى، وتكتف جوانبها من موقف لآخر، وتبدو منطقية في

64 حسن شوندي و آزاد كريم ، رؤية إلى العناصر الوائية، فصلية دراسات الأدب المعاصر.

65 الدكتور السيد محمد ديب، فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور، المكتبة الأزهرية للتراث، 1995.

66 طه وادي ، دراسات في نقد الرواية ، القاهرة ، دار المعارف. 1994.

تصريفاتها ، ويسهل على القارئ فهمها والحكم عليها ويعود ما يعترها من تناقض الى أحداث الرواية أو ظروف البيئة، وتتميز بقدرتها على اثاره الدهشة والافتناع.

والثاني : الشخصية المسطحة الثابتة: وهي "الشخصية المكتملة التي تظهر في القصة حين تظهر دون أن يحدث في تكوينها أي تغيير، وإنما يحدث التغيير في علاقاتها بالشخصيات الأخرى فحسب، أما تصريفاتها فلها دائما طابع واحد"⁶⁷

وللشخصية الثابتة فائدة كبيرة عند الكتاب والقارئ أيضا "لأنه يستطيع بلمسة واحدة أن يقيم بناء هذه الشخصية التي تخدم فكرته طوال القصة وهي لا تحتاج إلى تقديم وتفسير ولا إلى فضل تحليل وبيان وخاصة في قصص الشخصيات، أما القارئ فإنه يجد في مثل هذه الشخصيات بعض أصدقائه ومعارفه الذين يقابلهم كل يوم"⁶⁸

والشخصيات تعرضون في أبعاد كثيرة منها :

- البعد الجسمي : وهو في صفات الجسم بما فيها من ذكر وأنثى وطول وقصر وبدانة نحافة وصورة الوجه وشكل العين والأنف وإلى ذلك.
- البعد الإجتماعي : وهو يكون في نوع العمل والثقافة والنشاط والطبقة الاجتماعية والدين والجنسية والهواية والظروف الحياتية.
- البعد النفسي : يكون في الفكر والرغبة والاستعداد والسلوك والآمال والعزيمة.

والشخصيات تنقسم إلى نوعين باعتبار دورها :

- الأول : الشخصية أساسية : وهي التي يتحرك ويتقدم بها الكاتب.
- الثاني : الشخصية الثانوية : وهي التي يأتي بها الكاتب عندما يحتاج إليها ثم يتخلى عنها.

د/ عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنونه، ص، 192.

68 فن القصة ، محمد يوسف نجم، بيروت، 1979، دار الثقافة.

أما الأشخاص الذين ينخرطون في تكوّن الحادثة ومجراها فيختلف عددهم من رواية إلى أخرى. وتختلف كذلك أهميتهم من شخص آخر. وإحياء الأشخاص في الرواية مرهون بإدراك القصاص لدقائق النفس وطبائعها وانفعالاتها وبالقدرة على ضبطها وإبرازها لا بالتحليل النظري والوصف المباشر فحسب. وإنما عليه، انسجاماً مع غرض الرواية وطبيعتها الشخصية أن يرسم دواخل النفوس بالتصرفات السلوكية بالحركات والإشارات والكلمات. هكذا يُمسي قادراً على خلق شخصيات حيّة تكاد تراها وتلمسها وتبقى مماثلة في الأذهان، كأنها عاشت فعلاً، وكان لها وجودٌ حيّ من لحم ودم.

المبحث الثالث: الزمان

يشكل الزمان أهمية كبيرة في سيطرته على الحوادث ، وتحريكه للشخوص. وتزداد أهميته في بعض الأنواع كالرواية التاريخية، أو الرواية التي تحكي مرحلة زمنية محددة يرصد فيها الكاتب قطاعاً من الحياة في إحدى فترات التحول والانتقال . والزمن ينقسم إلي القسمين الأول: زمن الأحداث أو الزمن الخارجي . الثاني : الزمن الرائي أو الزمن الداخلي.

المبحث الرابع: المكان

يعد المكان إحدى جزئيات الخلفية التي تعكس وقوع الأحداث وحركة الشخصيات ونمو الصراع، ولا يمكن للراوي أن يبني حكايته مجردة من البيئة المكانية بل يجب عليه أن يرصد ما يطرأ عليها من متغيرات أثناء الزمن ، كما أن موضوع الرواية يرتبط بمكانها. وينعكس أثر المكان على اللغة التي يتخاطب بها الشخص أو يتعامل بها الكاتب على ألسنتهم، فالحوار في البيئة الريفية يختلف عنه في البيئة الراقية، حتى لو كانت اللغة هي الفصحى في التعبير عن البيئتين، كما تختلف علاقة الراوي بالمكان من لآخر، ومن

رواية الى أخرى. "وكل حادثة لا بد أن تقع في مكان معين وترتبط بظروف وعادات ومبادئ، خاصة بالمكان الذي وقعت فيه"⁶⁹

المبحث الخامس : الحوار

ومن تقنيات الرواية الحوار. فالحوار واجب في القصة لأنه وسيلة أسلوبية تُثلى تضع القارئ وجها لوجه مع الأشخاص. وينهض الكاتب من خلال الحوار بالكشف عن خبايا شخصه ، واطهار ما بينهم من صراعات مختلفة ، وهو من أبرز الفوارق بين الرواية والمسرحية ، وهو عنصر أساسي في البناء العضوي للرواية. "هو الجزء الذي يقترب فيه الروائي أشد الاقتراب من الناس ، ويزيد في حيوية الرواية المكتوبة ، وهو على قدر عظيم من الأهمية وله قيمة عظيمة أيضا في عرض الانفعالات والدوافع والعواطف"⁷⁰

والحوار نوعان، الأول : حوار مع الغير " وهو لا يعني أن يكون بين شخصين ، بل يمكن أن يكون بين فرد وجماعة ، أو جماعة مع جماعة أخرى." ⁷¹ والثاني ، حوار مع النفس "وهو حديث بلا صوت ، يدور في إطار العالم الداخلي للشخصية ، وفيه تكلم الشخصية نفسها بحديث خاص جدا ويستخدم الكاتب هذا النوع من الحوار الداخلي ليكشف لقارئه ما يدور في داخل الشخصية من مشاعر وأفكار ذاتية ، ويوضح ما يدور في الباطن بعد أن أظهر ما يدور في العلن." ⁷²

المبحث السادس : الأسلوب

الأسلوب فهو خاص بالكاتب ، ويتميز بها الراوي على غيره، يختلف الأسلوب بين رواية وأخرى، وبين كاتب وآخر. أن الأسلوب هو الطريقة بينما اللغة في الوسائل التي

⁶⁹ عزيزة مريدن، القصة والرواية ، بيروت ، دار الفكر ، 1980.

⁷⁰ النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ص 125.

⁷¹ طه وادي ، دراسات في نقد الرواية ، القاهرة ، دار المعارف. 1994.

⁷² المصدر نفسه.

يمتلكها كل كاتب. تعرفه الدكتور محمـج نجم " أسلوب القصة هو الطريق التي يستطيع بها الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه، لتحقيق أهدافه الفنية "73

اللغة : " هي الوسيلة التي يتعامل الناس في حياتهم اليومية ، ومن ثم وسيلة الأديب الوحيدة في التعبير وتوصيل الأفكار، وتحتل اللغة المرتبة الأولى في النص الأدبي وخاصة الرواية."74 تختلف لغة الرواية عن لغة الشعر وغيره، وأهم من مميزات في لغة الرواية هو بساطها وخلوها من القافية والمحسنات. "ولا يفرق الكثيرون في حديثهم عن الرواية بين لغتها وأسلوبها."75

المبحث السابع : الحكبة

وهي المشكلة التي يواجه بطل القصة ويتوجب عليه ايجاد الحل لهذه العقدة في نهاية القصة. " هي التي تعطي كاتب القصة تصور عام عن كيفية التي يريد من خلالها أن يقدم الحدث الذي في الرواية للقراء، تعتبر بداية الصراع هي بداية الحكبة ، والحدث المبدئ هو المرحلة الأولى في الصراع بعد المقدمات والتعريف بالشخصيات طبعاً ونهاية الصراع هي نهاية الحكبة "76



73 د/ محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص 113.

74 نادر أحمد عبد الخالق ، الرواية الجديدة ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2009.

75 الدكتور السيد محمد ديب، فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور، المكتبة الأزهرية للتراث، 1995.

76 www.wikipedia.com

الفصل الخامس

أنواع الرواية

- المبحث الأول : رواية البطولة
- المبحث الثاني : رواية التاريخية
- المبحث الثالث : رواية النفسية
- المبحث الرابع : رواية الإجتماعية
- المبحث الخامس : رواية الفلسفية
- المبحث السادس : رواية الأسطورية

الفصل الخامس : أنواع الرواية

المبحث الأول: رواية البطولة والمغامرات

وهي تُعنى بسرد أخبار خارقة في الشجاعة ، واقتحام المخاطر والرحلات الغريبة النادرة. "ويدخل في نطاق هذا اللون الروايات البوليسية ذات الرواج الكبير في مختلف اللغات، لما تشتمل عليه من سرد ممتع وتشويق بالغ ومخاطر جمّة تعترض أبطالها وتهدّد حياتهم ولما تنطوي عليه من لغز يُحيط بحادث اغتيال أو سرقة ينبغي الكشف عنه".⁷⁷

المبحث الثاني : الرواية التاريخية

الرواية التاريخية وهي تدور حول أحداث مستقاة من التاريخ القومي، أو العالمي، ومن شأنها إحياء حقبة مهمّة من ماض عريق سالف ، بأبطالها وبيئتها ، والغرض منها غالبا هو الحثّ على الاستمساك بالتراث وبعث أمجاده ، لمحاكاتها والتمثل بها في مجرى التاريخ الحاضر والمستقبل. "كان ظهور الرواية التاريخية في الأدب العربي بادئ الأمر عن طريق الترجمة والاقتباس، فالنصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد نشاطا بالغا من التعريب الروائي، فقام الأدباء العرب بالتعريب والاقتباس في محتوى الروايات الأوروبية، منهم نجيب حداد الذي عربّ الفرسان الثلاثة لألكسندر ديماس وصلاح الدين لوالتر سكوت التي تصرف فيها وحولها لنص مسرحي. ويرى جورجى زيدان أن العرب رحبوا بالروايات الأوروبية التي رأوها ستحل محل القصص الشعبية الخرافية المتداولة بين العامة في تلك الفترة، كقصة علي الزبيق، والملك الظاهر ببرز، وبني هلال وغيرها، باعتبار الروايات التاريخية الأوروبية أقرب للعقول بما يتماشى وروح العصر، ولكون جورجى زيدان صاحب مجلة الهلال التي كانت تنشر العديد من الروايات الأوروبية المعرّبة، فإنه أسهم في الكتابة الروائية المبكرة، وسيأتي الحديث عنها

⁷⁷ د/ ميشال عاصي و د/ إميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في اللغة والأدب، ج - 1 ، دار الملايين، بيروت.

لاحقاً⁷⁸ و "يظهر ان اكثر الذين كتبوا في هذا الباب استمدّوا موادهم مواضيعهم من تاريخ العرب والاسلام يمثلهم بل يمشي في طليعتهم اثنان هما جرجي زيدان ومعروف الأرنؤوط"⁷⁹

"ونتيجة هذا التهافت على الروايات المعربة، برز سليم البستاني [1881-1848] مترجم إلياذة هوميروس، كرائد في الكتابة الروائية التاريخية بروايات تدهش القارئ وتأتي بالمفاجآت على حد تعبير مارون عبود، ولقد نشر إنتاجه الغزير من الروايات في مجلته الجنان منها التاريخية: زنوبيا 1871، بدور 1872 والهيام في فتوح الشام 1874. وقيل إن هذه المجلة تعتبر المجلة الأولى العربية التي اهتمت بالروايات المترجمة والقصص التاريخية، والهدف الذي يتوخاه البستاني من أعماله الروائية هو التثقيف وتعليم التاريخ، بالإضافة إلى التوجيه والإرشاد. ويعتبر النقاد والباحثون أن زيدان هو الأب الفعلي للرواية التاريخية العربية، ورائدها الذي مهّد الطريق لغيره، وهو أول من أدخل هذا الفن الروائي للأدب العربي والسباق بوضع تاريخ أمة، وهو التاريخ العربي الإسلامي، في سلسلة روائية"⁸⁰.

"ومن الجيل الثاني يقتحم علي أحمد باكثير التاريخ الإسلامي، لينتقي منه قضايا وموضوعات روايته وإسلامه 1952، التي استمدت من تاريخ معركة عين جالوت مادتها، محتفياً بفكرة الجهاد في سبيل الله، مشيداً بانتصار المسلمين على التتار برواياته الكثيرة منها سلامة القس والثائر الأحمر. ونستطيع القول إن الرواية التاريخية شاعت في الإبداعية العربية خلال فترات معينة من القرن الماضي، كمحاولة للبحث عن الذات القومية القوية المنتصرة أو البحث عن دواء شاف للمحن التي تتعرض لها الأمة، أو لأجل التمني والحلم بالانتصار خلال فترات الانهزام، وتجاوزت ذلك في العصر الحالي حيث أصبحت تجسّد قضايا عالمية معاصرة بإسقاط ذاك الماضي على الحاضر وتفسيره"⁸¹

78 سليمة، الرواية التاريخية بين التأسيس والصورورة، ، مجلة عود الند، المجلة الثقافية الشهرية، 4212 - 1756 issn العدد 93.

79 أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1984.

80 الرواية التاريخية بين التأسيس والصورورة، سليمة، مجلة عود الند، المجلة الثقافية الشهرية، 4212 - 1756 issn العدد 93.

81 المصدر نفسه.

المبحث الثالث : الرواية النفسية

الرواية النفسية ويسعى فيها القصاص بالدرجة الأولى ، إلى تحليل المشاعر والنزعات الفردية والجماعية. وهو لون راج كثيرا في الآداب الغربية ، لا سيما في الأدب الفرنسي في أواخر القرن الماضي وبدايات هذا القرن. "وهو رواية تكون فيها الأحداث مسجلة، على نحو ذاتي، في ذهن واحد أو أكثر من شخصياتها، وتلعب فيها عمليات الوعي دورا مشوقا يعدل دور الأحداث الخارجية أو يفوقه أهمية. وفي الرواية النفسية تقدم الأحداث، لا وفقا لتسلسلها الزمني، ولكن كما تتداعى في ذهن البطل أو غيره من شخصيات الرواية. نشأت في الفترة التي طلع خلالها (فرويد) بنظرياته النفسية، ولكنها لم تكن بالضرورة نتيجة لذلك. ثم بلغت أشدها في القرن العشرين. من أبرز ممثليها مارسيل بروسست وجيمس جويس وفرانز كافكا."⁸²

المبحث الرابع : الرواية الاجتماعية

الرواية الاجتماعية، وهي تُعنى غالبا بتصوير العادات والتقاليد ورصد الاتجاهات المتناقضة في حركة المجتمع وتطوره . وهي تشتمل في الوقت ته على قدر كبير من التحليل النفسي، الفردي والاجتماعي إلا أن هدف الكشف عن الأوضاع الاجتماعية هو الغلب بإطلاق. وقد لعبت الرواية الاجتماعية دورا كبيرا في بلورة الوعي ودفعه إلى الالتزام السياسي في الصراع الدائر على السلطة ، وبين الأنظمة والاحزاب المتنافسة.

"وهي أوسع أنواع القصص الحديثة انتشارا. وأكثر ما يعالجه كُتاب العصر. ومما يلاحظ أن الثلاثين سنة الأخيرة قد شاهدت تحولا ظاهرا في القصة الاجتماعية. فمنذ القرن الماضي حتى نهاية الحرب العالمية الأولى في قرننا الحالي كانت النزعة الرمانتكية هي السائدة فيها، فكان القصاصون اميل الى الموضوعات العاطفية او الخيالية المثيرة ، فيترجمون أو يكتبون قصص المغمرات والفواجع والعلاقات الغرامية وما يتصل بالفضائل او المضائب الانسانية. ولكن اوضاع الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي سببتها

الهربان الأولى والثانية صرفت الأقاليم الى معالجة هذه الأوضاع. فأصبحت القصة تستمد أو تستلهم من واقع المجتمع" ⁸³.

وللرواية الاجتماعية وجهات ثلاث : اقليمية، وعمومية ، وشخصية . ويراد بالاقليمية ما يستمد الكاتب من واقع اقليم او بلد خاص، مثل روايات 'زينب' لمحمدحسين هيكل و'زقاق المدق' لنجيب محفوظ، و'الرغيف' لتوفيق يوسف عواد. والعمومية هي ما لم يتركز الكاتب على اقليم خاص كما فعل يعقول الصروف في روايته 'فتاة مصر' و'فتاة الفيوم'. والشخصية هي ما يستمد الكاتب من اختبار شخصي ، وهي تصطبغ أحيانا بصبغة عاطفية تضعها في صف الروايات الرومانتكية مثل 'الاجنحة المتكسرة' لجبران خليل جبران و'قدر يلهو' لشكيب جابري.

المبحث الخامس: الرواية الفكرية والفلسفية

الرواية الفكرية والفلسفية ، وقصدُ الكاتب من ورائها نشر مبدأ أو مناهضة فكرة. والغاية البعيدة هي الاقناع عن طريق السرد الإخباري الممتع. وأشهر من كتب في القصة الفكرية والفلسفي الادبي الفرنسي الساخر 'فولتير' (1696 - 1778م) وأبرز كتاب العرب، في هذا المجال ابن طفيل (1185م) في 'حي بن يقظان'. "وهي تدور على شخص وُلد ثم ترك وهو طفل رضيع في جزيرة لا يسكنها احد من البشر. فحنّت عليه ظبية وارضعته حتى نما وصار قادرا على الاعتناء بنفسه . ولكنه نما لا يعرف انسانا ولا علما. ومع ذلك استطاع بالموهبة العقلية التي اودعها الله فيه ان يرتقي الى معرفة الله . وذلك عن طريق المشاهدة والتفكير والاستدلال بالمحسوس على المعقول . وغاية الكاتب من هذه القصة هي ان يبين ان العقل البشري يمكنه الوصول الى الكمال بمجرد التفكير الذاتي دون نقل او تعليم." ⁸⁴ ومن هذه القصص 'قصة الانسان والحيوان' في رسائل اخوان الصفا و'رسالة الغفران' للمعري.

⁸³ الفنون الادبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1984.
⁸⁴ المصدر نفسه.

وفي العصر الحديث يمكن اعتبار 'فرانسيس مراث' أول رند للرواية الاجتماعية الفلسفية لروايته 'غابة الحق' في 1865. وفرح أنطون هو العَلْمُ في هذا النوع من القصص، ففي رواياته 'المدن الثلاث' و 'الوحش الوحش الوحش' و 'أورشليم الجديدة' يتناول شتى المسائل الاجتماعية والفلسفية. ومن رجال هذا الفن ميخائيل نعيمة وأحدث رواياته الفلسفية 'اليوم الأخير'.

المبحث السادس : الرواية الخيالية والأسطورية

وهي تتناول الأحداث الخارقة المتخيّلة من المآثر الأبطال ، والمغمرين ورؤاد الفضاء الكوني وسوي ذلك مما يؤثر في المعتقدات الشعبية الخرافية، ومما يستجيب لرغبات النفس لا سيما الاطفال والفتيان . "وقد يتوخّاها المؤلفون لأغراض تعليمية وأخلاقية، وقد يتوسّلونها لأغراض علمية وترفيهية. وهي في كل حال مستحبة لغرابة أحداثها، ولأجوائها البطوليّة الساحرة."⁸⁵



الباب الثالث

المجتمع البدوي وتطوره

- | | | |
|--------------|---|-----------------------------------|
| الفصل الأول | : | البدو والبدو |
| الفصل الثاني | : | خصائص البدوي |
| الفصل الثالث | : | هيئة البداوة |
| الفصل الرابع | : | العناصر الاجتماعية
والاقتصادية |
| الفصل الخامس | : | توطين البادية |

الفصل الأول

البدو البداوة

- المبحث الأول : دلالاته ومفهومه
- المبحث الثاني : البداوة البدائية

الفصل الأول: البدو والبدواة

المبحث الأول : دلالاته ومفهومه

تستعمل كلمة البدواة للدلالة على أسلوب الحياة ونمطها في البادية، وعلى تأثير الإنسان فيها بالبيئة حوله، حيث يكثر الترحال والتنقل وفقاً لضرورات المعيشة التي تفرضها الطبيعة والتي تختلف من فصلٍ إلى آخر على مدار السنة. "ترجع كلمة بدو في العربية إلى كلمة البادية بمعنى الصحراء ويقال 'بدا القوم بدواً' أي خرجوا إلى البادية، والبادية هي خلاف الحضر، فالبدو هم سكان البادية"⁸⁶. فكلمة 'بدا' معناه ظهر ووضح، وأبدى الأمر معناه أظهره وبدا الشخص معناه خرج إلى البادية وأقام في البادية.

البدوي هو ساكن البادية والصحارى، بما فيها الصحاري الرمال و الصخرية والسهوب والصلبة، أما الماء فلا يوجد فيه إلا في مواقع متفرقة، وفي أغلب الأحيان، تبعد بعضها عن بعض ساعات بل أياماً. البدو هم قبائل رحل، يتخذون نمط حياة خاص، ينتقلون من موقع الذي تتوافر فيه المراعي والمياه إلى آخر، فور ما يقلع الموقع الذي تركوه عن تقديم الكلاً والماء للقطعان معهم. "ويعرّف ابن خلدون البدو على أنهم من يعيش خارج المدن وهم السكان الذين يشتغلون بمهنة الرعي والمقتصرون على الضروري من حاجاتهم"⁸⁷. "ويرتبط البدو مع بعضهم برابطة قوية قائمة على القبيلة التي مصدرها رابطة الدم. و القبيلة هي وحدة اجتماعية متماسكة تتكون من مجموعة من الأفراد الذين يسكنون بقعة جغرافية معينة ويتمتعون بنوع من الاستقلال السياسي. ويتكلم أفرادها لهجة معينة تميزهم عن غيرهم"⁸⁸.

"والبدواة هي نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان طلباً للرزق و يتوقف مدى استقراره على كمية الموارد المعيشية المتاحة في الأرض"⁸⁹. "ويجب الملاحظة هنا أن علماء الاجتماع قسموا البدواة إلى درجات. فهناك ما يسمى بالبدواة ونصف البدواة؛

86 جبور، جيراني: البدو والبادية، بيروت، دار الملايين ص: 32

87 ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، دار النهضة، مصر.

88 الحسن، احسان محمد: موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات.

89 صابر، محيي الدين ولويس مليكة: البدو والبدواة مفاهيم ومناهج، سرس اللبان 1966.

ونقصد بها الهجرة. لأن نصف البداوة هي ما اعتمد على الهجرة، كون الهجرة وعدم الثبات على بقعة معينة من الأرض يتطلب الاحتكاك الحضاري والاجتماعي بمجموعات أخرى، وهنا فإن نصف البداوة تخالف البداوة بمفهومها الشامل المتمثل بنوع من نمط الحياة المتماثل، لأن نصف البداوة تعتمد على الخروج من المجتمع المحلي عن طريق الهجرة والاتصال بمجموعات أخرى جديدة"⁹⁰.

أما مفهوم البداوة فلا يأتي، في اللغة العربية، من التنقل والترحال، وإن كان مبنياً عليهما، لأن معناه الظهور، وكلمة البادية تسمية عربية قديمة، جاءت من الأصل الثلاثي بدا بمعنى : ظهر، والبادية اسم للأرض التي لا حضر فيها، وقد يقال 'قد بدّوا' إذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحاري وكذلك يطلق العرب على البدو تسمية 'الأعراب' إذا دخلوا البادية وسكنوا فيها.

المبحث الثاني : البداوة والبدائية

والعلامة الواضحة على هذا التكوين الاجتماعي هي البداوة، والبداوة هي أقدم طريقة اجتماعية للحياة عرفه الإنسان منذ بدايته. ومن الملاحظة أن بعض الباحثين في العلوم الاجتماعية لا يفرق بين البدائية والبداوة بدقة.

وقد ذكر بعض العلماء أن البداوة: "أقدم نمط اجتماعي للحياة عرفه الإنسان فهي أول سعي له في التكيف مع الشروط الطبيعية. فبالبداوة افتتح الإنسان صلته بالبيئة من حوله، ينتزع منها رزقه، فطلبه متطفلاً على مائدة الطبيعة المبسوطة أمامه في كرم واسع حيناً، وفي شح ضيق حيناً آخر، يجمع ثمار الأشجار من على وجه الأرض يطعمها، ويعالج جذور النباتات في باطن الأرض فيتبلى بها غير أن هذه الخصائص والشروط تنطبق على المجتمعات البدائية أكثر من انطباقها على مجتمع البداوة، فإذا اعتمد مبدأ استخدام التقنيات في إنتاج الطعام معياراً للتفريق بين المجتمعات البدائية ومجتمعات البداوة لوحظ الفارق الكبير بين الأشكال الأولى التي لجأ إليها الإنسان للتكيف مع الطبيعة

صابر، محيي الدين ولويس مليكة: البدو والبداوة مفاهيم ومناهج، سرس اللبان 1966.

وبين الأشكال المستخدمة في مجتمع البداوة، فاستخدام النار والطهي والتفريق بين الحيوانات التي تصلح لأن تكون غذاء والحيوانات التي لا تصلح لذلك، هذه الأمور لم تكن معروفة في المجتمعات البدائية كما هي واضحة تماماً في مجتمعات البداوة والمجتمعات المتطورة الأخرى⁹¹.

فالبداوية صفة قوم يستخدمون معدات وأدوات من عصور قديمة كما في فئة الصيادين، ومن يعتمدون على مهنة الجمع والالتقاط هم أقرب إلى البدائية منهم إلى البداوة بدلالة الاختلاف في استخدام التقنيات، وأشكال صنع الطعام. والبداوة هي التي تتم فيها عملية التنقل والترحال، والتي تأتي حركة التنقل ضمن حيز جغرافي محدد تنتمي إليه العشائر المتنقلة. والبادية في اللغة العربية ليست من البدائية، ولاهي من التنقل والترحال غير المحدد المعالم، إنما هي من التبدلي أي الانتقال والترحال إلى البادية، والتحضر من الانتقال إلى الحضر. وعلى هذا المفهوم ان الانتقال من مدينة إلى مدينة أخرى، وإن اقترن بغياب المسكن المستقر، ليس من البداوة في مصطلحات اللغة العربية.



الفصل الثاني

خصائص مجتمعات البدوية

- المبحث الأول : خصائص عامة
- المبحث الثاني : أهم خصائصهم

الفصل الثاني: خصائص مجتمعات البدوية

المبحث الأول: خصائص عامة

يفخر البدو أشد الفخر بحرية حياتهم ويمتلكون شعورا شديدا باستقلاليتهم ، وفي نظرهم ، لا يوجد ما يعلو على الحياة في الصحراء. ان البدوي لا يتخلى الا في حالات الضرورة الكبيرة بازدراء الى البدو نصف المستقرين. وهم يعتزون بنقاء نسبهم وأصلهم ، وقد اهتموا على نسب الأب وكذلك على نسب الأم أيضا. ويجب عليهم أن يلتزم بالقبيلة وبقوة القرابة الدموية.

وتشد البدو جميعهم بعضهم الى بعض نحو سكان المدن وفلاحي العرب، ويعتبر البدو الغزو واعمال السلب والنهب أفعالا بطولية في حياتهم الطليقة. ولهذا السبب يري سكان المدن العرب في البدوي عدوا خطرا حتي أن العرب خوفوا أبناءهم بالبدوي. فأدى هذا الى أن يرى ساكن المدينة أمرا خطرا في رحلات عبرا الصحراء وأن قصرت علاقات الصداقة بين الشيوخ البدوي وساكني المدينة. وفي مقابل لهذا يخشى البدوي أن يذهب الى المدن لأن عليهم ترك أسلحتهم والسكن في المنازل بدل الخيام. فقصرت زيارتهم المدن أو كانت نادرة حتي في بداية التطورات في هذا المجتمع. البدوي لا يشعر بالراحة الا إذا عاد الى الصحراء.

المبحث الثاني : أهم خصائصهم

◀ ينشأ البدوي منذ طفولته على الفروسية والقتال وعلى المخالفة تجاه سائر الضروب والآلام، وتكون حياته قاسية لانها تتكون من صراع متواصل في مواجهة الطبيعة والبشر.

◀ ومن عادات البدوي الثأر، وهو يمارسه بالطريقة ذاتها التي كان عليها في الجاهلية. فمقابل القتل من قبيلة ما يجب أن تقتل أحد من القبيلة التي قتلتها. لا يلزم الثأر أسرة القتل بل يلزم القبيلة بأسرها.

- ◀ يحتفظ البدوي على صفات قيمة ومن أهمها الانسانية ، ومنها الفروسية وعزة النفس وحرصها.
- ◀ واکرام الضيف إحدى أجمل صفات البدوي ولذلك يعد كرم البدوي مضرب المثل لأنه بشكل خاص من واجبات الشيخ، فهو يستقبل الضيوف في خيمته وكأنه أمير حتى اذا كان لا يستطيع أن يقدم لهم غير الحليب والتمر. وكذلك عادة تقديم الحماية حتي للعدو.
- ◀ ينظم البدويون أمورهم حسب قوانين الصحراء غير المكتوبة، فالقضاء يديره الشيخ لأن القبيلة ليست فقط جماعة سياسية بل جماعة قضائية.
- ◀ شيخ القبيلة فهو أمير القبيلة وقاعدها، والمشيخة تورث عادة من الأب .
- ◀ ولا يوجد بين البدو غير عدد قليل من يحسنون القراءة والكتابة.
- ◀ والبدو المسلمون يلهجون على الدوام بذكر الله ويسامحون بوجه عام تجاه غير المسلمين وفقا على تقاليد الاسلام.
- ◀ تقتصر المهارات اليدوية لنساء على غزل ونسج أقمشة خام لصنع الثياب.
- ◀ ويشتري البدوي الأدوات التي يحتاج اليها مثل قدر ومقلاة وابريق القهوة وفنجان وادوات الزينة وكل ما يستخدمونه من سلاح.
- ◀ ولا يبيع البدوي فرسا من أفراسه الا على ضرورة الحال، لأنها تلعب الفرس دورا كبيرا في حياة البدو.
- ◀ يمتلك الشيوخ خاصة نساء عديدات، لأن الاسلام يسمح لهم بأربع زوجات في وقت واحد ولأنهم يحتاجون الى تزييد عدد أبناء، لأن الاولاد يساعدهم في القتال.

◀ وللبنات لهن بدورهن قيمة كبيرة لأن البدوي يقدم الى والد الفتاة التي يريد الزواج منها تعويضا في شكل جمال وخيول أو خراف. وفي أيام الماضي كان بعض الشيوخ يمتلكون عبيدا من الزنوج.

تعارض خصائص البدوي مع المفاهيم للحضارة الاوربية ومع مفاهيم عرب المدن رغم هذا كله الرجل البدوي يحترم علاقة الأخوة ويفي بالوعد الا في حالات نادرة جدا. "ولعل ما يميز المجتمع البدوي عن غيره من المجتمعات كونه يعتمد على الأرض في استدامة الحياة، ويتسم بالبساطة الاجتماعية والاقتصادية والتي ترجع إلى قلة الفروق بين أفرادها وقلة الحاجات المادية والتي لا تتعدى الضرورات الأساسية كالغذاء والملابس"⁹².



الفصل الثالث

هيئة البداوة

- المبحث الأول : توزيع البداوة الجغرافي
- المبحث الثاني : الإختلافات بين القبائل

البدوية

الفصل الثالث : هيئة البداوة

المبحث الأول : توزع البداوة الجغرافي

يعيش البدو على شكل قبائل وعشائر تنتقل في الصحراء بأسرها، أي في تلك المنبسطة العملاقة داخل بلاد ما بين النهرين وسورية والجزيرة العربية ، حيث توجد مواقع رعي صيفية وشتوية محددة. ويشكل الترحال الدائم سببا في الاحتكاكات، والصدمات الحربية، والغزوات المتواصلة بين البدو. ويعرف رؤساء شيوخ القبائل البدوية بالأمراء، "يتحدر لقب الأمير الرسمي بصورة دائمة على وجه التقريب من زمن العصر العربي الوسيط، وخاصة من حقبة سلاطين المماليك في مصر، الذين خلعوا هذا اللقب على شيوخ البدو الكبار، ممن قدموا لهم خدمات جليلة. ثم صار لقباً وراثياً انتقل الى جميع أفراد أسر هؤلاء الشيوخ. لذلك نجد هذا اللقب لدى قبائل مختلفة في سورية وفلسطين ، كان الزمان قد غدر بها ، بعد ان كانت قوية جدا في الماضي، ملثما حدث مثلا لشيوخ الفضل. ومن جانب آخر ، حرص الأتراك على منح أمراء البدو المهمين لقبى بيك أو باشا"⁹³.

والقبائل البدوية الكبيرة جميعها ، تنقسم الى قبائل أصغر وتنقسم بدورها الى قبائل فرعية على رئاسة الشيوخ ورؤساء القبائل. ويكون هناك لكل عشيرة علامة ملكية عرفت بها على الدوام ، تدمغ بها دوابها ، وبالأخص منها جمالها. وكذلك لديها صيحتها الحربية، وهي ضرب من نداء يطلقه الحناجر أثناء القتال.

فالبداوة تنسب عادة إلى حيز جغرافي محدد نادراً ما تتجاوزه تنقلات البدو ورحلاتهم، بحسب الشروط التي تقتضيها فصول السنة، لذلك لا تأتي حركية البدو عشوائية بحسب ما تقتضيه شروط الترحال، إنما تأخذ طابع التنظيم والإعداد تبعاً لمقومات كل موقع من المواقع التي تنتقل فيها العشائر، وتبعاً لخصائص الموقع الطبيعية

⁹³ البارون أوبنهايم، البدو، الجزء الأول، 1937

والإنتاجية. عندما يصعب للكأ للقطعان خاصة في شمال الجزيرة العربية خلال شهر مارس، يرتحل البدو على مقربة من حافة السهب والأرض الزراعية ، ويخيمون لهم مقرات صيفية وينصبون هناك مضاربهم وهي من ثلاثة إلى خمسة أشهر.

كذلك يذهب بعض المفكرين إلى التفريق بين ثلاثة أشكال للبدوة هي: " فئة الرعاة، وفئة الصيادين، وفئة الباعة. أما الفئة الأولى التي تعتمد في معاشها على تربية المواشي فتتزل حيث تجد الماء والكأ، حتى إذا نضب الماء أو نفذ الكأ نزحت عن المكان وأخذت تبحث عن غيره. وفئة الصيادين التي تعتمد على الطرائد فتتبعها حيثما تجدها، وقد يكون ترحال هذه الفئة يومياً، وقد يكون شهرياً أو موسمياً. وكثيراً ما تستقر جماعاتها في أرض بعينها مدة طويلة إذا أسعفتها في ذلك شروط العيش. والفئة الأخيرة فئة الباعة التي تعتمد في حياتها على بيع المنتجات الأولية، أو أداء بعض الخدمات للمجتمعات الحضرية"⁹⁴.

تعتبر الجزيرة العربية مهد البدو، الذي انطلقت هجراتهم منه نحو الشمال والشمال الشرقي ، ووصلت إلى داخل بلاد فارس. مع ذلك ، يعيش البدو أيضا في سائر أرجاء شمال افريقيا وينتشرون في بقاع المغرب، وهؤلاء هم أخلاق بني هلال وسليم، القبيلتين اللتين توجهتا في القرن الحادي عشر الميلادي من مصر نحو الغرب، واقتحمتا طرابلس الغرب وتونس والجزائر وجزءا من المغرب، وامتزاجا، بمرور الوقت، مع الأقوام التي اخضعناها، وإن كانا لا نزال نجد تقاليد بدوية، نقية من جوانب كثيرة، لدي جميع قبائل شمال أفريقيا العربية تقريبا. بل إن بعضها يعيش اليوم أيضا في خيام ، ويترحل من مكان الى آخر مع قطعان من الجمال، رغم أن معظم أبنائها صاروا مربى أغنام.

" فضلا عن البدو الرحل ، يوجد عدد من القبائل على حدود السهوب الصحراوية ، كانت في الماضي قبائل رحلا، لكن قبائل أقوى منها أزاحتها شيئا فشيئا عن مراعيها ، فأقلعت عن التجوال في الصحراء الشاسعة، وانتقلت إلى تربية الأغنام، وبدأت بممارسة أعمال زراعية على حافة الأراضي الزراعية. في موطنها الجديد هذا، يعيش جزء من

القبيلة في أكواخ أو خيام ، بينما يرتحل الجزء بقية العام، دون أن تتوغل، مع ذلك ، عميقا في الصحراء ، شأن البدو الأقباح. هذه الظروف تنطبق على سورية وبلاد الرافدين العليا والسفلى، وخاصة في مناطق ضفاف نهري الفرات ودجلة الكبيرين. وتتطور بطريقة مشابهة حياة القبائل نصف الرخل في مناطق زراعة النخيل داخل الجزيرة العربية⁹⁵.

يفرق الباحثون بين ثلاثة أشكال رئيسية للبدوة بالمعنى الواسع لها، ويعد العامل الاقتصادي معياراً أساسياً في هذا التمييز، غير أن أثر العوامل البيئية غالباً ما يبرز في العامل الاقتصادي وبنمط الإنتاج الأساسي المعتمد بين السكان. وتعد مهنة الصيد والقنص، من أقدم المهن التي هي الأساس الاقتصادي للبدوة في شكلها البدائي، وتأتي مهنة الزراعة المتنقلة في الموقع الثاني، وأكثر تطوراً، ثم مهنة الرعي، وتربية المواشي التي تضع البدوة في أعلى مراحل تطورها.

ويلاحظ أن ظاهرة البدوة تختلف في انتشارها بين دول الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق والمغرب العربي اختلافاً بيناً، فهي أكثر انتشاراً في الجزيرة مما هي عليه في العراق والشام، حيث تزداد نسبة السكان المستقرين في المدن والمناطق الحضرية الذين زالت عنهم صفة البدوة من حيث كونها نشاطاً اقتصادياً، ومن حيث كونها تنظيمياً اجتماعياً، وصار السكان فيها يتميزون بأعمالهم، ومهنتهم ونشاطاتهم الاقتصادية، ولم يعد للانتماء العشائري القوة نفسها الملحوظة في الحجاز واليمن والخليج العربي التي يظهر فيها التنظيم الاجتماعي للبدوة حتى بين سكان المدن والمراكز الحضرية، ويميل فيها البدو إلى الاستقرار والانتقال من مرحلة البدوة إلى شبه البدوة⁹⁶.

المبحث الثاني : الإختلافات بين القبائل البدوية

وما كانت الإختلافات بين القبائل البدوية في الأيام الماضية، للتحويلات السياسية في الجزيرة العربية ، بل كانت للعثور على مراعي أفضل. ونجح البدو بأسلوب حياتهم في عصر انهيار الخلافة العباسية، وقبل وقوع الغزو السلجوقي التركي، في إقامة دولة

95 البارون أوبنهايم، البدو، الجزء الأول، 1937

96 الموسوعة العربية، (on 10/09/2015 10 am) <http://www.arab-ency.com/ar/>

خاصة في سورية وبلاد ما بين نهريين، التي امتدت حكومتها الى قرن وكذلك حدث في الموصل وحلب وغيرهما.

" في العصر الحديث ، أحدث صعود الوهابية ، كجماعة دينية تهدف الى بناء دولة ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، انقلابات كبرى بين البدو. صحيح ان الدولة الوهابية التي أقامها آل سعود في الرياض في جنوب القسم الداخلي من الجزيرة العربية لم تكن دولة بدوية صرفة، إلا أنها عرفت كيف تفرض سيطرتها على بدو الجزيرة العربية بأسرها، وبدو المناطق الشمالية المتاخمة لها. وكان آل سعود الوهابيون قد أخضعوا في مطلع القرن التاسع عشر شبه الجزيرة العربية بأكملها تقريبا. كما احتلوا لبعض الوقت مدينتي الاسلام المقدستين: مكة والمدينة. لكن قوة المملكة الوهابية ما لبثت ان دمرت في النصف الثاني من القرن على يد القوات المصرية. عندئذ ، انتزع آل رشيد ، شادة حائل ، الذين كانوا قد برزوا من قبيلة بدوية هي شمّر، السيطرة على شمال الجزيرة العربية أول الأمر، ثم استولوا على منطقة آل سعود ذاتها. غير أن عبد العزيز آل سعود نجح مع بدايات القرن العشرين في استعادة موطنه من جديد والاستيلاء على شرق الجزيرة العربية، الذي كان طوال بضعة عقود تحت سيطرة تركية مباشرة . وان القوة التي أثارها في أنصاره كانت قد أجمت الحماسة الوهابية الدينية المتجددة، وكذلك تحالفه مع الانجيز، مكنت عبد العزيز من اقتطاع اراض جديدة من ابن رشيد خلال الحرب العالمية وان ينجح في طردهم ، أخيرا من حائل عام 1921م. وفي عام 1925م ، أضاف آل سعود الى مملكتهم الحجاز بالمدن المقدسة، التي كان يحكمها الأشراف منذ قرون تحت السيادة التركية"⁹⁷.



الفصل الرابع

العناصر الإجتماعية والإقتصادية

- المبحث الأول : العناصر الإجتماعية
- المبحث الثاني : العناصر الإقتصادية

الفصل الرابع : العناصر الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الأول : العناصر الاجتماعية لدى المجتمع البدوي

ومن أهم ما يظهر في النظام الاجتماعي البدوي، القيم الاجتماعية والثقافية والأخلاقية التي تحدد طرق التفاعل بين أبناء المجتمع البدوي. ومن أجل القيم الاجتماعية التي يحتفظها المجتمع البدوي، إكرام الضيوف، ومساعدة المحتاجين، وإغاثة الملهوفين، وحرمة الجيران. هذه الأمور قيم إنسانية ترتبط بنظام الحضر والبدو، ولكنها ترتبط بالمجتمع البدوي أكثر من ارتباطها بالمجتمع الحضر، هو لمحافظة البدو على بنيتهم الاجتماعي، وإلا فإن التفرق والتشتت قد يؤدي وحدتهم، وترابطهم. إذ يجد البدوي نفسه مضطراً لإكرام الضيف الذي قطع مسافات طويلة حتى يبلغ منزله. ولهذا العادة وظيفة اجتماعية تشدد الارتباط، وتشجع الجهود لمداخلة الأخطار التي تخوف الجماعات. فإذا لم يؤد البدوي واجبه نحو ضيفه يكون ذلك دليلاً على عدم تعاونه وتفرده مع الآخرين. ولهذا السبب يُعتبر إكرام الضيف سمة ظاهرة من سمات الترابط والتعاون والتماسك بين القبائل، وصارت عنصراً هاماً حتى لا يستطيع أن يتجزأ من الهيئة الاجتماعية البدوي.

" ترتبط أشكال البداوة ومراحل تطورها الاجتماعي بالشروط الاقتصادية التي يعيشها السكان، وغالباً ما تسهم الأوضاع البيئية في تحديد الموارد الاقتصادية التي يعتمد عليها السكان فحيث تنتشر المراعي والأعشاب الصالحة للرعي يظهر الاقتصاد الرعوي. كما تعد النظم الاجتماعية التي تميز البداوة نتاجاً لتأثر الإنسان بالبيئة، حيث استطاع بهذه النظم أن يتكيف مع شروطها التي تميل في طبيعتها إلى الجفاف وقلة المياه وانتشار العشب الصالح للمرعى، وغياب الاستقرار الدائم والتبعثر في الانتشار وغير ذلك. وتبدو مؤثرات البيئة بأوضح مظاهرها في نظام البداوة، الذي ينطوي على معايير اجتماعية وأخلاقية وقيم تحدد أشكال التفاعل بين الأفراد والجماعات. ومثل ذلك أن غياب الاستقرار في المكان والاندفاع للترحال وتبعثر أفراد الأسرة الواحدة في مواقع شتى من البادية يجعلهم ينشدون أكثر إلى نظم القرابة والاحتكام إليها في مشكلاتهم وقضاياهم حتى

صارت الركن الأساسي في النظام الاجتماعي البدوي، يقبل بمعاييرها القاصي والداني، ويحتكم إليها الجميع. وبلغت سيطرة القرابة في النظام الاجتماعي للبدو قدرة جعلها توحد بين الجميع. فالقرابة في نظام البدو استجابة لواقع التشتت الذي تفرضه شروط البادية⁹⁸.

المبحث الثاني : الجوانب الاقتصادية لدى المجتمع البدوي

في العصر القديم، استطاعت القبائل البدوية مواصلة حياة الترحال في الشرق الأدنى خلافاً لمصر، ونجحت في الحفاظ على أهميتها السياسية لقرون كثيرة واستطاعت من تعزيز مقومات وجودها الاقتصادي داخل الصحراء ، وهذا بتربية الجمال وبعمل التنقل بين المناطق المختلفة والمتجاورة.

"يعتمد سكان البادية الرعي وتربية الحيوان مصدراً أساسياً من مصادر دخلهم، وتنتشر بينهم أشكال كثيرة لتربية الحيوان، منها تربية الإبل ويعرف مربوها بالبدو الجمالة، وتربية الضأن والمعز ويعرف مربوها بالبدو الغنامة. وتعد تربية الإبل أكثر أنواع التربية قدرة على التفاعل مع الصحراء والمناطق الجافة، وهي تزداد شيوعاً في المناطق ذات الحرارة المرتفعة حيث تكون أحوال المعيشة أكثر صعوبة، والماء أقل انتشاراً. ويلاحظ أن تربية الإبل صارت أقل انتشاراً مما كانت في السابق بسبب وفرة مصادر العيش في المناطق القريبة من المعمورة حيث تنتشر تربية المواشي من جهة، وتتناقص الحاجة إلى الإبل من جهة أخرى بسبب تطور وسائل النقل التي صارت تستخدم على نطاق واسع. ويستفيد سكان البادية من تربية الحيوان في العمليات التجارية التي يقيمونها مع سكان المعمورة، حيث يقدمون اللحوم والألبان والصوف على اختلاف أنواعها، ويستفيدون من المعمورة، وينالون قسطاً من حاجاتهم منها"⁹⁹.

وفي بداية عصر الحديد واكتشاف النفط، كان معظم المزارعين والرعاة من البدوي ، ولكن العمال في مجال الأخرى مزيج من البدو والحضر وهم عماد الانشطة

98 الموسوعة العربية، (10/09/2015 10 am) <http://www.arab-ency.com/ar/>
99 المصدر نفسه.

الاقتصادية التي اعتمدت عليها بعض الدول في عالم العربي. ومن الواضح جدا أن دور البدو في الجانب الاقتصادي المتعلق بالمدينة في تطورها وازدهارها، منذ بداية القرن الثامن عشر. وكانت مشاركتهم في الأمور الاقتصادية للمدينة تتمثل في إنعاشهم للاقتصاد المحلي ويتحقق ذلك من خلال ما يحضرونه معهم من ماشية وغيره من المنتجات عند دخولهم أسوار المدينة حيث تجري المبادلات التجارية بينهم وبين أبناء المدينة. وقد كان أبناء البادية يأتون إلى مدينة للمشاركة في موسم الغوص كما كان أبناء المدينة يزودون بما لديهم من المنتجات للقبائل المنتشرة في الصحراء فأسواقها تعمر بما يجلبه تجار المدينة من منتجات البدو وبما يبيعه البدو من هذه المنتجات في كل عام حيث كانت الباب الوحيد لحصول البضائع من الهند وشرق أفريقيا والشام.



الفصل الخامس

توطين البادية

- المبحث الأول : بداية التطورات
- المبحث الثاني : العرب في مجتمع ما قبل الدولة

الفصل الخامس : توطين البادية

المبحث الأول : بداية التطورات

اختلفت حياة البدو اليوم عن الحياة التي وصفها شعراء ومؤرخو العصر العربي القديم. ومن جانبها، تحولت سهوب الصحراء الى تطورات. وقد بقيت حياتهم أصيلا على الفطرة بدون تأثير بالحضارة الخارجية خاصة بالحضارة الأوربية وكذلك قد دامت سهوبهم منذ آلاف السنين بدون تغيرات تُذكر الا بعض الشوارع وسكك الحديد الشاذ.

ومن أحد العوامل الحاسمة في توطين البدو العائدات النفطية لأنها كانت تمثل المصدر القوي الذي مكن السلطة من إيجاد التمويل لمشاريع التوطين التي استوعبت البدو في المدن والعواصم. وكان لظهور النفط تأثير كبير على نمو الدولة خاصة بعد دخول عدد كبير من القبائل في إطار المجتمع المدني في محاولة للإندماج الكلي ، فتوطين البدو في العالم العربي بدأ في الستينات من القرن العشرين. فبعد ظهور النفط كثرت هجرات البدو إلى داخل المدينة وانتشروا في مناطق المدنية ، حتى أدت الى تغير واضح في شكل التركيبة السكانية للدولة. وكانت ظاهرة جديدة على الحياة الإجتماعية .

بذلت السلطات والحكومات التي قامت داخل الأقاليم العربية وخاصة منها حكومة عبد العزيز آل سعود جهدا كبيرا لدفع البدو الى التخلي عن حياة الترحل. هذه العملية التحولية التي بدأتها مصر في بداية القرن التاسع عشر مع محمد علي دامت أكثر من مائة عام. وقد ساعد على ذلك الطبيعة الجغرافية، والجذب الشديد للصحراء الى الغرب والشرق من وادي النيل، والحكام في دول العربية في صبغة أوربية. أما البدويون الذين لم يتفقوا مع سيرورة التحول في ذلك الوقت يعيشون اليوم حياة الفقر حتى لا يستطيعون لشراء الأرض الزراعية بسبب غالية الثمن.

" كان البدو يجدون انفسهم ضعفاء في مواجهة القوات التركية ، التي كانت تستخدم بنادق ملاءمة تماما لظروف العصر. وهم أشد ضعفا بطبيعة الحال تجاه جنود مدربين ومزودين بوسائط حربية حديثة، كتلك التي استخدمتها القوات الاوربية خلال الحرب العالمية وعند نشوب انتفاضات في مناطق انتدابها. اذا ما الف البدو الأسلحة الجديدة، وتمكنوا من استعمالها بالمهارة التي كانوا يستعملون بها رماحهم في الماضي، فإن قبائلهم الكبيرة ستلعب بالتأكيد دورا مهما في الحروب التي قد تنشب في الشرق الادني، ينطبق هذا القول بصورة خاصة على مناطق 'الصحارى' الواسعة، التي يستطيعون الاختفاء فيها ببساطة، عند مطاردتهم"¹⁰⁰.

وفي الكويت "لا يخلو تاريخ الكويت من ذكر البدو في مجموعة كبيرة من أحداثه التي شكلت منه كياناً له تاريخ خاص به، نجد ذكرهم بداية كأول مجموعة سكنت الكويت حيث سكن الكويت قبل قدوم آل صباح لفيف من البدو وصيادي السمك وهذا ما قالته مصادرها المحلية - القناعي والشملان. ثم نجد خيوط البكرة التي شكلت كرة الصوف ونقصد بذلك جوانب الحياة المختلفة التي قامت عليها الكويت كالتجارة والسياسة واستقرار الأمن للبدو دور يمكن ملاحظته فيها، ونحن من خلال هذه الدراسة سوف نقوم بتتبع خيوط تلك البكرة التي نسجت مجتمعنا لنصل بالنهاية لوضع تصور عن دور البدو في مجتمعهم الأكبر وهو الكويت"¹⁰¹

والبديويون في معظم بلدان العرب، بعد ظهور النفط انقسموا إلى مجموعتين. المجموعة الأولى كانت شبه مستقرة واعتمدت نشاطها الإقتصادي على الرعي والزراعة وسكنت القرى والأطراف، والمجموعة الثانية وافقت على التنقل الدائم فاستقر جزء من هذه المجموعة قرب حقول النفط، ثم استقرت في مناطق قرب المدينة. شارك البدو أبناء المدينة في وظائف الحكومة بعد دخول البدو إلى مجتمع المدينة إثر ظهور الثروة النفطية، حيث كان منهم الفراشون والجنود والحراس ورجال الشرطة والعمال في المكتبات مدنية

¹⁰⁰ البارون أوبنهايم، البدو، الجزء الأول، 1937
¹⁰¹ نظرة على الوضع السياسي والاقتصادي- الاجتماعي لهم ضمن إطار قيام الدولة منذ النشأة وحتى ظهور النفط،
<http://myq8history.blogspot.in> (on 20/ 12 /2015 2.pm)

لاسيما في شركات النفط . هكذا مارس البدو دورهم في جوانب الحياة المختلفة داخل المدينة وأصبحوا مواطنين فيها.

"وعند تكوين المؤسسات كخطوة لبناء الدولة الحديثة في بداية الخمسينيات من القرن العشرين والتي تزامنت مع دخول البدو وهجرتهم التي تلت الثروة النفطية في الكويت، كان لهم بروز في هذا المجال حيث أن فرص العمل التي تتطلبها تلك المؤسسات تستدعي المزيد من العمالة، فلما كانت فرص العمل هذه تتصادم مع نمط حياتهم البدائي القائم على التنقل كما إنها تتنافى مع مستواهم الثقافي والتعليمي فقد تمكن البدو من تخطي تلك العقبات و ذلك بالإستقرار انسجاماً مع الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية التي شهدتها الكويت، وبالتالي فإن هذا الإستقرار وفر لهم وضعاً أفضل والحقيقة أن هذه المرحلة من حياة البدو تعتبر مرحلة مفصلية إذ إنها تتطلب منهم التكيف الإجتماعي من خلا التعامل مع المجتمع الحضري المستقر في بقعة جغرافية محدودة، وكخطوة من خطوات هذه التكيف بدأوا بالعمل ضمن مجالات تتفق وقدرتهم التعليمية ومهاراتهم فعملوا في شركات النفط في مهن شبه فنية مثل التنقيب والصيانة كما عملوا كسائقين وحراس فكان استقرارهم قرب حقول النفط في عدة مناطق وما لبثوا أن انخرطوا في سلك الوظائف الحكومية التي تتماشى وقدراتهم"¹⁰².

"اجتذبت البداوة كما اجتذب البدو جانبا كبيرا من التفكير الاجتماعي، وبخاصة تحت تأثير النزعة التطورية التي رأت في الحياة البدوية بواكير الحضارة الانسانية وبداية مراحل تطورها وتقدمها. وقد تضاربت الأحكام القيمية حول البداوة والبدو بين من يرى في النمط المجتمعي البدوي تخلفا ينبغي تكريس كل الجهد للقضاء عليه، إلى جانب من يري في تنمية المجتمعات البدوية وعدم التخطيط العمدي للقضاء على البداوة"¹⁰³.

102 الحداد ، محمد وآخرون: تراث البادية ، الكويت، 1986ص. 86
103 د/ محمد عبد محجوب، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج وتطبيق)، وكالة مكنتيات ، الكويت.

المبحث الثاني : العرب في مجتمع ما قبل الدولة

ومعظم العناصر التقليدية الهامة لدى المجتمع في شبه الجزيرة، قبل حالة مركزية، يمكن وضعها على سلسلة متصلة تمتد من القطاع الرعوي البدوي الى المزارعين المستقرين وحتى الى القطاع الحضري. والنسب وقرابة الدم تشكل الاساس الاجتماعي داخل قبيلة. وعلاوة على ذلك ان عظمة القبيلة تعتمد على نسبها الخالص وبراعتها العسكرية وحجمها من ناحية العضوية واحتلال الأراضي. وكان العامل لاتخاذ قرار في الغالب احتلالا اقتصاديا للقبيلة. ولا تختلف الخصائص القبلية بين البدو الرحل والبدو المستقر، مثل التماسك والحرية والتنظيم السياسي والارضي، الا في درجات فقط. والقادة السياسية كانت مماثلة بين البدو الرحل والمستقر، وكانت وارثة مع اعتبار القدرة والمهارة الشخصية. لكن تغيرت الاحوال مع استقلال الدول الخليجي بعد الخمسينات من القرن العشرين. وقد تم اعلان استقلال سلطنة عمان وقطر والبحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة عام 1971 عندما أعلنت بريطانيا العظمى عن قرارها بإلغاء المعاهدة ومعها الحماية البريطانية، اما الكويت فقد أعلن عن استقلالها عام 1961.



الباب الرابع

اكتشاف النفط في العالم العربي

- الفصل الأول : اكتشاف النفط
- الفصل الثاني : العرب بعد اكتشاف النفط
- الفصل الثالث : تاثير النفط

الفصل الأول

اكتشاف النفط

- المبحث الأول : تنقيب النفط
- المبحث الثاني : أوبك (OPEC)

الفصل الأول : اكتشاف النفط

المبحث الأول : تنقيب النفط

النفط هو السمة الرئيسية للمنطقة العربية. وهو أحد مكونات الهوية العربية. "منذ عقود ذكرنا الاقتصادي شارل عيساوي بهذه المعادلة: حيث يوجد عرب، يوجد نفط. كان عيساوي يتشبهه بمعادلة أوروبية تقول حيث لا مال، لا سويسريون. لكن عيساوي أغفل ما بين المعادلتين من وشائج: حيث يوجد عرب، يوجد نفط، ويوجد مال. حتى لا نقول إن قسماً كبيراً من ذلك المال موجود لدى سويسريين"¹⁰⁴.

وقد اكتشف النفط في الصحراء الجزائرية سنة ١٩٥٦، وكان سبباً إضافياً لتمسك فرنسا باستعمارها الاستيطاني الاندماجي للجزائر تحت شعار الجزائر فرنسية. سارعت جبهة التحرير الوطني الجزائرية، بعد أشهر من اكتشاف النفط في الصحراء، إلى اعتبار الصحراء جزءاً من التراب الوطني الجزائري. وجّه 'مؤتمر الصمام'، العام ١٩٥٦ نداءه الاستقلالي من أجل ما سمّاه 'حرمة التراب الوطني كاملاً' بما فيه الصحراء الجزائرية. وعمّدت الصحراء 'الولاية السادسة'، لتكون سادسة خمس ولايات يمارس فيها 'جيش التحرير الشعبي' نشاطه ضد جيش الاحتلال الفرنسي. استطالت مفاوضات الاستقلال بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني الجزائرية عندما اصطدمت بعقبة الصحراء.

"تمسكت الحكومة الفرنسية باقتطاع الصحراء من الجزائر المستقلة بضغط من شركات النفط والغاز الفرنسية العاملة فيها. تصلّب الجنرال شارل ديغول، رئيس الجمهورية الفرنسية، بهذا المطلب، إلا أنه ما لبث أن رضخ في النهاية. وفي العام ١٩٦٠ دعت جبهة التحرير، في ما عرف ببرنامج طرابلس، ذي الميل اليساري، إلى تأميم النفط بما هو هدف بعيد المدى عن العلاقة بين النفط والدم قال هواري بومدين، رئيس الجمهورية الجزائرية، في خطاب له في ١٦ تموز/ يوليو ١٩٧٠: لو قيض لنا أن نحلّل نفط الجزائر، لاكتشفنا أن دم شهدائنا يشكل أحد عناصره، لأن امتلاك تلك الثروة قد دفع

¹⁰⁴ فواز طرابلسي، النفط في المخيال العربي، تقاسيم على مقام السوائل، مجلة بدايات: فصلية تكافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥.

ثمنه بواسطة دمنا. لم يبقَ تأمين النفط هدفاً بعيد المدى لمدة طويلة بعد ذلك الخطاب. في أقل من عام أعلنت الحكومة الجزائرية تأمين صناعة النفط والغاز في شباط / فبراير 1971¹⁰⁵.

"النفط أو البترول عبارة عن سائل كثيف، قابل للاشتعال، يوجد في الطبقة العليا من القشرة الأرضية، ويتكون من هيدروكربونات خاصة من سلسلة الألكانات الثمينة كيميائياً، ولكنه يختلف في مظهره وتركيبه ونقاوته بحسب مكان استخراجِه. يطلق عليه 'الذهب الأسود' فهو مصدر من مصادر الطاقة الأولية الهامة في العالم، وتكمن قيمة النفط في إمكانية نقله ومقدار الطاقة الهائلة الموجودة فيه، ويمثل المادة الخام للعديد من المنتجات الكيماوية"¹⁰⁶.

وفي سنة 1859 ، تم تنقيب أول بئرٍ للنفط في الاميركا، وقد اكتشف البترول في الخليج العربي على النحو التالي، البحرين 1932م والسعودية 1938 والكويت 1946 وقطر 1949 وابو ظبي 1962 وسلطنة عمان 1967 وامارة دبي 1969. وتشير الإحصائيات إلى ان المملكة العربية السعودية تمتلك بمفردها تقريباً 25% من وفيات الإنتاج من الاحتياط العالمي بإجمالي تقريباً 263 مليار برميل، وفي نفس الوقت ان الكويت والإمارات العربية المتحدة 9%.

"بدأ أول حفر وإنتاج تجاري للنفط في عام 1859 في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان معدل الإنتاج اليومي حوالي 20 برميلا. وقد اعتبر ذلك التاريخ بداية عهد صناعة وإنتاج النفط في العالم بصورة علمية وتجارية. أما عن نفط الشرق الأوسط والعالم العربي، فقد تم اكتشاف النفط في إيران عام 1908 ثم في مصر عام 1910، توالى بعدها حفر الآبار وإنتاج النفط في العديد من الدول العربية مثل العراق والبحرين والكويت والسعودية ومن ثم تصديره إلى الدول الغربية التي أصبحت المستهلك الأساسي للنفط. وقد أعطت هذه السلعة الثمينة العالم العربي بُعداً استراتيجياً وثقلاً سياسياً

105 فوز طرابلسي، النفط في المخيال العربي، تقاسيم على مقام السوائل ، مجلة بدايات: فصلية ثقافية فكرية، العدد العاشر - شتاء 2015.

106 اضاءات، نشرة توعوية، معهد الدراسات المصرفية، السلسلة الخامس، العدد 6، دولة الكويت - يناير 2013.

حيث يتميز النفط العربي بجودته و غزارة إنتاجه مع قرب الآبار النفطية من السطح مما يسهل عملية استخراجة ونقله وتصديره لقربه كذلك من الموانئ "107 .

المبحث الثاني : أوبك (OPEC)

The Organization of the Petroleum Exporting Countries

أنشئت عام 1968 جمعية للدول التي تنتج النفط في العالم العربي، وهي تهدف التعاون بينهم في صناعة النفط ومنتجاتها وكذلك في تسويقها." منظمة الدول العربية المصدرة للبترول (أوبك) أنشئت عام 1968 ، وتضم في عضويتها كل من الدول التالية : الكويت، السعودية، ليبيا، الإمارات، البحرين، الجزائر، سورية، العراق، قطر ومصر . وتعتبر الأوبك منظمة إقليمية سلعية متخصصة ذات طابع دولي، أنشئت باتفاقية بين أقطار تنتج البترول وتصدره، وتهدف إلى التعاون فيما بينها لتطوير الصناعة البترولية العربية بشكل عام، والحفاظ على سوق البترول بشروط عادلة ومعقولة، باعتبار أن إيرادات البترول تعد من أهم مصادر الدخل القومي للدول الأعضاء في المنظمة . ويشكل إنتاج دول الأوبك نحو % 27 من مجموع الإنتاج العالمي، وتحتفظ لديها بنحو % 56 من الاحتياطي العالمي للنفط " 108 .



107 اضاءات، نشرة توعوية، معهد الدراسات المصرفية، السلسلة الخامسة، العدد 6، دولة الكويت - يناير 2013.

108 المصدر نفسه.

الفصل الثاني

العرب بعد اكتشاف النفط

- المبحث الأول : المرحلة الجديدة
- المبحث الثاني : التغييرات في قوة العمل
- المبحث الثالث: الماء والنفط

الفصل الثاني : العرب بعد اكتشاف النفط

المبحث الأول: المرحلة الجديدة

دخل الخليج العربي الى مرحلة جديدة، إثر الحرب العالمية الثانية، تضج بعوامل التطور والتغير، وكان ذلك بسبب اكتشاف النفط في منطقة الخليج. وقد بدأت البحرين بالفعل في انتاج النفط الى الاسواق العالمية بعد هذه الحرب. كما شرعت الكويت في انتاج النفط بمقدار هائل وهي تفوق البحرين بمعدلات كبيرة. كنتيجة لهذه العائدات الاقتصادي الضخمة لهذا الانتاج، تشكلت عوامل حاسمة في دفع المجتمع العربي في منطقة الخليج نحو التغيير المفاجئ والتقدم الغير متوقع. فانتقل الخليج العربي من مرحلة الاقتصادي التقليدي الى مرحلة الاقتصادي الجديد، الذي يعتمد على منتوجات النفط. وواجه المجتمع العربي كثيرا من التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، خلال فترات الأربعينات والخمسينات بعد ما اكتشف البترول في المنطقة.

وشهدت هذه الفترة التي نمت فيها الاسباب الاقتصادية والسياسية، للجهود التعليمية المبكرة. لأن التعليم يعتبر عاملا أساسيا لتقدم المجتمع لما يحدثه من تغيير محسوس في آراء الفئات الاجتماعية ومواقف الأفراد وتقاليدهم وعاداتهم حتى في انماط حياتهم السلوكية. وفي هذا الوقت قد ازدادت المدارس وعدد خريجي الثانوية. كما ارسل كل من دول الخليج أبنائهم للدراسة في الخارج، حتى تولدت ثقافة جديدة عصرية.

المبحث الثاني : التغييرات في قوة العمل

ومع التغيير الاقتصادي المفاجئ في المنطقة، حدثت التحولات والتغييرات في قوة العمل أيضا. تركت أغلب الناس اعمالهم في البحر وهاجروا الى الاعمال في شركات البترول التي كانت بأمر الحاجت الى الأيدي العاملة تلك الفترة. نتيجة لهذا قامت الطبقة العاملة في الخليج العربي التي لعبت دورا هاما في النصف الثاني من هذا القرن فيما بعد.

"ونستطيع القول أن مما ساعد على تطور حركة الإصلاح الوطني فضلاً عن بروز الطبقة العاملة فيها هو طبيعة التناقضات الاجتماعية والسياسية التي خلقها إنتاج النفط في الخليج العربي فالفئات الشعبية التي انتقلت من اقتصاديات البحر إلى اقتصاديات النفط لم تشعر بتحسّن أحوالها الاجتماعية لذا استمر تدميرها وازداد حدّة واكتسب وعياً جديداً . لأنها كانت تحت وطأة شكوى ملحة وهي تدني الأجور وسوء المعاملة وخاصة من قبل الإنجليز الذين يحتقرون ما يرونه من مظاهر الجهل والتخلف للأيدي العاملة المحلية، وفوق ذلك فقد كانوا يُستغلون استغلالاً فاحشاً من شركات النفط حيث يشتغلون أكثر من الساعات المقررة للعمل . ولم تكن لديهم عطلة أسبوعية بل كانوا يعملون طوال أيام الأسبوع. واتخذت حركة الإصلاح الوطني من هذه الأوضاع المزرية للعمال منطلقاً لنشاطها السياسي واستطاعت من خلالها أن تضرب على المواقع الحساسة والفعالة. وإلى جانب ذلك فقد كانت السلطة السياسية - وهي تعني في هذه الفترة النفوذ البريطاني - تعرض عن مطالب الجماهير، ولا تحاول الاهتمام بتخفيف أعباء المعاناة والتضرر الاجتماعي . وإنما كانت تقف بين الحكام وعامة الشعب. وتحول دون تنفيذ ما يراه الحكام من مبادرات تقربهم إلى زعماء الإصلاح وعامة الناس"¹⁰⁹.

المبحث الثالث : الماء والنفط

لعل أول قرين للنفط وبديل له كان الماء. والنفط هو الصحراء والصحراء عطش دائم إلى الماء. "عندما جاء الميجور فرانك هولمز، المكنّى 'أبو نفط' ، إلى البحرين لتأسيس شركة تنقيب عن النفط، فوجئ بأنّ شيخ البحرين حينها، الشيخ عيسى بن علي بن خليفة، لم يُبَدِ أي اهتمام بالنفط. كان همّه الطاغي هو التنقيب عن مصادر مياه الشفة. بدأ هولمز التنقيب عن الماء، وعثر على الماء. في مقابل ذلك منحه الحاكم امتياز تنقيب عن النفط العام ١٩٢٥. نَقَّب عن النفط، واستخرج النفط وحقق أرباحاً طائلة لشركته وهكذا بدأت قصة النفط في البحرين"¹¹⁰.

¹⁰⁹ د/ ابراهيم عبد الله غلوم، القصة القصيرة في الخليج العربي، دراسة نقدية تحليلية، البحرين، 2000

¹¹⁰ فواز طرابلسي، النفط في المخيال العربي، تقاسيم على مقام السوائل، مجلة بدايات: فصلية ثقافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥.

تكرر جدل الماء والنفط ذاته في العربية السعودية. كان عبد العزيز آل سعود يبحث عن ينقّب له عن الماء عندما حاول المستعرب البريطاني عبدالله فيليبي إقناعه بمنحه امتياز تنقيب عن النفط. "كان عبد العزيز يبحث عن مليون جنيه إسترليني لمصروف أسرته والمملكة. قال له فيليبي: لا سبيل لك إلى المليون إلا النفط. لكن الملك كان أكثر اهتماماً بالماء مما هو بالنفط. جاء بمن ينقّب له عن الماء. ولم يمنح الملك السعودي امتيازات تنقيب عن النفط إلا بعدما فشل التنقيب عن الماء"¹¹¹.

ما إن عثر الملك السعودي على النفط، حتى حرص على أن يبادل النفط بالماء. في العام ١٩٢١ كانت شركة 'ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا - SOCAN سوكان' بين الشركات الأميركية الساعية وراء موارد نفطية عبر البحار. وكانت قد اكتشفت النفط في البحرين في أيار/ مايو ١٩٣٢ عن طريق فرعها 'بحرين بتروليوم كومپاني- بابكو BAPCO'. وفي ٢٩ أيار/مايو ١٩٣٣، منحت الحكومة السعودية لشركة سوكال امتياز التنقيب عن النفط في أراضيها وحرمت منه «شركة نفط العراق - الآي. بي. سي. IPC البريطانية. تنازلت 'سوكال SOCAL' عن الامتياز إلى شركة تابعة هي 'كاسوك CASOC'. وفي العام ١٩٣٦ عندما فشلت الشركة في اكتشاف النفط، اشترت شركة «تكساس أويل كومپاني - تكساكو TEXACO ٥٠٪ من الامتياز. من هنا بدأت قصة النفط السعودي.

حريّ بالمرء أن يسأل مع محمود درويش: "مع من أنت بالضبط / مع الحرية أم مع النفط؟. كم أن هذا التخيير مناسب بل لازم في زماننا هذا، زمن الثورات والردّات. ولعلنا نستطيع أن نضيف إليه من محمود أيضاً ما يناسب زمن التكفير الجهادي: 'أسأل آخر الإسلام/ هل في البدء كان النفط/ أم في البدء كان السخط؟"¹¹².



111 فواز طرابلسي، لفظ في المخيال العربي، تقاسيم على مقام السوائل، مجلة بدايات: فصلية ثقافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥.
المصدر نفسه. 112

الفصل الثالث

تأثير النفط

- المبحث الأول : تأثيره على مهنة الغوص
- المبحث الثاني : تأثيره على الصناعات
- المبحث الثالث : تأثيره على الإقتصادية
- المبحث الرابع : تأثيره على الإجتماعية
- المبحث الخامس : التغيير على الأسرة
- المبحث السادس : التغيير على الطبقية

الفصل الثالث : تأثير النفط

المبحث الأول : تأثير النفط على مهنة الغوص على اللؤلؤ

تعد هذه المهنة من أكثر المهن شيوعاً في سكان الخليج العربي منذ سالف الأزمان. وكان هذا العمل احد اكبر الأنشطة الاقتصادية الرئيسية لأبناء الخليج العربي، حتى منتصف القرن العشرين. "ونظراً لازدهار حرفة الغوص على اللؤلؤ ازداد الطلب على الرجال للعمل فيها من داخل وخارج البلد بمن فيهم أهل البادية ، فكان البدو يقدمون إلى المدينة من الصحراء في كل موسم غوص وينصبون خيامهم خارج أسوار المدينة ومن ثم يركبون سفن الغوص"¹¹³

ثم جاء عصر النفط الذي يعد مصدر الاقتصاد الرئيسي لدول الخليج العربي في العقد الخامس من القرن العشرين. وكان بمثابة الضربة الشديدة لمهنة الغوص على صيد اللؤلؤ وتراثه، فقد تزوّد فرص عمل هائلة ذات أجور دائمة ، وانعدمت معها المخاطر التي يجلبها مهنة الغوص على صيد اللؤلؤ. وهذه أدت الى انصراف الكثير من الغواصين إلى أعمال صناعة النفط، حتى انخفضت مهنة الغوص تدريجياً وانتهت على أثر.

المبحث الثاني : تأثير النفط على الصناعات التقليدية المحلية

اضمحت الصناعات المحلية نتيجة هجرة معظم اصحابها الى قطاع النفط وانتقالهم للعمل فيها. وقد أدى ذلك الى زوال معظم الصناعات المحلية في المدن القديمة كمدن القطيف وواحة الإحساء في السعودية، وانطبق ذلك على بلدان الخليج الأخرى. فقد كانت هذه المنطقة مكتفية بصناعاتها المحلية قبل اكتشاف النفط. ولما التحق كثير من الصناع بوظائف صناعة النفط، تدهورت هذه الصناعات التقليدية المحلية في أسرع وقت ممكن، مما سبب لاحتلال الاجنبيين بالاسواق المحلية وتنافسوا على اغراء المستهلكين في هذا المجال.

الحجي ، يعقوب يوسف : النشاطات البحرية القديمة في الكويت ، الكويت ، مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2007م، ص49

المبحث الثالث : تأثير النفط في التحولات الاقتصادية

وقد كانت بلدان الخليج العربية عبارة عن معاهدات قبلية موزعة على شكل سلطنات ومشيخات وإمارات على المنطقة. وتحالفوا مع بريطانيا بمعاهدات الحماية. وكانت مع عمان عام 1800 ومع البحرين عام 1861 ومع الكويت في عام 1899 ومع قطر في عام 1916. وبسبب هذه المعاهدات أصبحت دولة بريطانيا مسؤولة عن الأمور الخارجية والدفاع في هذه السلطنات والامارات لتضمن سيطرتها المطلقة لفترة حتى تجاوزت ثلاثة أرباع القرن . وأعلن عبد العزيز آل سعود اسم المملكة العربية السعودية على المنطقة التي تضم أجزاء من الجزيرة العربية بما فيها الحجاز ونجد وحيزان والإحساء عام 1932.

"لعبت الإدارة البريطانية دورا هاما في تشكيل مستقبل بلدان الخليج العربية كما انها حصلت على موافقات مسبقة لاحتكار ثرواتها الطبيعية ، اذ عملت الشركات البريطانية والامريكية على الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط من شيوخ وأمرآء الخليج اذ حصلت شركة بريطانيا على امتياز عن تنقيب النفط في المنطقة الشرقية في السعودية عام 1923 على امتياز مدته خمس سنوات الى انها فشلت مما فسح المجال امام شركة ارامكو الامريكية في الحصول على الامتيازات النفطية في السعودية فيما بعد ، كما وقعدت شركة بريطانية مع حاكم البحرين عيسى الخليفة عام 1925 امتياز للتنقيب عن النفط فحين تنافس شركة بريطانية واخرة امريكية والتي استطاعتا ان توحد جهودها وتشكيل شركة مشتركة والنجاح في الحصول على امتياز التنقيب عن النفط في الأراضي الكويتية 1933 كما تمكنت الشركات البريطانية من الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في أعوام 1938 و1939 مع كل من شيخ قطر ومشايخ الساحل العماني قبيل الحرب العالمية الثانية"¹¹⁴.

¹¹⁴ عبد الرزاق خلف محمد الطائي، النفط وما أحدثه من تغيرات اقتصادية واجتماعية في اقطار الخليج العربي، مدرس مساعد مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، الموصل، العراق. <http://pulpit.alwatanvoice.com/articles>

واحدث اكتشاف التبرول واستغلال منتجاته، في منطقة الخليج العربي، تغيرات أساسية واضحة على البنية الاقتصادية والإنتاجية والطبيعية والاجتماعية والاستهلاكية السائدة قبل اكتشاف النفط. لأن اقتصاديات هذه المنطقة كانت تعتمد على مجموعة من الأنشطة التقليدية بما فيها الغوص على اللؤلؤ واتجار به فضلا عن الزراعة والتجارة وتربية الماشية ورعيها. وفجأة تغيرت الأحوال، إثر اكتشاف النفط، وتوّد وضع اقتصادي جديد الذي أدى الى توفر العمل والمال، فانتقل العمالة الزراعية للعمل في صناعات النفط والاعمال المساندة لها وفي الوظائف الحكومية أيضا.

نتيجة لهذا تحولت العلاقات التقليدية بين الموارد الاقتصادية والموارد البشرية في المجتمع العربي، عندما توفر فرص عمل التي لم تكن معروفة لديهم من قبل، وأقبل العرب عليها وعلى العمل في المؤسسات الحكومية والوزارات بدلا من المهن السابقة كالغوص في البحر ورعي الماشية وتجارة اللؤلؤ.

وعلى الأثر، تراجع عمل الزراعة في بلدان الخليج، ونمت التجارات والاستيراد والتصدير الاقتصادية للدول المجاورة، وظهرت المشاركة في رأس المال المشروعات الضخمة في الخليج العربي، وتأسس نظام كفالة للوافدين للعرب الأجبيين، وانشئت مناطق للصناعات التحويلية التي تضم من سلسلة متنوعة من الصناعات كمواد البناء بما فيها من الاسمنت والصناعات البتروكيمياوية والمعدنية المختلفة كالألمنيوم والصناعات الغذائية وغيرها.

المبحث الرابع : اثر النفط في التحولات الاجتماعية

وكان المجتمع في الجزيرة العربية مجتمع القبائل، وكانت حياتهم تعتمد على الرعي وعلى أنماط الإنتاج التقليدية وعلى الزراعة البسيطة في واحات الصحراء وعلى مناطق توفير المياه وعلى أطرافها البحرية غربا وشرقا وجنوبا أو على التجارة في القرى المتناثرة في الجزيرة.

والقبائل التي تعتمد على الرعي بذلوا معظم أوقاتهم في الرعي، لكن بعضهم يشغل العمل الزراعي في بعض المواسم. وهناك قبائل اخري التي تعمل في صيد الأسماك والغوص علي صيد اللؤلؤ، وكانت منتشرة في المدائن التي تقع على السواحل الشرقية للجزيرة العربية التي تمتد من الكويت شمالا حتى السواحل العمانية جنوبا. وفي نفس الوقت قد اشتغل مجتمع صغير بالصناعات الحرفية وصناعة البناء والسفن. ومع تنقيب النفط واكتشافها في الجزيرة العربية في أوائل قرن العشرين، تلقى هذا المجتمع القبلي تغيرات وتحولات مفاجئة على كافة مستويات الحياة.

ومن أهم هذه التغيرات

المبحث الخامس : التغيير في الأسرة

وقد عاش المجتمع الخليجي العربي قبل ظهور النفط في أسرة كبيرة حيث تساهم معظم أفرادها في العمل والإنتاج، فالرجل والمرأة والصبي يشاركون جميعا في العمليات الإنتاجية، مثل صيد السمك وبناء البيوت وحفر الآبار.

وقامت المرأة بأعمال إنتاجية كالخياطة وطحن الحبوب ونقل المياه وحتى رعاية الماشية في الأوضاع الاقتصادية الصعبة. ولما ظهر النفط تحوّلت طبيعة الإنتاج وأسلوب الحياة، حيث تغير شكل الأسرة، من العائلة المشتركة الى العائلة النووية واتجهت الدولة الى مشروعات مثل رعاية المسنين والعجزة والمطلقات والارامل، والمنحة لتحسين طبيعة الحياة وفقا للاتجاهات الحضرية.

المبحث السادس : التغيير في الطبقة

سبب ظهور النفط قيام طبقة عاملة لها شان في دول الخليج، اذ لعبت هذه الطبقة دورا هاما في الحركات الوطنية. حرصت شركة ارامكو على منح العمال اجور عالية في السعودية حتى تبعدهم عن اي اتجاه آخر.

وتولّد طبقة جديدة في المجتمع الخليجي مع استغلال النفط وهي الطبقة البرجوازية¹¹⁵ الذين يتفاضلون بالثراء بعد أن كانوا يتفاضلون بالقبيلة والنسب. ولم يلبث، تأثرت هذه الطبقة في اتخاذ القرارات من جهات الوزارات والحكومة.

نتيجة لمنتجات النفط والدخل الضخمة منها ، كانت المجتمعات الخليجية في عجلة للتحضر مما لم تسبق مثلها من قبل. فأخذت التدفقات البشرية من البادية الى المناطق الحضرية ومن خارج البلاد الى داخلها. فأهل الريف وأبناء البادية تركوا مناطقهم لحاجة التعلم وللعمل في الشرطة او الجيش حتى استقروا في مناطق الحضر ولم يعودوا الى مناطقهم الاصلية.

وبعد ظهور النفط أنشئت في بلدان الخليج هيئات تشريعية وقضائية واجهزة رقابية ومجالس نيابية وديوان المحاسبة وديوان الموظفين كذلك توسعت الاجهزات التنفيذية. وهذا كله لتقديم الخدمات للمواطنين في المجالات المختلفة. وقد ارتفع درجة الدولة مع مستوى معيشة القوم في شكل ملحوظ بعد استخدام دخل النفط وهو في مجال الخدمات الاجتماعية التي اتبعتها البلدان الخليجية، بما فيها من السياسات التعليمية والصحية.

ولما جعل سلطة الدولة سياساتهم ليبرالية على العاملة الخارجية ارتفع تيار المهاجرين الى دول الخليج النفطية حتى صارت المهاجرة أغلبية وصار المواطنون أقلية.

والجدول التالي يبين عدد سكان الخليج من سكان البلاد الأصليين والأجانب فضلا عن العرب غير الخليجين للعام 2002 م¹¹⁶.

115 البرجوازية هي طبقة اجتماعية ظهرت في القرنين 15 و16، تمتلك رؤوس الأموال والحرف، كما تمتلك كذلك القدرة على الإنتاج والسيطرة على المجتمع ومؤسسات الدولة للمحافظة على امتيازاتها ومكانتها بحسب نظرية كارل ماركس. وبشكل أدق البرجوازية هي الطبقة المسيطرة والحاكمة في المجتمع الرأسمالي، وهي طبقة غير منتجة لكن تعيش من فائض قيمة عمل العمال، حيث أن البرجوازيين هم الطبقة المسيطرة على وسائل الإنتاج، ويقسمهم لينين إلى فئات، حيث يشمل وصف البرجوازيين بالعديد من الفئات تنتهي بالبورجوازي الصغير وهم المقاولون الصغار وأصحاب الورش. البرجوازية Bourgeoisie هي مصطلح فرنسي مشتق من كلمة . bourgeois .

116 عبد الرزاق خلف محمد الطائي، النفط وما أحدثه من تغيرات اقتصادية واجتماعية في اقطار الخليج العربي، مدرس مساعد مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، الموصل، العراق. <http://pulpit.alwatanvoice.com/articles>

الدولة	عدد السكان	نسبة الخليجيين	نسبة الأجنبي	عدد السكان الخليجين
الإمارات العربية	2,571,000	%24	%76	617,040
قطر	610,000	%25	%75	152,500
عمان	2,674,000	%73	%27	1,952,020
البحرين	626,000	%63	%37	394,380
الكويت	2,065,000	%35	%65	722,750
السعودية	22,205,000	%73	%27	16,209,600

المبحث السابع : الوضع الراهن للبدويين

تدل مظاهر التغير الاجتماعي في بنية البداوة وطبيعتها على أن أشكالها آخذة بالتراجع والاضمحلال التدريجي، خاصة مع التوسع في استخدام التقنيات وتطور الاتصالات والمواصلات، الأمر الذي يجعل التواصل مع المجتمعات الأخرى مفروضاً.

فإذا حافظت البداوة على استمرارها مدة طويلة من الزمن بسبب عاملين أساسيين هما: "العزلة وعدم تفاعلها مع المجتمعات الأخرى فإن هذين العاملين آخذان بالتراجع. بيد أن التغير في الأساس الاقتصادي للبداوة يبدو أكثر سرعة من التغير الملحوظ في أساسها الاجتماعي، لذلك تنتقل البداوة في أشكالها الاجتماعية إلى مناطق الاستقرار والمراكز الحضرية، ويلاحظ أن العلاقات العشائرية من تنافس وصراع وتحالف تنتشر أيضاً بين البدو الذين أخذوا بمظاهر الاستقرار غير أن أدواتهم ووسائلهم صارت مختلفة تماماً، وهي أضعف بكثير مما كانت عليه في السابق، خاصة مع ظهور الدولة التي أخذت تمد سيطرتها على كل بقعة جغرافية ضمن حدودها، ولم يعد للعشائر سلطة مباشرة تمارسها على أفرادها أو خصومها إلا بمقدار ما تسمح به السلطة من نفوذ ضمن إطار قانون الدولة. ومع ذلك فالتغير الاجتماعي يمس بنية العلاقات الاجتماعية ضمن السلطة،

كما أن التنوع السكاني في التجمعات الحضرية والانفتاح نحو الآخر هما من العوامل التي تقوض البداوة وتهدد مستقبلها"¹¹⁷.

الرواية مدن الملح ، في مجموعتها صورة دقيقة ومتأنية للمجتمع البدوي ، واستعارة تكشف ثورة المجتمع والاقتصاد والسياسة التي تبعت ظهور النفط، وزعزعة التوازن بين الإنسان والطبيعة. فالصدام بين الدول العربية الغنية والفقيرة وتواطؤ بريطانيا العظمى والولايات المتحدة لضمان نفوذهم في المنطقة. فالطبيعة وإيقاع الحياة البدوية آخذان في التلاشي وكذلك الأخلاق وكرامة أهلها وأساليبهم للحفاظ على الماضي وتراثه.

المبحث الثامن : خلاصة

"وقد إندمج البدوي في هيئة المجتمع مع ظهور الثروة النفطية في الستينيات من القرن العشرين، إلا أن البدو ما زالوا يشكلون طبقة لها حالة خاصة في المجتمع متمسكة بالعصبية والميولوية. وهناك من يرى أن عدم الاندماج الكلي للبدو داخل مجتمع المدينة إنما يعود إلى كونهم بالأصل هاجروا على شكل مجموعات ذات نظام إجتماعي معين"¹¹⁸ لكن على الرغم من ذلك نجد دوراً فاعلاً للبدو في مجتمع المدينة منذ البواكير الأولى لنشأته. وفي المملكة العربية السعودية الحديثة، يجب ان يعتبر البدوي كجزء هام في أحوالها الاجتماعية والسياسية والإقتصادية. وهذا ليس فقط من حيث البدويين مندمجون في المملكة أو متأثرون بعوامل وطنية ولكن أيضا أن البدويين كانوا عنصرا هاما ومؤثرا في عملية تكوين الهوية السياسية والاجتماعية والوطنية. بل هو رأي عام شجعتة دراسة عن التكوين الاجتماعي السعودي على حد سواء في أوضاع ما قبل الدولة في عضون تكوين الدولة المركزية الحديثة، وحتى في ظل الظروف الراهنة للدولة كلها.



الموسوعة العربية (on 10/09/2015 10 am) <http://www.arab-ency.com/ar>

خلف، عبد المالك تميمي، أبحاث في تاريخ الكويت، دار قرطاس للنشر، الكويت، 1998

117

118

الباب الخامس

العناصر الاجتماعية في إبداعات عبد

الرحمن منيف : دراسة أعماله المختارة

الفصل الأول : الأشجار وإغتيال مرزوق

الفصل الثاني : قصة حب مجوسية

الفصل الثالث : النهايات

الفصل الأول

الأشجار وإغتيال مرزوق

- المبحث الأول : خلاصة أحداث الرواية
- المبحث الثاني : بنية الكتاب
- المبحث الثالث: تنقسم الرواية إلى أربعة أقسام
- المبحث الرابع : دلالة العنوان في الرواية

الفصل الأول : الأشجار وإغتيال مرزوق

المبحث الأول : خلاصة أحداث الرواية

هي الرواية الأولى لعبد الرحمن منيف، كتبها قبل نهاية عام 1971م ونشرت عام 1973¹¹⁹. يناقش فيها القضايا الاجتماعية تتضمن جوانبا من التمرد على السياسة ، التاريخ والدين و المرأة والحرية الاجتماعية والحب والإرتباط بالأرض والنكبات التي عانى منها الإنسان العربي في تلك الفترة، والشرق والغرب ، أو بالأحرى العالمين اللذين لا يمكن أن يتلاقيا. كتبها منيف على أساس الأفكار الماركسية بعد ما رجع من يوغوسلافيا¹²⁰. ويعكس فيها الواقع الاجتماعي و السياسي العربي ، و النقلات الثقافية العنيفة التي شهدتها المجتمعات العربية، خاصة في دول الخليج العربية. ومدارها البحثي هو الإنسان والعوامل الداخلي في تخلف الشرق.

وهي قصة تدور على شخصيتين رئيسيتين مليونتين بالسلبية، شقيا في حياتهما على كافة المستويات، أحدهما أستاذ جامعي، اسمه منصور عبد السلام والآخر أمي مارس أعمالا كثيرة، اسمه إلياس نخلة ، شيد عليهما عبد الرحمن منيف أحداث هذه الرواية ولم يبق لهما إلا الحلم واسترجاع الماضي. يلتقيان في قطار يسير إلى الخارج، يعمل إلياس مهربا، ويعمل منصور مترجما في بعثة أجنبية تنقب عن الآثار، كلاهما يعيش بأنا بالحب وكلاهما سلبي يبحث عن التغيير. و تبدو أقرب الى سيرة منيف الذاتية.

وتبدأ الرواية بحوار داخلي طويل يتحدث فيه منصور عبد السلام عن نفسه و عن المعاناة التي تكبدها من قبل قائمة الأعمال أثناء مطالبته بالحصول على جواز سفر للنزوح إلى خارج وطنه ، غير مسمى كعادة روايات منيف. نادرا ما تقوم رواية عبد الرحمن منيف بتسمية البلد الذي تجرى أحداثها فيه، حتى حين يكون الإيحاء واضحا.¹²¹

119 شرق وغرب، رجولة وأنوثة : دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، جورج طرابيش، دار الطليعة ، بيروت، الطبعة الأولى 1977.

120 BIDDING FAREWELL TO MUNIF : Novelist Bears Witness to Repression, Corruption, Reverence for Common Folk, BY JUDITH GABRIEL, AL JADID, A Review & Record of Arab Culture and Arts, VOL. 9 No. 45, 2003, Page-5

121 عبد الرحمن منيف ؛ سيرة حياة ، صبري حافظ، الحاشية السادسة ، دراسة نشرت في مجلة New Left review العدد : 37، كانون الثاني - شباط 2006. وقد قام الأستاذ فاضل جتكر بترجمة هذه المقالة مشكورا.

فى مطلع الرواية يتحدث منصور عبد السلام مع نفسه : " لا تضعف ، أسمع ما أقول لك؟ لا تضعف. وهذه الأشياء الأخيرة التي قد تخلف في نفسك ذكرى و تخلف عاطفة ، أتركها. لقد اجتزت القنطرة كلها وحدك، ولا حاجة بك الآن لأن ترى في العيون ذلك الأسف المستسلم. إنهم لا يفكرون فيك، وحتى لو قالوا لك شيئاً فإنهم يُعلمون أنفسهم. أترك كل شيء وراءك. وإذا استطعت، فلا تنظر إلى الخلف أبدا!"¹²²

هي حكاية معاناة شاب عربي مع الأنظمة السياسية، الذى حُلم بإعادة كتابة التاريخ بطريقة صادقة بعيدا عن الزيف والتلفيق . حلم بعمل شريف وزوجة صالحة ولكن أحلامه تكسرت أمام قسوة الواقع حتى إنه يحسد عابر السبيل الذى تعرف من القطار ، إلياس نخلة ، على حياته التعيسة ذى البأس والنحس. ظن إنه سيجد راحته في العمل خارج البلاد ولكنه لم يتمكن من التعايش مع وضعه الجديد ، خصوصا بعد أن وصله خبر اغتيال صديقه المقرب ، مرزوق . وهكذا أخذ يسير نحو الجنون مدونا مذكراته حتى جاء يوم وأطلق النار على صورته في المرأة. أخيرا تُنشر مذكراته في الصحيفة.

وكتب الناقد الفلسطيني فيصل درّاج في صحيفة الوطن التى تصدر من القطر " أن الرواية أشعل نارا على المعاناة التى مارسها الأنظمة ضد شعبهم بواسطة كفاح من قبل المرزوق مع القوات الأمن فى بلده ، ومع محاولة متواصلة ليحطمه"¹²³

المبحث الثاني : بنية الكتاب

اعتمدت للبحث الطبعة الثانية عشرة ، 2005 م ، أشرف عليه الناشران: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، والمركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية. وهو ثلاثمئة وثمانون صفحة. قام بالرسم والتصميم مروان قصاب باشي وعلى غلافه صورة فتاة تستند بيدها على جذع شجرة.

¹²² عبد الرحمن منيف ، الأشجار واغتيال مرزوق، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2005، ص 9.

¹²³ BIDDING FAREWELL TO MUNIF : Novelist Bears Witness to Repression, Corruption, Reverence for Common Folk, BY JUDITH GABRIEL, AL JADID, A Review & Record of Arab Culture and Arts, VOL. 9 No. 45, 2003, Page-5.

المبحث الثالث : تنقسم الرواية إلى اربعة أقسام

القسم الأول يتألف من عشرين جزءاً، فهو يدور حول مغادرة منصور الوطن، وسيرة جليس منصور عبد السلام، الياس نخله، تاجر الملابس القديمة، وهو الذي لعب دور البطولة في القسم الأول. ويحكي "الياس" لمنصور قصته كاملة حتى لا يجد توافقاً في قريته، وتضييعه للأشجار التي ورثها عن أبيه ووفاة زوجته التي لم يستطع أن يتغلب على مأساة فقدانها. ينتهي هذا القسم بنزول الياس نخلة من القطار والأشجار تطارده.

والقسم الثاني يحتوى على اثنين وعشرين جزءاً، هو سيرة منصور عبد السلام وهو البطل فيه. يروي لنا حكايته داخل الوطن حيث يفصل من وظيفته الجامعية بسبب مواقفه السياسية المعارضة، ثم يذكر معاناته لاستخراج جواز سفر ليعمل كمترجم في الخارج هذه العملية التي استغرقت سنتين وسبعة أشهر. ثم يواصل حكايته حتى تعين مترجماً في بعثة الآثار الفرنسية، وتعرف على فتاة بلجيكية، اسمها كاترين، كانت تعمل في البعثة، ويرفض خطبة معها، ويعيش تجربة الاعتقال. نجد في هذا القسم صوت الراوي وصوت منصور عبدالسلام ممتزجان بطريقة ذكية حتى نظن بأنهما شخص واحد.

مثلاً هو يتحدث " لا حاجة لأن أقول لكم كل شيء عن نفسي، فأنا شخص عادي لا أستحق اهتمام أحد. يوجد مثلي عدد لا يحصى من الناس يشبهونني بلامح الوجه والثياب! ولكن ما أتميز به أي انسان آخر، وما أذاع عنه بشراسة: عالمي الداخلي... وبعض الأحيان حريتي!

قد أكون تافهاً بنظركم، لا يهم. ولكن في داخلي صوتاً صغيراً أترب له، وأحب أن أسمعه دائماً. وهذا الصوت يقول لي باستمرار: ارفض هذا العالم المجوسي التافه، لا تندمج به، وإن استطعت يجب ان تساهم بتغييره! واتجرات قليلاً اعترف لكم بأن بعض الناس يقولون إنني غريب الأطوار، غامض، أما تقارير الشرطة فتصنفي بالخطورة

124 "

" أما كيف واجهت الحياة ، وكيف فشلت وامتلاً قلبي بالأسى ، فإن ذلك لم يحصل فجأة ، وإنما تسرب إليّ على مهل ، ومنذ وقت طويل."¹²⁵

والقسم الثالث اليوميّات، يتألف من أربع وثلاثين يومية للبطل "منصور"، والتي بدأ بتدوينها أثناء عمله مترجم، حيث يصله خبر إغتيال رفيقه "مرزوق" الرمز الذي كان مثل لحم ، يفقده ويبكيه طويلاً.

والقسم الرابع وهو الخاتمة ، كانت مفارقة الرواية كلها ، وقوة الحكمة. " وخاتمة الرواية تأخذ شكل تقرير شخص غائب متمثل بأحد الصحفيين. ما ان يطلع على نبأ اغتيال صديقه ' مرزوق' على يد النظام في الوطن ، حتى يسارع منصور إلى محاولة الانتحار رمياً بالرصاص على صورته في المرأة، ثم يجد نفسه أخيراً في أحد المصححات العقلية. غير أن ما يتعرض له معاصروه أسوأ"¹²⁶.

الراوي فيها شخص غائب متمثل بأحد الصحفيين الذي يستلم يوميات "منصور" ، بعد أن أطلق "منصور" النار على صورته في المرأة . مات "منصور" وترك خلفه أوراقه والتي سلّمها صاحب الفندق لهذا الصحفي. كأن مختتم الرواية هذا الصحفي ، وهي طريقة مبتكرة في الرواية. يقول أخيراً " أنشر الأوراق الآن . ولم أفعل شيئاً من شأنه أن يغير في معناها ... سوى اني رفعت بعض الأسماء .. وبعض الكلمات البذيئة "¹²⁷

ومن الطريف في الرواية إن الكاتب استخدم تقريباً أسماء جميع الحيوانات من أول الحشرات وحتى الأفاعي والكلاب والأفيال والحمار والديك. " كنت يا منصور ديكا مع كاترين."¹²⁸

125 عبد الرحمن منيف ، الأشجار واغتيال مرزوق، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2005 ، ص 203.

126 عبد الرحمن منيف ؛ سيرة حياة ، صبري حافظ، دراسة نشرت في مجلة New Left review العدد : 37، كانون الثاني - شباط 2006. وقد قام الأستاذ فاضل جتكر بترجمة هذه المقالة مشكوراً.

127 عبد الرحمن منيف ، الأشجار واغتيال مرزوق، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2005 ، ص 380.

128 المصدر نفسه ، ص 251.

وبإصدار هذه الرواية يبدأ عبد الرحمن منيف مشروعه في تحليل شخصية المواطن العربي المعاصر المهزومة من الداخل كما يوجد في أغلب أعماله اللاحقة خاصة في روايته "شرق المتوسط". ومن خلال الشخصية في هذه الرواية ، يذكر عبد الرحمن منيف بالغرب الديمقراطي ويدين الشرق، ويراقب مأساة الإنسان العربي.

"ويعتقد عبد الرحمن منيف أن اللقاء بين الشرق والغرب مستحيل، ولذلك يرفض الارتباط بصديقته البلجيكية والعودة بها الى موطنه لقتاعته بعدم تكيفها مع المجتمع الشرقي المختلف والمناقض تماماً للبيئة الغربية المتطورة" ¹²⁹ وهذا يتضح من الحوار التالي: "كاترين! نحن عالمان، التقيا صدفة، وبعد قليل سوف نفترق، ان لقاء مثل هذا لا يمكن ان يستمر، مهما حاولنا." ¹³⁰

"كاترين ، أيتها الصغيرة المحبوبة ، ليس عندي كلمات ، ولكن يجب أن تعرفي أننا من عالمين مختلفين التقينا في نقطة، ولكن كل عالم منا سيواصل رحلته، سيظل يمشي الى آخر الدنيا، الى آخر الحياة دون أن نلتقي مرة أخرى" ¹³¹. والاسم 'الأشجار واغتيال مرزوق' يشير إلى العالمان اللذان لا يمكن أن يتلاقيا ¹³²

المبحث الرابع : دلالة العنوان في الرواية

يبدو عنوان الرواية للمحة الأولى أنه عنوان واحد متصل، في الحقيقة أن العنوان مكون من قسمين، وكل قسم يختص بجزء محدد من الرواية، فليس هناك علاقة بين الأشجار واغتيال مرزوق. فالأشجار لها قسم خاص، واغتيال مرزوق له قسم خاص أيضاً. والواو التي تفصل بين الأشجار واغتيال مرزوق فهي حرف عطف، قد عطفت الأشجار على اغتيال مرزوق في جملة واحدة.

¹²⁹ "البعد الحضاري في روايات عبدالرحمن منيف"، صحيفة "المدى" في 15 يناير/ كانون الثاني 2011
¹³⁰ عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، دار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2005 ، ص 244 .
¹³¹ المصدر نفسه ، ص 245.
¹³² جورج طرابيش، شرق وغرب، رجولة وأوثنة : دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية ، دار الطليعة ، بيروت، الطبعة الأولى 1977.

وتوجد في الرواية اشارات كثيرة التي من خلالها نفهم مدلول العنوان. ومن بعضها :

"من السقطات عن الأشجار ونحن نسرق اللوز والمشمش"¹³³

"كان أبي يقول ونحن نغرس الأشجار: يا إلياس هذه الأشجار مثل الأولاد، أعلى من الأولاد، ولا أظن أن في الدنيا إنساناً يقتل أولاده، فاحرص عليها إذا مت، أنا أتركها أمانة في رقبتك، فإذا قطعت شجرة قبل أوانها فإن جسدي في القبر سوف ينتفض."¹³⁴

"إن الأشجار مثل الأطفال، وبمقدار ما ينظر الرب إلى الأطفال ويرعاهم، فإنه ينظر إلى الأرض من خلال أشجارها، فإذا قطع الناس أشجارهم فإن الرب يتركهم ويعطي المطر لغيرهم، لمن عندهم أشجار!"¹³⁵

يشبه المرأة بالأشجار "وشعرها مفردا معتما كأنه ظلال شجرة الجوز الكبيرة"¹³⁶. ولا توجد في الرواية أية إشارة واحدة لاغتيال مرزوق في القسمين الأولين، وأول إشارة نجدها في القسم الثالث - اليوميات فقط. ومنها:

في الجمعة 14 نيسان "لم أنم الليلة الماضية لحظة واحدة، قتلوا مرزوق. لا أحد يدري من قتله أو كيف قتل. قالوا إنه وُجد مقتولا والسلام!"¹³⁷

وفي الاثنين 17 نيسان " ثم حفرت بأظفري في التراب قبراً صغيراً، ووضعت هناك غصناً أخضر. قلت إنه جثة مرزوق"¹³⁸.

والاثنين 30 نيسان "مرزوق أنت لا تموت. هم الذين يموتون. أسمعني يا مرزوق؟"¹³⁹

أما الخاتمة فليس فيها أية إشارة لعنوان الرواية.

وهناك بعض الإشارات التي تربط بين مرزوق والشجرة في الرواية، مثل "مرزوق شجرة"¹⁴⁰ "وعندما يرونه واقفاً مثل شجرة الحور"¹⁴¹ لكن استعمال هذه الشجرة للتشبيه، ولا يقصد بها منيف أشجار إلياس نخلة.

133 عبد الرحمن منيف ، الأشجار واغتيال مرزوق، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2005 ، ص 28.
134 المصدر نفسه ، ص 47 .
135 المصدر نفسه ، ص 58 .
136 المصدر نفسه ، ص 63 .
137 المصدر نفسه ، ص 347 .
138 المصدر نفسه ، ص 348 .
139 المصدر نفسه ، ص 355 .
140 المصدر نفسه ، ص 349 .
141 المصدر نفسه ، ص 355 .

الفصل الثاني

قصة حب مجوسية

- المبحث الأول : خلفية الرواية
- المبحث الثاني : خلاصة الأحداث
- المبحث الثالث : بنية الكتاب
- المبحث الرابع : فصول الرواية
- المبحث الخامس : الأبعاد الاجتماعية
- المبحث السادس : أسلوب الراوي
- المبحث السابع : عنوان الرواية

الفصل الثاني : قصة حب مجوسية

المبحث الأول : خلفية الرواية

هي رواية قصيرة لعبد الرحمن منيف مثلت بداية لمسيرته الروائية لم تكتمل فيها رؤيته الإبداعية التي سوف تظهر في أعماله اللاحقة. "هي الرواية الوحيدة لمنيف نسجها في سياق أوروبي. وأنها تتعامل مع موضوع جديد في الأدب العربي الحديث؛ العلاقة بين الشرق والغرب كما يراها من خلال عيون الطالب العربي الذي يقع في حب امرأة أوروبية. على الرغم من أن الرواية تختلف من أعماله اللاحقة بالأبدا يظهر اسم الراوي، تشترك في ملامح كثيرة مع شخصياتها، ومع المؤلف نفسه"¹⁴². و'بعد عام واحد من الانتقال إلى بيروت قام عبد الرحمن بنشر عمل روائي أخف بكثير: قصة حب مجوسية،"¹⁴³ نشرت عام 1974.

تختلف هذه الرواية عن رواياته الأخرى بقلة معالجتها لقضايا عربية رغم أنه " يتناول علاقة الشرق بالغرب من خلال بطل القصة الذي ينجرف إلى حب سيدة غريبة، ويرى فيها أشياء يبحث عنها دوما، لكنه يُبقي هذا الحب في حدود العاطفة الطاهرة العفيفة، ولا يتدنى به إلى درك التلوث والتبذل، لكنه يصطدم دائما بما تربي عليه الشرق واستقر في وعيه حول المرأة وعلاقته بها، وهكذا ينذر عبد الرحمن منيف نفسه للمبحث في أغوار الذات العربية/الشرقية المعذبة، ويحلل تقلباتها، ويرصد ما يعتمل بداخلها، وما تتعرض له من قمع وقهر"¹⁴⁴.

المبحث الثاني : خلاصة الأحداث

تدور أحداث هذه الرواية حول رجل عاشق شاء له الهوى أن يقع في حب امرأة فاتنة متزوجة وأم لولدين تُدعى "إيليان" أقام الراوي بأحد الفنادق الموجودة في الجبل

Deconstruction: two edges of a Magian love story, Nisrinejaafar, the MIT Electronic Journal of Middle East Studies, Vol. 7, spring 2007 ¹⁴²

منيف، سيرة حياة : مجلة نيولفت ريفو (new left review) العدد : 37، كانون الثاني - شباط 2006. ¹⁴³

ملحمة مدن الملح، عماد مطاوع في- .www.alexandrie3009.com/vb/showthread.php?4721 on 22/04/15. ¹⁴⁴

بالقرب من بحيرة، ذهب إليه في إجازةٍ ما، طلباً للاستجمام، بعدما أحس بنوع من المرض الغامض في المدينة. وفي لحظة سقوط المطر رأى ليليان، مصادفة، المرأة التي فجرت عالمه الداخلي، وكشفت له حجم مأساته وعطبه، وتفاهة الحياة التي كان يحياها في المدينة. وهنا يشتعل لهيب الحبّ في قلبه غير قابلة للإطفاء وتقوم الشخصية الرئيسية، هو البطل، بدور السارد المعترف الواصف لأحداث الرواية فيصف الآخرين وعلاقاته معهم.

يصف البطل جمالها المقدس بطريقة لو كانت الامرأة حقيقية، لأن ليليان شديدة الروعة بدرجة لا يمكن لامرأة أخرى أن تكون مثلها. ومن الاعجاب أنها امرأة متزوجة، لذلك يبدأ منيف روايته بفصل "العتبة" وفيه بيان واضح صريح لكل القراء عمّا ينتظرهم في قادم الصفحات، كما يوجد فيه الدفاع عن نفسه أمام القراء. "لا أطلب منكم الرحمة، ولا أريد عطفكم. إذا كنتم محسنين فامنحوا صدقاتكم للمتسولين. أنا لست متسولاً ولا مسكيناً، كما لا أعتبر لصاً او قاطع طريق. ومع ذلك فان لي مشكلة. ومشكلتي ، دون كلمات كبيرة، ان الألم يعتصر قلبي ، ليس هذا جديدا بالنسبة للحياة التي أعيشها ، لكن الأمر ، في لحظات معينة، يبلغ حداً لا أستطيع احتمالها ومادام الأمر هكذا ، فإن الكلمات - في بعض الأحيان، وسيلة لانقاضي. لست متأكداً. أتصور ذلك ، ويحتمل أن يكون الحديث ، خاصة معكم، ألماً جديداً ، أتلقاه من عيونكم الميتة الساخرة ، لا يهم ، قولوا أي شيء ، ومع ذلك يجب أن أتكلم"¹⁴⁵.

واستمر هذا الحبُّ الصامتُ حتى بعد رحيلها عن الفندق وعودته هو إلى دراسته في المدينة. قال عن عينيها: "أيتها العيون التي انفجرت في ظلمة الحياة التي أعيش فيها، سوف أعبدك. أنا مجوسي أكثر من مجوس الأرض كلها"¹⁴⁶. وعلى الرغم من أنّ الروي العاشق لم تكن حياته خاليةً من النساء والعلاقات؛ لكنّ "ليليان" وحدها هي من ملكت قلبه، فاكتشف هذا العشق الصوفي لهذه المرأة عند نهاية مرحلة دراسته بالغرب.

145 عبد الرحمن منيف ، قصة حب مجوسية ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008 ، ص 7.
146 المصدر نفسه ، ص 32.

وعندما عاد ليليان إلى المدينة، بحث عن ليليان في الشوارع، وفي عيون الأطفال والنساء، بحث عنها في كل مكان دون جدوى. فعندما التقى ليليان في محطة القطار عائداً إلى وطنه فشل في تحقيق التواصل وبالتالي التطهر، "قلت لها بحنين جارف: أريد عنوانك يا ليليان، لأكتب لك، وقد أعود. ودون أن تجيب هزت رأسها بأسف تعتذر والكلمة الوحيدة التي قالتها: لا فائدة"¹⁴⁷.

بعد أن عاد الراوي إلى وطنه، بقيت ليليان شامخة، راکضة في ذاكرته، تتسلق دمه في كل لحظة، تبكيه، تفرحه، وظل ينتظرها في كل محطة عسى اللقاء يصبح ممكناً في يوم من الأيام "يا أيها الناس، إنها تنتظرنني، إنها تنتظرنني في المحطة القادمة.. نعم المحطة القادمة.. لا أعرف محطة الترام.. الباص، ولكنها تنتظر.. في مكان ما تنتظر.. سألتني بها.. لا تسخروا.. بالتأكيد سألتني بها"¹⁴⁸.

المبحث الثالث : بنية الكتاب

اعتمدت للبحث الطبعة الثانية عشرة ، 2008 م ، أشرف عليه الناشران: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، والمركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية. وهو مائة وواحد وأربعون صفحة. قام بالرسم والتصميم مروان قصاب باشي.

المبحث الرابع : فصوله

تنقسم الرواية إلى ستة فصول. الفصل الأول : العتبة، هو مقدمة الرواية ، يبدأ البطل يتكلم عن نفسه. الفصل الثاني: الجبل، الفصل الثالث: الليلة الأخيرة، الفصل الرابع: المدينة ، الفصل الخامس: السفر، الفصل السادس: أحلام الشمس والأمطار.

147 عبد الرحمن منيف ، قصة حب مجوسية ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008 ، ص 131.
148 المصدر نفسه، ص 138.

المبحث الخامس : موضوع الرواية : الأبعاد الاجتماعية

ناقش منيف في هذه الرواية اشكالية العلاقات بين الغرب المتحضر والشرق المتخلف كما في ' موسم الهجرة الى الشمال ' لطيب صالح ، روائي من سودان. يعتقد منيف أن اللقاء بين الشرق والغرب مستحيل ولذلك يفشل الحب بين البطل و محبوبته الاوربية.

"وفي قصة 'حب مجوسية' يطرح منيف العلاقة بين حضارة الشرق، وحضارة الغرب طرحاً ضمنياً مقتصرأ على الأبعاد الوجودية، وكأنه يشيد بالإمكانات المتوافرة في فضاء الغرب الملائم لاكتشاف الذات الإنسانية، وإن بطل الرواية المجرد من الاسم واللقب، يكتشف من خلال علاقته بـ 'ليليان' اغترابه عن العالم، ليس بسبب التباين الثقافي والحضاري والروحي، وإنما كان ناتجاً عن التأثير بالفكر الوجودي كما يتجلى في الاقتباس التالي: ' لو قلت لكم إن حياة البشر تشبه خطوط السكك الحديدية، فهل تفهمون ما عنيته؟ منذ البداية نفتقد اللغة المشتركة، ليس بيننا شيء مشترك، ليس لديكم تجاهي حتى الرغبة في أن تفهموا...! لا يهمني، بدأت الرحلة وحيداً وسأنتهي وحيداً ' (ص48) وما يزيد هذا الاحساس بالاغتراب قوة، أن البطل يكتشف في نهاية الرواية عبثية الحياة ذاتها، فقد ظل يبحث عن ليليان مدة طويلة، ولكنه لم يستطع أن يجدها إلا في محطة القطار، وهي تهمّ بركوب قطار غير القطار الذي يستعد لركوبه"¹⁴⁹.

يعالج منيف في هذه الرواية صورة مثقف العربي، نفس القضية التي طرح في روايته الأولى ' الاشجار واغتيال مرزوق ' وان اختلفت اشكاله وأساليبه. إذ يعود الراوي في نهاية الرواية 'قصة حب مجوسية' إلى وطنه، وصورة ليليان ما تزال شامخة ، راكضة في ذاكرته، تتسلق دمه في كل لحظة، تبكيه وتفرحه، فهي تنتظره في محطة ما، بكل تأكيد: "... إنها تنتظرني في المحطة القادمة .. نعم المحطة القادمة .. سألتقي بها.. لا

149 / فرحان الجحى، البعد الحضاري في روايات عبد الرحمن منيف، صحيفة 'المدى' 15 / يناير/ 2011.

تسخرُوا .. بالتأكيد سألتقي بها"¹⁵⁰، كما أطلق منصور عبد السلام على صورته في المرأة في ' الأشجار واغتيال مرزوق' .

وفي الجملة ، أن الرواية " تعالج إشكالية الصدام الحضاري بين الذات والعالم تطرح كذلك بعداً وجودياً وفلسفياً بشكل عام يحكي هشاشة الوجود وهشاشة البحث عن السعادة، فالراوي وهو يبحث عن ليليان إنما يبحث عن نفسه المتهاكئة، وهذا الوضع الهوسي يعيشه إنسان خائب، فهو لا يطارد طريدة 'ليليان' بقدر ما يبحث عن نفسه، فتكون رحلة البحث عن ليليان مرآة لرحلة داخلية في الذات، رحلة يبحث فيها الراوي عن سر خبيته وعجزه"¹⁵¹

المبحث السادس : أسلوبه

في هذه الرواية، تناول منيف الأسلوب الرقيق، في إختيار الألفاظ والتعابير. وأسلوب الكتابة أسلوب غربي. في آخر الرواية يقول منيف على لسان بطل روايته: "عدت إلى الوطن". هنا يظهر الأسلوب الغربي بشكل واضح، لأن العرب عندما يأتون على ذكر الوطن لا يذكرونه هكذا مجردا. فيقولون مثلا: عدت إلى وطني، أو يذكرون اسم المكان. أما عدت إلى الوطن فهذا أسلوب أجنبي صريح.

وبطل الرواية وهو الراوي يستخدم أسلوب متعال ومستهزئ بالقارئ. فالرواية مجابهة مفتوحة اللغة مع القدر والضعف الذي يشل مشاعر العاشق ونجد البيئة واللغة والمشاعر في عالم آخر لا يشبه ما تعودنا عليه منه. "من خلال أسلوب متميز أستخدمه عبدالرحمن منيف بضمير المخاطبة بين بطل الرواية والقارئ فتحدث للقارئ كثيرة محاوراً ومعاتباً وأحياناً غاضباً وساخطاً على الأعراف الدنيوية"¹⁵²

150 عبد الرحمن منيف ، قصة حب مجوسية ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008 ، ص 138.

151 د/ صالح ولعة، صورة المثقف العربي في روايات عبد الرحمن منيف، الجزائر، منشورة في www.startimes.com في 2014/06/12.

152 http://q8kalemaatq8.blogspot.in/2008/02/blog-post_26.html on 12/6/2014

المبحث السابع : عنوان الرواية

علاقة العنوان، لـ قصة حب مجوسية، مع فكرة الرواية، هي بان الكاتب اختار اسم المجوسية كوسيلة لرد ثوري على حالة المرأة الموجودة في المجتمع العربي. وكذلك تناول منيف كلمة المجوسية كشكل من أشكال الثورة على المعتقد الديني السائد في المنطقة العربية، "وكانه يتقدم إلى المجوسية التي تحمل فكرة النار المقدسية، فهو من خلال الاسم يكون قد أشار إلى النار التي يجب أن تبقى متقدة في المجتمع خاصة تلك التي تتعلق بالمرأة، وأيضا تحمل فكرة التخلي عن الدين، إن كان مسيحيا أم إسلاميا، لصالح الفكرة التي قدمها، فهو يسير إلى الأمام وليس إلى الخلف، يجعلها في مكانة عالية جدا، لا يستطيع المجتمع أن يصل إليها، وما الحوار الذي دار بين البطل والكاهن، إلا دليل عن أن المرأة في هذه الرواية قد تجاوزت مكانة البشر، وتقدمت إلى مصاف الرباط المقدسات".

153

وقد وصف منيف هذا الحب المفاجئ بأنه حب مجوسي لانه اشعل نار الحب بنار غير قابلة للإطفاء. "اذ ان احدى الشخصيات، ليليان الحبيبة، تحدث بقولها: لكن دعيني اقول شيئا مجوسيا : النار التي استعلت في قلبي يوما .. لن تنطفئ"¹⁵⁴ "وان هذه الرواية تحاول ان تبعد عن الاحالات السياسية المباشرة، لانها تتخذ موضوعا انسانية مفعمة بالحياة، يشكل فيها الحب المحور الانساني والفكري معا"¹⁵⁵.



<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=402240> 12/6/14
الهوية والحياة في رواية ' قصة حب مجوسية' ، د/ قيس كاظم الجنابي ، جريدة الاتحاد، 24 / 8 / 2014 .
المصدر نفسه.

153

154

155

الفصل الثالث

النهايات

- المبحث الأول : خلفية الرواية
- المبحث الثاني : بنية الكتاب
- المبحث الثالث : فصول الرواية
- المبحث الرابع : خلاصة الأحداث
- المبحث الخامس : قضية الرواية
- المبحث السادس : بطل الرواية
- المبحث السابع : الدراسات
- المبحث الثامن : أسلوب الرواية
- المبحث التاسع : النهايات، في رأيهم
- المبحث العاشر : ترجمة الرواية

الفصل الثالث : النهايات

المبحث الأول : خلفية الرواية

نشرت هذه الرواية عام 1977. وهي الخامسة من أعمال الروائية لعبد الرحمن منيف. تدور أحداث هذه الرواية حول حياة البدو في قرية 'الطيبة' وعاداتهم وتقاليدهم وتعايشهم مع الصحراء، والوسائل التي يتبعونها في جلب قوتهم لاستمراريتهم في الحياة، وعلاقة القرية بالمدينة والوعود الكاذبة من جهة سلطة المدينة في بناء سد لحماية القرية من الجفاف. وحصلت الرواية على إقبال كبير داخل مجتمع العربي وخارجها، حتى أنه تم طبع أكثر من 12 طبعة منها حتى عام 2007، وأشاد بها النقاد كثيرا لمعالجتها عن التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في حياة العرب عامة وحياة البدو خاصة. لم يضع منيف 'النهايات' تحت أطر تاريخية أو جغرافية محددة، مثل أعماله الأخرى، فالطيبة هي وسيلته للتعميم.

وهي رواية تتحرك فيها الأحداث في خطوط التي تتوازي فيها الوقائع والرموز. وهي على مستواها الوقائعي تأخذ القارئ إلى تجربة أهل القرية المسمية 'الطيبة' وانتسابهم إلى الجذور، ودهشتهم الدائمة نحو الحب والحياة والموت. وهي على مستواها الرمزي تأخذ القارئ إلى اكتشاف الإنسانية والإنسان. فيشكل منيف شخصية عساف رمزاً للقرية التي تبدو بظاهرها غير ما تبطن من 'طيبة' تجاه أبناءها. والرواية عالم ذكريات عذبة التي بقيت حاضرة في قلوب أهالي 'الطيبة'. واختيار الكاتب هذا الاسم الجميل 'الطيبة' لقريته هو اختيار رمزي، لأن كل قرية هي طيبة بالنسبة إلى سكانها. فكلية 'الطيبة' تجمع بين معنى طيب المذاق والتعايش والهواء والطبيعة وبين معنى البقاء والحياة الساذجة والسكان البسطاء.

'الطيبة' هي قرية اختلقها الكاتب لتدور الرواية حولها، وهي أرض خصبة وطيبة موفورة بالخيرات. وسكانها البسطاء متجردون من جميع مشقة الحياة في المدينة،

يتمتعون بثروتها حيث لا يمكن لأهلها أن يفارقوها مهما مر عليها سنوات الفيضان والقحط والجفاف. وهي في نفوسهم وطنهم الحنون ومنهلهم ومرعاهم حتى يجدوها جنتهم.

" تنبسط رواية النهايات أمام قارئها بهدوء مُفِت للنظر، هدوء تهزه بقوة وعنف لحظات تتخللها حالات وطقوس، فينقلب الهدوء إلى صخب موجع. تبدأ الرواية في مقاطعها الأولى بعملية بناء تأطير جغرافي واجتماعي لمدينة الطيبة، حيث يرسم عبد الرحمان منيف برقة المعالم الكبرى لأمكنة تتسم بكثير من مظاهر الحياة، في تضاريسها الصغيرة والكبيرة وفي غناها وبؤسها. فالطيبة هي بداية الصحراء، وهي تقع على أطراف البوادي، حيث يحدها من الشرق مجموعة من البساتين والينابيع المائية، أما في الشمال والغرب، فنجد أنفسنا أمام سهول فسيحة تتخللها بعض الهضاب. وقد تميزت الطيبة بكونها تَخضُرُ في المواسم الجيدة، فتمتلئ بالنباتات والورود، وتعبق من كل جهاتها. وتتغير أنماط ساكنتها في زمن القحط، فتختفي الطيور ويملاً المجانين دروبها"¹⁵⁶.

المبحث الثاني : بنية الكتاب

اعتمدتُ للمبحث الطبعة الثانية عشرة ، 2007 م ، أشرف عليها الناشران: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، والمركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية. وهو مائتان وثلاث عشرة صفحة. قام بالرسم والتصميم مروان قصاب باشي. ورقمه: isbn 9953-68-138-4.

المبحث الثالث : فصوله

تنقسم الرواية إلى فصلين، والفصل الأول يخلو من اسم أو عنوان ، وهوينقسم إلى تسع عشرة وحدة، وهذه الوحدات تتناول قضية البدو الذين يعيشون في قرية 'طيبة' وهي تقع على حدود الصحراء وقرب مدينة. والفصل الثاني بعنوان 'بعض حكايات الليلة

العجيبة، ينقسم إلى ست عشرة وحدة، أربع عشرة منها القصص التي حكاها الرجال ليلة يوم مات فيه 'عساف' بطل الرواية.

المبحث الرابع : خلاصة الأحداث

ذات يوم، وصلت جماعة من المدينة في سيارة ، فيها أربعة من الضيوف، إلى القرية ليصطاد الحيوانات من الصحراء، ووافق معه عساف على مرافقتهم إلى مكان في أعماق الصحراء، لأنه يعرف هو فقط أين توجد الحيوانات والطائرات بدقة. بدأ الصيد، الأربعة في السيارة وعساف تحت الشمس على قدميه مع كلبه الوفي، ولما اصطاد الأربعة في السيارة على ما يزيد على خمسة طيور كانت حصيلة عساف على ما يزيد على عشرين طيرا. و حين ارتفعت الشمس في السماء قرر الجميع لتناول الغذاء. وبعد ذلك ، في حالة مجنونة زُين للأربعة الصيد على الرغم من أن اليوم قد انتصف، ووافق عساف على ذلك خلافا لعادته. واستأنفوا الصيد ، عساف على قدميه بنهما الآخرون في السيارة. ولم يلبث هبت عاصفة رملية هائلة على جميعهم، حتى وصلت فرقة نجدة لانقاذهم في اليوم التالي، وعثروا على الرجال الأربعة إلا عساف، وكانت الأربعة بين الحياة والموت، واستعادو وعيهم بعد ان يُقدم لهم الماء والطعام . وبعد بحث طويل مستمر عثروا على عساف شبه مدفون في الرمال وكلبه جاثم فوق رأسه ليحميه من النسور التي تحوم حول جثته، أخذت الفرقة جثته وترك الكلب. ولما عاد الموكب الحزين الى القرية انفجر الجميع في التعبير عن الحزن والغضب.

وحُملت الجسد الميت إلى بيت المختار، هناك ينتظر عدد من الرجال. وقضى هؤلاء الرجال الليلة كلها ساهرين حول الجثمان، ويروين قصصا حتى بلغت أربع عشرة أقصوصة واثتان منها من كتاب 'الحيوان' للجاحظ. ولكل هذه القصص علاقة مع سياق الرواية حيث تحكي عن الحيوانات والطيور والكلاب والغزلان والقطط. وفي الصباح جاء بناء القرية ، العمّ أبو زكو، ليبنى القبر ويجهز الجنازة. في وقت ما بعد أن ارتفعت الشمس ذراعا، حُمل عساف، وانفجر الصوت فجأة: لا اله إلا الله ... لا اله إلا الله، وشارك في موكب الجنازة أبناء القرية والذين جاءوا من المدينة المتجاورة والبعيدة. ولما وصل

جنازة عساف إلى حيث يجب أن يُدفن، كانت هناك جموع تنتظر حتى لا يدري أحد كيف تجمّعت هذه الجموع ومن أين أتت، بمن فيهم الأطفال جاءوا على الدواب والدرجات.

وما وضعت الجنازة عند المقبرة، حتى كانت النساء الطيبة تهيأن لاستقبال الميت، وتجمّعن على شكل دائرة، بدأن الرقصة منتظمة، وكان ذلك دون اعتراض من الرجال، ولم تفعله الطيبة إلا قبل عشر سنوات جزءا من عادات البدو. وقام العم زكو أعمال الدفن بمهارة، وعاد الناس إلى بيوتهم وفي نفس الوقت تتوجه مجموعة من الرجال إلى المدينة لكي يبحث موضوع السد للمرة الأخيرة. أما المختار، الذي صامتا طوال الوقت أعلن: " لن أعود إلى الطيبة إلا لأحمل بندقية وأبقى في الجبل، ومن هناك ومع الآخرين سوف نعمل شيئا كثيرا غير الصيد. أما إذا وافقوا على بناء السد فسوف أعود على ظهر بلدوزر لكي يبدأ العمل، ولكي تبدأ الطيبة تعرف معنى الحياة بدل هذا الموت الذي تعيشه كل يوم"¹⁵⁷. هكذا تنتهي الرواية.

المبحث الخامس : قضية الرواية

ان مسرح الرواية هو قرية 'الطيبة' التي تقع على حدود الصحراء، وهي حكاية مدهشة، تحدث في احدى سنوات قحطها، مثل الحكايات التي وقعت قبل أعوام حقيقة كانت أو خيالية. يعالج الكاتب في هذه الرواية كثيرا من الحكايات عن الانسان في قرية طيبة وتعايشه مع الصحراء خصوصا في سنوات القحط، حيث يأتي الموت من آخر ويخطف من يشاء. ومن ضمن حكايات هذه الرواية كلاب الصيد والحراسة والوعول والغزلان والكلاب المدللة وطيور الكدري والغربان والخراطيش والبنادق وأخيرا الموت كنهاية.

صمّم الكاتب الرواية إلى نصفين، وفي النصف الأول، يتحدث طويلا عن عساف وبندقيته وكلبه للصيد. وهذا يجعل شخصية عساف ذات الدلالات المختلفة كما نرى لشخصيات منيف عامة. هو شخصية ذات أبعاد وفذة ومع ذلك هناك تشابه بين شخصية

عبد الرحمن منيف، النهايات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.

عساف ومتعب الهذال في الجزء الأول من مدن الملح ، وهو أخرج الكاتب عسافا بنفس الحالة النفسية التي أخرج بها متعب الهذال.

والنصف الثاني مجموعة من القصص تحت عنوان 'بعض حكايات الليلة العجيبة' ، يحتوي اربعة عشر حكاية عن الحيوانات بما فيها حوادث الصيد وحكاية مدهشة ومثيرة للفكر والمتعة وحوادث أخرى مختلفة، واثنان منها اقتبسهما الكاتب من كتاب الحيوان للاديب الجاحظ. وفي جميع الحكاية تتشابه النهاية وهي الموت لتلك الحيوانات، و معظمها كانت النهاية أثناء الصيد. حاول منيف خلال هذه الحكايات أن يناقش ماهي الصلة بين الحيوان والانسان وكيف يُحوّل عمل الصيد من اكتفاء بالعيش الى نهم ورغبة في القتل فقط والتمتع به. وفي نفس الوقت يحاول لتوعية الانسان عن الطمع المفرط نحو ثروة الصحراء والحيوانات.

ومن الواضح أن الكاتب يُظهر في الرواية اهتمامه وقلقه بالطبيعة والبيئة في وصف كل مظهر من الطبيعة، وبيّدتع عالما جديدا بوضع هذه المظاهر الطبيعية في المكان المناسب لها في النص. الصيد هو أحد الطرق للمعيشة في هذه المجتمع، وأن كثيرا من السكان لا يوافقون مع من يصيد الطيور والحيوانات بدون اي تميز، ولذا ينظر أهل القرية بعين الريبة والشك الى الضيوف التي تأتي من المدينة لتجربة الصيد كهواية ورياضة.

المبحث السادس : بطل الرواية

" إذا كان هنالك بطل رئيسي في هذا العمل فهو مجتمع القرية ككل. إذ على الرغم من أن الرواية تصور أفعال الأفراد، غير أن الأثر الذي تحدثه هذه الأفعال إنما يرى ضمن الصورة الكلية ، أي صورة القرية كوحدة متكاملة. وأي رسم للشخصيات إنما ينبع من خلال وصف أفعالهم هذه وأثر هذه الأفعال على القرية أو على أجزاء منها ، ولا يتم رسم الشخصيات عن طريق تحليل دوافعهم الداخلية، أو بدرجة أقل من خلال الحوار، وهو قليل نسبيا في هذه الرواية ولا يتعرّ القارئ في الواقع إلا على أربعة أسماء لشخصيات في

هذا العمل الذي يتكون من 187 صفحة. وبدلاً من ذلك، فإننا نسمع الكثير عن 'الطيبة' وسكانها من 'كبار السن' و'الشبان' وما إلى ذلك"158.

والبطل الشخصي يأتي في الرواية في مكانة ثانية، شكله منيف في صفة غير مألوفة في الرواية العربية. وهو عساف، قد بلغ عمراً بين الأربعين والخمسين سنة. يحضر عساف متميزاً بجسد وبنية قوية، وهو أعزب لأسباب يختلف فيها الناس، ويتداولون بشأنها روايات عديدة، وليس له عمل. ومع ذلك أنه وجهٌ أليفٌ في الطيبة، وأنه صياد ماهر. يخرج إلى الصيد إما وحده أو مع كلبه. لكن تدريجياً تولدت العلاقات بينه وبين أهالي الطيبة بصفة عميقة حتى لا يعود يشك القارئ في انتسابه إلى عالم الواقع، رغم أنه يصادفه في ضواحي الطيبة يمشي صحبة كلبه، منتشياً ومدندنا، ويصادفه صامتاً يواجه قدره.

إمتن عساف الصيد مهنة له حيث يجد فيها متعته وسلوانه من فكرة العيش، "وعساف الذي تعود خلال فترة طويلة ان يخرج الى الصيد وحيداً مع كلبه، كان يجد صعوبة في ان يردّ الذين يطلبون الخروج معه، خاصة من الضيوف، او في سنة من سنوات القحط. كان يتمنى لو يبقى وحيداً لكن ماذا يستطيع ان يفعل وقد أمحلت الأرض وابتعدت الغيوم ولم يعد عند الناس شيء يأكلونه؟ حتى أماكن الصيد التي خبأها لنفسه في فترات سابقة، وكان يردّد لنفسه بإصرار انه لن يترك احداً يصلها ولن يدل احداً عليها، لا يستطيع ان يمتنع طويلاً في اخفائها، لكن كان يبنه بتأكيد حازم: لا تقبلوا الاناث، إنَّها رزقنا الباقي!"159.

" كان عساف في تلافيف الرواية محط عناية الجميع، وخاصة في مجالس السمر، حيث يحلو لأهل الطيبة ابتكار جوانب في شخصيته، فيصفونه أحياناً بالشجاع المقدام، وينسبون له في منعطفات أخرى من الرواية، وقائع ومواقف لا تخلو من طرافة، ذلك لأن مجالس الطيبة لا تحلو بدون الحديث عن مغامراته في الصيد وفي الحياة. وفي حال تأخره

158 روجر أن ، الرواية العربية ، ترجمة : حصة ابراهيم المنيف، مجلس الأعلى للثقافة 1997.
159 عبد الرحمن منيف، النهايات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.

أو غيابه عن هذه المجالس، يبادر الجميع فينادون بصوت واحد نريد عساف، أحضروه حيا أو ميتا. فيحضر بحضوره ويحضر بغيابه"¹⁶⁰.

المبحث السابع : الدراسات

وقد جرت حول هذه الرواية دراسات كثيرة منها : مدار الصحراء لشاكر نابلسي والنص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف لمحمد رشدي عبد الجبار دريدي. "عقدت كلية الآداب، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة البحرين جلسة لمناقشة رسالة ماجستير للطالب محمد سعيد الهاجري تحت عنوان 'الحس المأساوي في رواية النهايات لعبدالرحمن منيف'، وذلك يوم الإثنين الموافق 5 مارس/ آذار الجاري بمقر الجامعة بالصخير. بالإضافة إلى ما يحمله نص رواية 'النهايات' من معانٍ وأفكار تخدم غرض الدراسة التي تهدف إلى بيان 'الحس المأساوي' في الرواية، والتماس الرؤية الفلسفية في التعامل مع النص، مبيّنا أن 'الحس المأساوي' يميل إلى الفلسفة أكثر من ميله إلى الأدب"¹⁶¹.

المبحث الثامن : أسلوبه

اشتهر الكاتب بأسلوبه في كتابة الواقع السياسي والاجتماعي في الدول العربية. أن الروائي عبدالرحمن منيف "قد احتل مكانة مميزة في مسيرة الرواية العربية ليس بسبب احتفال النقد بأعماله وحسب، وإنما لتمييز هذه الأعمال من الزوايا الفنية، حظيت أعمال منيف باهتمام جلي؛ فدرست رواياته كافة بما في ذلك رواية النهايات"¹⁶².

المبحث التاسع : النهايات في رأيهم

يرى النابلسي " أن هذا العنوان يرمز إلى النهايات التي ستواجه العالم العربي، إن هو ظل سائرا بنفس الطريق التي كانت بلدة الطيبة سائرة عليها"¹⁶³. "كيفما تقرأ هذه الرواية ، فأنت باستمرار تتحرك في خطوط تتوازي فيها الوقائع والرموز. هي على مستواها الوقائعي تعود بك إلى تجربة أهل الطيبة ، انتمائهم الى الجذور، وذ هولهم الدائم

160 كمال عبد اللطيف، عساف بطل رواية النهايات يعيش بيننا، جريدة الاتحاد الاشتراكي يوم 13-06-2014

161 <http://www.alwasatnews.com/news/221030.html>

162 محمد الشوابكة، السرد المؤطر في رواية النهايات، <http://alghad.com/articles/732549> on 16/10/2015

163

ازاء الحب والموت. وهي على مستواها الرمزي تعود بك إلى اكتشاف الإنسان ، اينما كان ، انتماءه إلى هذه القوى الغمضة في الكون التي تجعل من الحب والموت أعنف وأخصب ما في الطبيعة كلها"¹⁶⁴.

" إن هذه الرواية تدخل سمة بالغة الأصالة إلى نطاق تقاليد القصة العربية الحديثة ، وهي سمة يمكن اعتبارها من جوانب عدة عودة الى أنماط سردية سابقة. فالرواي في هذا العمل لا يهيمه تقديم منظور واحد عن الأحداث ، كما أنه لا يضيره أن تأخذ قصته بعض الوقت الى أن تتكشف جوانبها شيئاً فشيئاً، فشأنه شأن الحكواتى التقليدي ضمن إطار تقاليد الثقافة الشعبية العربية، يجد في البيئة المحيطة التي يروى فيها حكايته مجالا فسيحا من الزمن يتيح له كل الوقت الذي يحتاج اليه. فالالاقتصاد في الحديث ليس وارادا هنا ، بل ان الإسهاب والتنوع أمور محببة. وليست هنالك ضرورة ملموسة هنا لتلبية احتياجات الضغوط والمتطلبات القائمة في الحياة المعاصرة والتي جعلت من القصة القصيرة النمط الأدبي المفضل في العديد من المجتمعات الحديثة"¹⁶⁵.

"رواية النهايات التي أراها رواية البادية بامتياز، شهادة بدوي يعرف الصحراء والمواسم والخصب والمطر والقحط والجفاف والحيوان والنبات والطير ، يتشمم رائحة الغيم ويتعرّف على نذر العاصفة، يعيش مع أهل قريته، وهي دائما ذات القرية التي تقع على حافة الصحراء - متمثلا أنماطها الثقافية وأصفي قيمها"¹⁶⁶. و"عالج الروائي رمزا موضوع الفرد والسلطة القاتلة ، في عمله الغنائي ' النهايات' حيث الفرد القريب من الطبيعة حر، فإذا لامسته السلطة قادته إلى الموت. رسم علاقة الفرد بالطبيعة بمجاز: الصيد ، من حيث هو ضرورة عقلانية تحافظ على حياة الإنسان والحيوان معا ، وقرأ علاقة السلطة بالطبيعة بفعل: القتل الذي يصطاد الطيور المدافع البنادق الأوتوماتيكية"¹⁶⁷. ترجمت هذه الرواية إلى اللغة الانجليزية وقام بترجمتها الأستاذ روجر ألن سنة 1988، وهو باسم endings.



164 عبد الرحمن منيف، النهايات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية عشرة، بيروت.

165 روجر ألن، الرواية العربية ، ترجمة : حصة ابراهيم المنيف، مجلس الأعلى للثقافة 1997.

166 عبد الرحمن منيف، النهايات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية عشرة، بيروت.

167 فيصل دراج، الثقف الديمقراطي وسياسة الكتابة، بدايات ، العدد 10، شتاء 2015.

الباب السادس

العناصر الإجتماعية والإقتصادية في رواية 'مدن الملح'

- الفصل الأول : مدن الملح، دراسة تحليلية
- الفصل الثاني : العناصر الإجتماعية في مجال
الحكومة
- الفصل الثالث : العناصر الإجتماعية في مجال
العامة
- الفصل الرابع : العناصر الاقتصادية

الفصل الأول

مدن الملح ، دراسة تحليلية

- المبحث الأول : بنية الرواية
- المبحث الثاني : خلفية التأليف
- المبحث الثالث : تسمية مدن الملح
- المبحث الرابع : تشكيل الأحداث التاريخية
- المبحث الخامس : الممنوع
- المبحث السادس : خلاصة الأحداث
- المبحث السابع : الشخصيات في مدن الملح
- المبحث الثامن : الزمان والمكان في مدن الملح

الفصل الأول : مدن الملح دراسة تحليلية

المبحث الأول : بنية الرواية

مدن الملح هي رواية خماسية وكل جزء منها يحمل اسماً فرعياً. فالجزء الأول هو 'التيه' والثاني 'الأخدود' والثالث 'تقاسيم الليل والنهار' والرابع 'المنبت' والخامس 'بادية الظلمات'. هي وثيقة مهمة روائية، تتحدث وتؤرخ عما وقع على الحياة البدوية من رياح حضارية وثقافية وأثرت بحياة البداوة بشكل شامل. يعبر فيها الكاتب عما حدث في نفوس البدويين، وكيف تحول حالهم إلى الغنى المفاجئ نتيجة لثروة النفط. وهي "رواية ملحمة تستحضر دور النفط في حياة العرب وتحولاتهم وموقع النفط من السلطة والثروة في التاريخ المعاصر لبلد نفطي واحد هو العربية السعودية"¹⁶⁸. تمثل هذه الرواية بأجزائها رواية ملحمة وهي فريدة من نوعها في الرواية العربية. وقد رأى ادوارد سعيد هذه هي : "العمل الخيالي الوحيد الذي حاول ابراز مدى تأثير النفط والأمريكيين وحكم الأقلية المحلية السياسية في دولة خليجية"¹⁶⁹

هي تتكلم وتصور الحياة في الصحراء مع بداية اكتشاف النفط. وهي تحلل التحولات المتسارعة التي حلت بمدن وقرى الجزيرة العربية منذ تنقيب النفط واكتشافه. و تعالج خطاب النفط وأثره في الصحراء العربية وأهالها. هذا التغير الذي تأثر به الإنسان والمكان معاً. تنبأ هذه الرواية وتصويرها يساعد من يريد أن يفهم تاريخ النفط والصحراء العربية. وهي في ناحية أخرى تاريخ خيالية لمجتمع صحراوي بدوي مفتت إلى قبائل وعشائر ولم يعرف السلطة المركزية الا مع توحيد عبد العزيز للجزء الأكبر من الجزيرة في الحدود التي سمح له بها الانكليز.

فالرواية تاريخ وفلسفة وسياسة ودراسة بأسلوب آخر، بأسلوب ملحمي روائي عن تنقيب النفط وأثرها في الجزيرة العربية منذ اكتشافه حتى الآن. وهي تقدم أحداث الفترة

¹⁶⁸ فواز طرابلسي، النفط في المخيال العربي، تقاسيم على مقام السوائل، مجلة بدايات: فصلية تكافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥.

¹⁶⁹ Abdulrahman Munif : Cities of Salt. Translation, Peter Terroux. New York: Vintage Books, 1987.

محللة تحليلاً شاملاً بما فيها من وجهة نظر الحاكم في أمر يفعله، ووجهة المسؤول المباشر للحكومة، ووجهة نظر الطبقة المعنية بهذا الصدد، ووجهة نظر الشعب العادي، والنساء والأغنياء والفقراء. حتى وجهة نظر الجهات خارج الدولة، سواء من الدول الصديقة أم من الأعداء أم من المحايدين لها. وهي رواية تحكي قصة ثورة النفط في الجزيرة العربية، وقيام دولة عظيمة على هذا المنبع - النفط، بمعونة الحكام بها. وقيام هذه الدولة بتغيير حضارة هذه المنطقة، وتغييرت حياة البشر فيها. وهذا دائماً ما يقع عند قيام أو تغيير الدول أو أنظمة الدول في أي بلد.

"فعلا ، كانت المدن، التي نشأت في مجتمع لم يكن مهياً قبلاً لاستقبال ذلك الركاب من الحديد والزجاج والإسمنت، مدن جديدة مكيفة بالكهرباء، مصدرها الثروة النفطية، التي لم يكفر فيها الإنسان قط، إنها ستنفذ في يوم ما، فماذا سيحدث لهؤلاء الناس وهذه المدن؟ هذه هي الجملة او معناها التي كان يختم بها عبد الرحمن منيف نهاية كل جزء من الخماسية، إنها الصرخة التي أطلقها منيف بعد التحرر الشامل الذي أحدثه النفط في المكان والبشر، وبعد إقرار منيف بأن النفط إذا أسيء استغلاله هو نقمة ولعنة على المجتمعات التي رزقت به، وهو هم كبير، بل قاتل، يُثقل كاهل كل مثقف مسؤول عن رسالة يجب أن يتركها أثراً للأجيال القادمة"¹⁷⁰.

"ان قراءة منيف ضمن معادلة الزمان والمكان والشخصية تظهر دوره الريادي في تشكيل وتطوير الرواية العربية الحديثة، وكيف حاول الاستفادة من تقنيات السرد الغربي وأشكاله، والعودة الي التراث العربي، واذا اخذنا خماسية مدن الملح فهي وان كانت عن صدمة الحداثة، ونشوء المجتمعات الاستهلاكية، تظل عملاً ملحماً، وظف له منيف التراث الشعري والمخزون التراثي البدوي، وقام من خلال هذا المزج برصد تحولات منطقة في العالم العربي، تغييرت بفعل ثنائية القمع والنفط"¹⁷¹.

170 الأستاذة بعبو نورة، عبد الرحمن منيف بين هم الإبداع الروائي ومأساة السياسة وأكذوبة التاريخ. إبراهيم درويش، د/ نبيه القاسم، الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، صحيفة القدس العربي، لندن، 2005/11/21.

170

171

يناقش الكاتب في مدن الملح القضايا الاجتماعية وفقا لعلم الاجتماع الحديث، ومن أهم معالجات هذه الرواية كيف كانت نظرة المجتمع نحو الأحداث في أرضهم وكيف تتصرف الشعوب مع ما يمر بهم، وإلى متى تأثرت حياة الناس بالتدخل الخارجية وكيف يحدث الأمور الشذوذ التي لا تقاس على الكل، وكيف يختلف رأي صاحب المصلحة عن من لا مصلحة له، وكذلك آراء الناس حسب أفهامهم وعقولهم وثقافتهم وأعمارهم وحضارتهم. ومن أهم تيمة مدن الملح، القضايا الكبيرة التي تهم الأمة العربية وتشغلها، وهي الحرية والديمقراطية وكرامة الإنسان خاصة. و حاور فيه الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية و كذلك وعى العالم الذي يعيش فيه عامة. أراد منيف أن يكون هناك في عالم العرب تغييرا أساسيا للأوضاع الجديدة في عصر ما بعد اكتشاف النفط في الجزيرة. ولكنه أدرك بحسه الإبداعي أن ذلك مستحيل في تلك الفترة، وعلم أن دوره في التغيير لن يحقق شيئا من خلال عمله في قطاع النفط في السياسة والنشاطات الاجتماعية المختلفة آنذاك، وأدرك أنه لا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال العمل الإبداعي وخاصة الإبداع الروائي.

"وإذا كان كل منظور سياسي لا يستوي إلا بالعودة إلى التاريخ، كان على منيف أن يعاين الهزائم العربية ، السبعينات وماسبقها، راجعا إلى 'اكتشاف' أقرب إلى اللعنة هو : النفط، الذي بدا خالقا جديدا للحياة العربية، له سلطاته ودينه ومثقفوه واقتصاده، وله سجونه التي تنتج الهزائم وتمحو العقل. عالج تاريخ النفط في مدن الملح ، وسجل روائيا تاريخ تبعية الأنظمة للاستعمار، تلك التبعية، التي هي مرجع للقمع ومسوغ له ، وكان عميق البصيرة حين رجع إلى تاريخ العراق الحديث في 'أرض السواد' وعاین نشر مبادئ الخضارة الغربية بواسطة المدافع والبوارج البحرية"¹⁷².

فالرواية تصور الحياة والانسانية والسلطنة والتحويلات المفاجئة في دولة مُتخيلة يطلق عليها 'موران'. و يقع هذا في زمن بعد اكتشاف النفط بمدن تلك الدولة وقراها. وهي تحمل رؤية سياسية تاريخية تجاه العلاقة الشائكة بين الغرب المتقدم والشرق

المتخلف حضاريا ومدنيا. وهي تصوير على تشخيص النظام السياسي والتاريخي لدولة ما في الصحراء.

وتناول الرواية لأجزاءها عناوين مستقلة:

الجزء الأول : التيه : يتناول الفترة التي تلت اكتشاف البترول في الصحراء - الجزيرة العربية، وكيفية نشوء الدولة وبدايتها ومجيء الأجانب.

الجزء الثاني : الأخدود: يتناول تاريخ المنطقة بما فيه رجال الأعمال الذين دخلوا في تحالفات مع سياسة موران وحكامها.

الجزء الثالث : تقاسيم الليل والنهار: يناقش جذور العائلة الحاكمة الماضية ويعود إلى سنوات الصراع بين القبائل.

الجزء الرابع : المنبت : يواصل رصد التحولات والتغيرات السياسية والانقلابية التي فرضها فنر في الدولة المُتخيلة.

الجزء الخامس : بادية الظلمات : يتابع التحولات السياسية والمتغيرات حتى أصبحت اسم الأرض بالدولة الهديبية وينتهي الحاكم بالاغتيال من خاصته.

ومن أهم مناقشاتها: علاقة الحاكم بالمجتمع وأحوال السياسي والعسكري والعمالي ونظرة المجتمع نحو الأحداث في أرضهم وكيف كانت وكيف تتصرف الشعوب مع ما يمر بهم وطبيعة الحاكم والدستور الدولة وكيف يحدث الأمور الشذوذ التي لا تقاس على الكل والحالة السياسية للدولة وإلى متى تأثرت حياة الناس بالتدخل الخارجية وحالة الحريات وحقوق الإنسان وكيف يختلف رأي صاحب المصلحة عنّ لا مصلحة له وكذلك آراء الناس حسب أفهامهم وعقولهم وثقافتهم وأعمارهم وحضارتهم.

وفي رأي منيف، مدن الملح مدن اصطناعية تبرز بين ليلة وضحاها، منتفخة مثل بالونات على وشك الانفجار والأضحلال في لحظة مدن لا استقرار لها، مثل الملح تماما، تلك المادة الأساسية لضمان الحياة الطبيعية والقادرة أيضا على اتلاف البيئة ان زيد منها.

المبحث الثاني : خلفية التأليف

فقد شهد الكاتب عبد الرحمن منيف بداية التحولات في العالم العربي وأحس بالخطر للوطن والإنسان العربي من تغيرات في أرض الصحراء العربية بثروتها النفطية وشيوخها وأمراءها المستعبدين للأجانب وما سيكون لذلك من أثر على مجمل المنطقة العربية. ففكر لعالم عربي جديد ومستقل، وانسان حر وصاحب كرامة وقدرة خلال ابداعاته عامة ومدن الملح خاصة، لأن أمة العرب يعيشون السجن الكبير تحت سيطرة الأجانب.

يقول منيف : "أنني كروائي ، وإزاء التعقيدات الكبيرة والخطيرة ، والتي لها جذور في الماضي ، وجدتُ أن معالجة الوضع القائم حاليا يقتضي مني أن أدرس تاريخ هذه المنطقة، وأن أتابع تطوراتها ، وأن أرصد انعكساتها. وباعتباري من أبناء هذه المنطقة وأحد ضحاياها. وبحكم دراستي لاقتصاديات النفط، وعملي لسنوات طويلة في هذا الحقل، ولأنني لم أجد بعد الصيغة السياسية التي من شأنها أن تحدث أو تساهم في التغيير، فقد وجدت الرواية الصيغة الأكثر ملاءمة لقراءة المجتمع قراءة متأنية وموضوعية، وفنية أيضا، وهذا دعاني الى كتابة مدن الملح"¹⁷³ بأجزائها الخمسة لكي تكون إحدى القراءات التي تساعد في فهم مجتمع في مرحلة هامة من مراحل تطوره.

" يقول منيف: تعالج 'مدن الملح' مشكلة العلاقة بيننا وبين الآخر. بيننا كعرب وبين الغرب، منذ بداية القرن العشرين. فالاستعمار الغربي كان يحاول، على الدوام، الحصول على المواد الأولية، كما كان يحاول الهيمنة على الأسواق واستغلال الشعوب

¹⁷³ إيريك غوتيه، عبد الرحمن منيف : بين التاريخ والخيال، منيف 2008. المملكة المغربية، الدار البيضاء، 2009

بشكل أو آخر. فإلى ما قبل اكتشاف النفط، كانت معظم بلدان المنطقة، وخاصة تلك المطلّة على السواحل، عبارة عن مناطق مرور للمستعمر. فقد كانت للاستعمار البرتغالي (مثلاً) ثم الاستعمار البريطاني، مجموعة من المنشآت على السواحل، مهمتها تسهيل وحماية طرق مواصلاته الى الهند. ولكن رغم ذلك لم يكن لهذه المناطق أهمية كبيرة، إنما كانت أهميتها تتبع، الى جانب كونها مناطق عبور، من علاقة الحاكم بالمستعمر، أما عندما اكتشف النفط فقد أصبحت المنطقة هدفاً وأصبحت أرضاً مهمة. بل أن أهميتها تبدو، في أحيان كثيرة، أكبر من الحاكم نفسه بالنسبة للاستعمار. وهكذا بوسعنا أن نسمي القرن العشرين قرن النفط، فقد كان أول امتياز نفطي حصلت عليه بريطانيا بالمنطقة، في إيران عام 1901 ثم بدأت الامتيازات تتوالى: في البحرين ثم الكويت ثم السعودية والعراق. وباعتبار ان المستعمر كان موجوداً أصلاً على السواحل، من خلال منشآته، فقد قام بتقسيم المنطقة سياسياً وجغرافياً تبعاً لما يؤدي الى مكاسب أكبر بالنسبة له. فالعراق مثلاً، أي الدولة العراقية المعاصرة، لم تكتسب صيغتها الأخيرة كدولة إلا بعد أن تم الاتفاق على أول امتياز نفطي على أرضه. وهكذا أصبح النفط هدفاً أساسياً بالنسبة للمستعمر وللوقى الصناعية الغربية، وخاصة بريطانيا وفرنسا، ومن ثم أميركا. وبمجرد أن بدأ النفط يُنتج ويصدر، بدأ يغير معالم المنطقة وعلاقاتها وتشكيلاتها. وهذا أدى بدوره، الى تغيير نوعي كبير في مجتمع المنطقة، حيث تراكم هذا التغيير بأشكال مختلفة وأدى الى النتائج التي نراها الآن. هذه هي خلفية "مدن الملح" أو مادتها التاريخية إن صح التعبير¹⁷⁴.

يوصل منيف آراءه التي ادّت الى تأليف مدن الملح "وأنا باعتباري من أبناء المنطقة وكنت درست موضوع النفط وانعكاساته وتأثيراته على كل المستويات، فقد تهيأت لي، خلال فترة طويلة نسبياً، مادة اعتبرتها كافية لمعالجة هذه الموضوع. ومن هنا، وبعد انتظار، ولكن بدون تردد، انطلقت في هذه المعالجة وتوصلت أخيراً الى الصيغة المتمثلة بـ "مدن الملح". لكن يجب الانتباه الى أن موضوع الرواية ليس موضوعاً تاريخياً واقعياً، كما هو متعارف عليه، إنما هو التاريخ المغيب. أي التاريخ الذي يراد له أن يُنسى أو أن يهمل. ولذلك كان لا بد لي من العودة الى فترات تاريخية

بعيدة نسبياً، وإلى أماكن طبيعية. أي إلى المسرح الحقيقي الذي جرت عليه الأحداث، ومحاولة قراءة المجتمع، خلال ما يقرب من نصف قرن: كيف تكون هذا المجتمع؟ كيف حصلت فيه التغيرات؟ كيف حاول المستعمر أن يصيغه على قياسه، ووفقاً لمصالحه، من ناحية البنى الاجتماعية ومن ناحية العلاقات السياسية؟¹⁷⁵.

"بعبارة أخرى هي محاولة لمعرفة التطور، الذي حصل داخل المجتمع نفسه. أي عملية انتقاله من مجتمع بدو ورعي وتنقل، إلى مجتمع استقرار وعلاقات استهلاكية واستيراد وتجارة وأساليب حياة. فهذه كلها، وهي جرت بالطبع لحساب الآخر، أي المستعمر، وخلال فترة قصيرة نسبياً، قد أحدثت هزة كبيرة في قاع المجتمع وأحدثت تصدعات في أكثر من منحى من مناحي الحياة. وبسبب حجم المسرح الواسع الذي جرت عليه الأحداث، سواء من ناحية الفترة الزمنية أو المدى الجغرافي، فقد كان لا بد من المرور على الكثير من الوقائع والتفاصيل والتطورات والحيوات، لكن مع ذلك كله أنا لا أعتبر أن "مدن الملح" تشكل تاريخاً رسمياً أو تاريخاً سياسياً، إنما هي إعادة قراءة للمجتمع في إحدى مراحلها. وفي "مدن الملح" كنتُ حريصاً على موضوع التفاصيل والسبب هو أن هذه التفاصيل تكاد أن تنتهي أو تغيب عن الذاكرة. لذلك حاولت، بشكل روائي، أن أستعيدها بأشكال وصيغ مختلفة، لوضعها كعلامات من أجل دراسة واقع المجتمع"¹⁷⁶.

المبحث الثالث : تسمية مدن الملح

عندما سُئل عبدالرحمن منيف عن سبب تسمية روايته الشهيرة بمدن الملح قال: "قصدت بمدن الملح، المدن التي نشأت في برهة من الزمن بشكل غير طبيعي واستثنائي. بمعنى ليست نتيجة تراكم تاريخي طويل أدى إلى قيامها ونموها واتساعها، إنما هي عبارة عن نوع من الانفجارات نتيجة الثروة الطارئة. هذه الثروة (النفط) أدت إلى قيام مدن متضخمة أصبحت مثل بالونات يمكن أن تنفجر، أن تنتهي، بمجرد أن يلمسها شيء حاد.

175 جمعة الحلفي، زاوية - كيف كتب منيف - مدن الملح؟، الحوار المتمدن، 2004- 3- 14- www.ahewar.org/- المصدر نفسه.

176

الشيء ذاته ينطبق على الملح. فبالرغم من أنه ضروري للحياة والإنسان والطبيعة وكل المخلوقات، إلا أن أي زيادة في كميته، أي عندما تزيد الملوحة، سواء في الأرض أو في المياه تصبح الحياة غير قابلة للاستمرار. هذا ما هو متوقع لمدن الملح التي أصبحت مدناً استثنائية بحجومها، بطبيعتها وعلاقتها، بتكوينها الداخلي الذي لا يتلاءم وكأنها مدن اصطناعية مستعارة من أماكن أخرى. وكما قلت مراراً، عندما يأتيها الماء، عندما تنقطع عنها الكهرباء أو تواجه مصاعب حقيقية من نوع أو آخر سوف نكتشف أنّ هذه المدن هشة وغير قادرة على الاحتمال وليست مكاناً طبيعياً لقيام حضرات أو حواضن حديثة تستطيع أن تستوعب البشر وأن تغير طبيعة الحياة نحو الأفضل"¹⁷⁷. ويقول منيف : "خلال فترة إقامتي القصيرة كنت أكتشف جديدا كل يوم، بما في ذلك سوق الملح في صنعاء ، والذي أوحى لي بتسمية روايتي: مدن الملح، باعتباره أحد أسواق تلك المدن"¹⁷⁸.

وقد صرّح عبد الرحمن منيف، في حوار له بالألمانية عن سبب اختياره لعنوان الخماسية مدن الملح، ذكر بعض الأسباب قائلا : إنها تعني تلك المدن التي نشأت في برهة من الزمن بشكل غير منطقي واستثنائي، وأصبحت مثل بالونات يمكن أن تنفجر ، أن تنتهي بمجرد أن يلمسها شيء حاد. فالملح ، بالرغم من أهميته للحياة الإنسانية ، فإن أية زيادة في كميته أي عندما تزداد نسبة الملوحة تصبح الحياة غير قابلة للاستمرار.¹⁷⁹

حين سأل طارق علي، صحافي معروف، لمنيف عن سبب اختيار العنوان مدن الملح قال: "ان مدن الملح تعني مدنا عاجزة عن الاستمرار. ما ان تتدفق المياه حتى تقوم الموجات الأولى بإذابة الملح وتحويل هذه المدن البلورية العظيمة الى غبار وعدم. ثمة مدن كثيرة زالت من الوجود ببساطة في الأزمان الغابرة كما تعلم. من الممكن التنبؤ بسقوط المدن اللإنسانية. لن تقوى على البقاء في غياب أسباب الحياة. بات القرن

177 /د/ عمر هشام الشهابي، مدن الملح ، مركز الخليج لسياسات التنمية، www.gulfpolicies.com
178 عبد الرحمن منيف، ذاكرة للمستقبل، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان.
179 كلمة العدد، عبد الرحمن منيف، مجلة العربي، العدد 544 ، مارس 2004.

العشرون موشكا على الرحيل ، ولكن الغرب لا يرى حين ينظر اليينا سوى النفط والدولارات النفطية¹⁸⁰.

المبحث الرابع : فترات الأحداث التاريخية

يغطي الجزء الأول من الخماسية ما يوازي في الزمن الفعلي الأعوام الممتدة من 1933 إلى 1953 . أما الثاني فيعالج جملة أحداث وقعت بين 1953 و 1953. في حين أن الجزء الثالث يعود القهقري إلى ما يعادل 1891 وينتهي نحو عام 1930. أما الرابع فيتقدم إلى الأعوام الممتدة بين 1964 و 1969 . ثم يأتي الجزء الخامس الموزع على قسمين : يرتد أولاً إلى فترة 1920-1935 ثم لا يلبث أن يقفز إلى فترة 1964-1975.

وكانت الأحداث التاريخية السعودية توافق مع هذه المواعيد على النحو التالي:

- في 1891 ، نجح الرشيديون في طرد الزعيم القبلي السعودي عبد الرحمن من موطنه.
- في 1902، استطاع ابن عبد الرحمن ، عبد العزيز ، مؤسس الدولة العربية الحديثة، والمعروف لاحقاً في الغرب أكثر الأحيان باسم ابن سعود، استرجاع الرياض.
- ومع حلول عام 1930 ، كان قد اجتاح كل المنطقة المعروفة اليوم باسم العربية السعودية.
- في 1933 ، منح عبد العزيز الامتياز النفطي الأول لما ستصبح شركة أرامكو.
- أما أولى الآبار النفطية فقد ضُخت في 1938.
- تم انجاز مد خط أنابيب إلى الظهران في 1950.
- وقعت الإضرابات الأولى في الظهران سنة 1953.
- في السنة نفسها، 1953، توفي عبد العزيز وخلفه ابنه سعود الذي كان قد أنقذه من محولة اغتيال في 1935.

طارق على ، وداعا يا عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص : 488.

- تم تجريد سعود من السلطة من قبل أخيه فيصل في العام 1958.
- حاول سعود استرجاع السلطة في العام 1962، فتم إجباره أخيراً على التنازل عن العرش.
- تم طرد سعود إلى المنفى في العام 1964، بعد تولي فيصل العرش.
- مات سعود في العام 1969.
- ما لبث فيصل أن اغتيل بدوره على يد ابن أحد الأخوة في العام 1975.

لعل التعديل الوحيد اللافت لهذا التسلسل التاريخي في الخماسية هو تكثيف حادث فقدان سعود للسلطة في العام 1958 وطرده من البلاد في انقلاب واحد دبره فيصل، جري وصفه من زوايا مختلفة في آخر الجزء الثاني ومنتصف الجزء الخامس.¹⁸¹

المبحث الخامس : الممنوع

فور صدور الجزء الأول من الخماسية في بيروت، تم منعه في عدة بلدان عربية فيما أدانت السلطات السعودية نشره وهدد مؤلفه. ذلك أن الموضوع الذي تناوله منيف جرح أحساسها وأغاضها أشد الإغظة، فكانت تستنكر وجهة نظره وتلومه على ما قدمه في الرواية من نظرة مهينة وخاطئة لتاريخ الجزيرة العربية. "تعتبر من الروايات الممنوعة في المملكة العربية السعودية، تمثل نقلة نوعية في السرد التاريخي والتأريخ الشخصي لحقبة يجد الكثير من الجيل الجديد صورة غير كاملة يضيعها وصف ما بعد تلك المرحلة أو الحاضر بصورة وردية ولكن أيضا غير كاملة"¹⁸².

المبحث السادس : خلاصة الأحداث

مدن الملح هي ملحمة انسانية تتألف من خمسة أجزاء. يسرد الكاتب فيها المرحلة ما قبل التنقيب عن النفط في شبه الجزيرة العربية، بين الواقع والخيال. وكيف كانت الحياة البدوية في وديانها وسهولها والقوافل العابرة بواحات الصحراء، مصوراً لنا مشاهد بدقة

عبد الرحمن منيف 2008
/https://ar.wikipedia.org

181
182

الوصف. وفي أثناء ارتسام الصورة البدوية في المخيلة وحياة الصحراء القاسية، يبدأ تدخّل الأجنب الأمريكي لتلقيب النفط من تحت الأرض، وذلك بتفويض من الحكومة العربية ومع جهل عميق من قبل البدو. تصور مشاكل التي تعاني منها شخصيات الرواية وسكان الجزيرة العربية في الواقع، تدمير البيئة وأساليب الحياة التقليدية والابتعاد عن بعض القيم والمعايير القديمة .

وكانت مدن الملح في الصدارة قصة قبيلة طويلة ، قصة جملة القبائل المتخامصة في الجزيرة العربية وانتصار احداها على الأخريات من خلال اتباع أساليب الغدر، العنف ، واستغلال العقائد المدينة الجامدة واستدراج العدم الأجنبي وقصة السلطة. لأن العربية السعودية هي الدولة الوحيدة المسماة باسم احدى العائلات فى العالم العربي . يقوم عبد الرحمن منيف عبر الاجهاز على مجموعة الأكاذيب التاريخية التي توظفها هذه العائلة لدعم مشروعيتها ، باجتراح لوحة بالغة الوحشية ليس فقط عن قسوتها، ونفاقها بل وعن عبوديتها للأسياد الأجانب واستعدادها لتعطيل أي تحركات باتجاه الاستقلال الاقتصادي والسياسي في العالم العربي. ويقول منيف " من البداية إلى النهاية تكتشف عائلة آل سعود عن حفنة تابعين لأسياد إمبراليين - بريطانيين أولا وأمريكين بعد ذلك. وخلف قصة القبيلة ثمة إمبراطوريات النفط الغربية وأدوارها في قطع الطريق على أي تقدم في المنطقة.

ومن أجل سرد تاريخ المملكة التي أوجدت هذه المدن ، بادر عبد الرحمن منيف الى اجترح حل إبداعي أصيل لمشكلة حقيقة التوازن بين الواقع والخيال في روايته. على أحد المستويات يكون سرد قصة مدن الملح إعادة انتاج أمينة لجملة أحداث ومعالم مسار التاريخي السعودي، من بداية القرن إلى زمن الصدمة النفطية الأولى ، فيها حكام المملكة المتعاقبون الفعليون وأقاربهم، هم شخصيات الروائية الرئيسية. غير أن جميع هذه الشخصيات والأحداث مستبدلة من خلال أساليب عبد الرحمن منيف الخاصة في فن السرد بسجل شبه أسطوري ينتمي إلى ملكوت الشعر، بما لا يبقي لدى القارئ أي شك حول أن هذا العمل ان هو الا عمل روائي متقن جدا من جهة وتقرير ضبابي موحش عن وقائع سياسية من جهة ثانية.

يروى منيف بدقيق ومتأن، ذاك الصدام الحضاري والحداثي بين الأهل الصحراوي والأجانب الأمريكي، والأحلام والوعود الزائفة من قبل السلطة. فدمر خيام البدو الى الأبد، وحل محلها بروكسات لأصحاب الشركة. أخيرا تبدأ ثورة، في مظاهرة غاضبة، تندد بالحقوق المسلوقة وتقاس الحكومة عن القيام بدورها وفي استنكارٍ لأمير مدينتهم المرمي في غيابة المتعة الذاتية بعيداً تماماً عن هموم شعبه المظلوم.

تضع الرواية أمام القارئ نظرة شاملة إلى بيئة البلد، ونظامه الاجتماعي الاقتصادي، وأجهزته السياسية وثقافته ولغته. فيكشف كاتبها عن التوترات التي نشأت بين الأفراد والمجتمع الذي خلقه النفط. وليس من فئة اجتماعية تكون في مأمن من الانتقاد، فمن بين مئات الشخصيات التي تظهر في الرواية لدينا ممثلون من كل الفئات الشخصيات التي تظهر في الرواية لدينا ممثلون من كل فئات الاجتماعية. ومنهم الشخصيات بمن فيهم متعب الهذال أم الخوش، ابن نفاع، شمران العتيبي، صالح الرشدان يمثلون نموذج البدوي الذي يتمسك بالقيم والمعايير التقليدية ويرفض التغييرات. والشخصيات المركزية تمثل حكام السعودية. وهي :

خربيط بن مرخان	=	عبد العزيز بن عبد الرحمن
الأمير خزعل	=	الملك سعود
موران	=	نجد، الرياض
السلطنة الهديبية	=	المملكة السعودية
الأمير فخر	=	الملك فيصل

يصور فيها الكاتب شكل الأجهزة الكبيرة التي تدك الأرض أمام خيام ومجموعة بشرية وهي التي لا تعرف الا البندقية كأحدث آلات. ويظهر فوضى الأولاد و عجب الرجال وحياء النساء في ذلك الوقت. وبعد هذه يأتي بادخال الامير الى المسرح، وله الشأن الكبير ولكن ما تستغربه هو بساطة الامير و تعامله مع غيره في ذلك الوقت، حتى أن القارئ يعتقد أن الأمير جزء من ذلك المجتمع. لأن كلها جديد حتى للأمير أيضا. وبعد ذلك ينقل لنا منيف تطور علاقات الامير مع من يحاول التقرب اليه. و تعمق منيف في

وصف بعض المقربين إلى الأمير فيما بينهم كالدباسي، وابن راشد. بعدها يصف منيف تقبل المجتمع في ذلك الوقت لكل ماهو حديث، مثل البواخر والراديو والسيارات. بعد ذلك، تنتقل أهل الحران لقرى قريبة بالباصات والسيارات الكبيرة. فتعجبوا بها حتى أن بعض أهالي حران يسافرون في اليوم من مرتين الى ثلاث مرات، لغير غرض. بعد تعبيد الطرق أصبحت حران الان نقطه للتواصل مع البلدان الاخرى. ويذكر منيف تفاصيل لا قيمة لها بنيمة الرواية في منتصف القصة.

وفي رأي منيف أن تطور المدن التي ظهرت خلال سنوات قليلة في الخليج العربي، وخاصة السعودية مشيرا إلى أنها خلقت من لا شئ وفي اللامكان ولذلك ستبقى وتعيش ما دام النفط موجودا، ولكن ما مصيرها إذا جفت الآبار وانقطع سيل الدولارات إنها ستذوب ، رأيه، مثل كتلة ملح إذا سقطت عليها قطرة ماء . "فيعلن منيف خطورة الوضع في الجزيرة العربية متسائلا ما مصير المنطقة بعد نضوب النفط ما مصير هذه المدن وهؤلاء الناس الذين يعيشون في أبراج من الإسمنت والزجاج بعد انقطاع التيار الكهربائي ، وبعد مغادرة مئات ألوف الأجانب؟"¹⁸³

الجزء الأول - التيه :

وهو الجزء الأول من مدن ملح ، يتناول هذا الجزء بوادر ظهور النفط في الصحراء في الجزيرة العربية خلال سكان في مكان وسط الصحراء المسمى 'واد العيون'. وهو سبع وستمئة صفحة. واعتمدت للبحث الطبعة الثانية عشرة ، 2008 م ، أشرف عليه الناشران: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، والمركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية. قام بالرسم والتصميم مروان قصاب باشي.

يتحدث هذا الجزء عن الانقلاب الكبير نتيجة اكتشاف النفط وعن التحولات التي حدثت في بلدان النفط العربية. وتلعب شخصية متعب الهذال دورا هاما، وهو الذي يقدم

¹⁸³ إريك غوتيه، عبد الرحمن منيف : بين التاريخ والخيال، منيف 2008. المملكة المغربية، الدار البيضاء، 2009 ، ص : 205.

المواقف من جهة أصحاب الأرض من وادي العيون مما اجبر السلطة أن تستعمل العنف عليه. يصف هذا الجزء بالتفصيل بناء المعسكرات وبناء المدن الجديدة 'حاران' في واحة الصحراء وظهور شخصية هاجم وأخوه مزبان ضد استغلال العمال في 'حاران'. وبعد ذلك تناقش المرحلة التي اكتشف فيها النفط والتي تغير فيها وجه العالم وبدأت تتدفق فيها الثروات. ويتناول أيضا التغيرات القاسية والعاصفة على المستوى المكاني وخاصة الإنساني في مقطع وادي العيون وحاران. وأخذت تتدفق الأشياء العجيبة التي بدت للبدوي في ذلك الزمن، فظهر أول سلك أول أنبوب أول سماعة أول سيارة وأول تيلفون وأول منظار أول راديو.

ويشتغل هذا الجزء دلاليا في علاقة الجدلية بتيمة الهوية. وهي لصورة الأرض في مقطع وادي العيون، ولصورة الإنسان في مقطع حاران، وأخيرا أمام هوية منسجمة لمحور الذات، هي: وادي العيون، أهل الوادي، حاران، أهل حاران، العمال، متعب الهذال، ولمحور الآخر هي: هوية أجنبية، فمركزها هو الأميركان وأطرافها هي: الحكومة، ابن الراشد، الأغنياء. ومن الجدير أن الكاتب يصور فيه الأحداث مازجا الواقع والتاريخ بالخيال. وهي صورة لما جرى ذلك الوقت وما يحتمل أن يقع هناك وكيف تتواجه القوى وتتصادم الارادات. وتقوم فكرة الرواية على لعبة استبدال الأدوار التي كان يمارسها الأميركان، وهو بأسلوب الحضور والغياب في أرض وادي العيون.

تساءل أهل الوادي، عما حدث بها بعد مجيء الأجنب " كيف كان وادي العيون ، وكيف هو الآن. وهؤلاء الأميركان الشياطين الذين جاءوا من أجل الماء، لماذا يحفرون الأرض دون هواده ، دون توقف ولا يخرج منها شيء؟ ومياه وادي العيون ومياه الصبحة ومياه الآبار الكثيرة التي حفرت لماذا كلها تصب في ثقب داخل الأوض، ولا تعطي للناس؟ هل إن في باطن الأوض أعدادا هائلة من الجن تحس بالعطش، فجاءوا لكي يسقون؟¹⁸⁴.

ومن أهم المناقشات هذا الجزء - التيه :

عبد الرحمن منيف، مدن الملح - التيه، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص : 141.

- الثروة المفاجئة
- بداية رحيل سكان الصحراء
- الشروع في بناء مدن الحديد والاسمنت
- التدفق بالثروة
- الصراع على المال والسلطة
- التحولات في بلدان النفط
- التغييرات القاسية على المستوى المكاني والانساني

الجزء الثاني:الأخدود:

وهو الجزء الثاني، ينتقل منيف في هذا الجزء إلى تصوير اهل السلطة والسياسة في الصحراء العربي التي تتحول إلى حقول بترولي. وحادثة الأولى كانت انتقال الحكم من السلطان خربيط إلى ابنه خزعل الذي يمنح جميع خدمات والتسهيلات إلى الأمريكيان لتحقيق مخططاتهم ومشروعاتهم المعنية بتنقيب النفط. والشخصية الرئيسية في هذا الجزء هو مستشار السلطان الجديد صبحي المحملجي الملقب بالحكيم وهو من أصل لبناني جاء إلى حران أولاً كطبيب ثم ينتقل إلى العاصمة موران بحس مغامر ليرتقي إلى أكبر المناصب ويبسط نفوذه. في هذا الجزء تزداد وتيرة التحولات حدة وسرعة بحيث لا يستطيع أحد أن يتنبأ بما ستؤول إليه الأمور. ينتهي هذا الجزء في لحظة انقلاب فتر على اخيه حين كان خارج موران .

الجزء الثالث: تقاسيم الليل والنهار:

وهو الجزء الثالث، يعود الجزء الثالث إلى جذور العائلة الحاكمة إلى سنوات التصارع القبائلي التي تتوج خربيط كأهم حاكم في المنطقة في اللحظة التي يقتحم فيها الغرب الصحراء فيجد في تحالفه مع خربيط وسيلة لامتلاك الثروة التي كان يبحث عنها ويستغل السلطان ذلك الظرف للهيمنة على كل ما يمكن أن تطاله يده ويعود هذا الجزء إلى نشأة كل من خزعل وفنر .

الجزء الرابع: المنبت :

وهو الجزء الرابع، هو عبارة عن سيرة خزعل في المنفى حتى وفاته مع رصد للتغييرات الانقلابية التي فرضها فنر ومحاولته أن يحول مسار الصحراء من جديد متخلصاً من بقايا سياسات أبيه وأخيه والنفوذ الأمريكي ويبدأ في تأسيس دولة بأجهزة موالية له ذات ملامح قاسية كالصحراء . فوجئ السلطان خزعل بخبر الانقلاب وهو في ألمانيا مع حاشيته وزوجته الجديدة التي يقضي شهر العسل معها. يعتبر السلطان أنه ضحية مؤامرة وخيانة لم يكن يستحقهما، بعد هذه الإهانة يطلب من سفير السلطنة الهديبية في ألمانيا أن يسرع في إرسال مكتوب الى أخيه فنر بأمره بالاعتذار. اذا رفض ، فسيعامل على أنه خائي ويوضع في قفص الأتهام ، وهكذا يتخيل خزعل ، الذي فقد السيطرة على زمام الحكم ، أنه راجع الى عاصمته متحدياً منافسيه.

الجزء الخامس: بادية الظلمات:

وهو الجزء الخامس، بالنسبة الى فنر وأعوانه، يعتبر اقضاء خزعل انفراجاً وتحريراً. ويظهر أن كل العائلة الهديبية كانت تعاني أشد المعاناة من تصرفات الحكيم ومن احتكاره السلطة. فبمساعدة النظام الاستخباراتي والشرطة أصبح الأمير فنر يسيطر على السلطنة كلها ولم يعد خائفاً من أخيه لأنه يعرف أنه سيضطر على البقاء في المنفى. وبعد أن يستقر الأمر بلا منازع لـ فنر يعود منيف لرصد حالة الناس في ظل هذه المتغيرات حيث لا تبقى العادات هي نفسها ولا حتى الأمكنة ويتغير حتى شكل الانتماء والهوية. في هذا الجزء الأخير يصبح اسم الأرض بالدولة الهديبية ويصبح فنر شخصية أسطورية لكنه ينتهي بالاغتيال من خاصته.

وهذه الواقعة تمثل اغتيال الملك فيصل في تاريخ السعودية. " في صباح يوم الثلاثاء 25 آذار/ مارس عام 1975، كان ديوان العاهل السعودي، يتهيأ لبدء نشاطاته اليومية، فثمة على أجندة لقاءات ومقابلات الملك، أسماء عديدة لشخصيات سعودية وخليجية. وفي مكتب التشريعات، كان ينتظر الإذن بالمثل بين يدي جلالته، وزير النفط

الكويتي عبد المطلب الكاظمي، ووزير النفط السعودي الدكتور احمد زكي يمانى، إضافة إلى عدد من أمراء العائلة المالكة، كان من بينهم شاب، اسمه الأمير فيصل بن مساعد.. وما أن فتحت الأبواب، وأذن للوزيرين بالدخول إلى مجلس الملك، مع مصوري الصحف ووكالات الأنباء، حتى سارع الأمير فيصل بن مساعد، بدخول القاعة، توجه من فور نحو الملك فيصل، وكأنما يريد السلام عليه، وبحركة مباغته، اخرج الأمير فيصل بن مساعد مسدسه، وأطلق النار على الملك فيصل، فتوفي في الحال!!¹⁸⁵.

المبحث السابع : الشخصيات في مدن الملح

اهمية الشخصية ومدى تأثيرها ودورها في العمل الابداعي، تُعتبر من خلال فعل الشخصية في النص نفسه. وتكون هناك في الرواية شخصية رئيسية وثانوية وغيرهما. لكن لا يوجد في رواية مدن الملح شخصية مركزية التي تدور حولها معظم الاحداث وتتشكل أجزاء الرواية، خلافا لإبداعاته الأولى. الشخصية الرئيسية في الرواية التي تتمحور حولها باقي الشخصيات والاحداث، الا ان الشخصية تقدر ان تفرض الاهتمام بها، مهما كان دورها صغيرا ام كبيرا. ففي الروايات الاولى كانت الشخصيات محددة الهوية وواضحة المعالم والاحداث. تتنوع شخصيات منيف في اعماله الروائية لأنه قدم صوراً عن الشخصية الانتهازية والاجنبية، الا انه يفسح المجال امام عدد من الاصوات لتكتمل الالتحام الذي يبدو ضروريا في بناء الرواية واحكامها امام شخصيات شعبية .

رواية مدن الملح تتألف على عدد كبير من الشخصيات، بمن فيها تأخذ دورا مهما في الاحداث، ومن تؤدي دورا اقل اهمية، او مجرد تذكر او تلعب دورا هامشيا. والعديد من الشخصيات تظهر وتختفي ولا تُذكر ابدا بعد أن قامت بدورها، وكذلك أغلب الشخصيات لم تنتم الى المكان وانما هي وفدت اليه طمعا في كسب المال والغنى. وتوجد فيها الشخصيات، التي كانت تشير إلى التيار الديني، وتشير إلى التيار المعارض للسلطة، وشخصيات وافدة على مجتمع القبيلة، وشخصيات شكلت الرأي المجتمع، وحملت الأحاديث من مكان لآخر، وشخصيات لم تعرف كيف تتصرف بهذه الثروة الهائلة التي

انسكبت بين يديها وهناك الشخصيات الإنتهازية. ولكن كل هذه الشخصيات معا تشكل وتصور هذا العالم الواسع الذي ترسمه الرواية.

تحفل مدن الملح بالشخصيات عديدة. معظمها تجسد السلطان خريبط والسلطة الامير خزعل السلطان فنر و حماد المطوع الذي يشكل بما يرمز اليه من سطوة الامن علي حماية الأمير التي تعيش داخل القصور.

والوصف المشترك الوحيد بين عشرات الشخصيات في رواية مدن الملح، جميعها تسير نحو مستقبل مجهول. وهذه الشخصيات التي تبدو على مسرح الاحداث تظهر وتختفي وينساها القارئ بمجرد ان انتهى دورها. وخلافا لذلك هناك شخصيات تفرض وجودها وتدفع بديناميتها وتظل عنصر جذب وتأثير حتى لو انها اختفت عن المسرح، مثل متعب الهذال. وهو الذي اختفى بعد تدمير وادي العيون في الجزء الاول، ولكن كان الناس يذكرونه لعشرات السنين.

متعب الهذال:

من الشخصيات البارزة في مدن الملح شخصية متعب الهذال. ففي هذه الرواية أن أغلب الشخصيات لها زمن معين لكن سرعان ما تختفي أو يخفت صوتها لتظهر شخصية جديدة إلا أن شخصية متعب التي تمثل صوت الضمير أصبحت أسطورة لآراءه ولوقوفه موقف المعارضة الشديدة للتدخل الامريكان في شئون الوادي وللقدرة على التنبؤ بالأحداث المستقبلية والتي نتائجها ستكون وبالا وبلاء على المنطقة - وادي العيون بأسرها. يختفي الهذال ويتناسى الناس ذكره تدريجياً و يبقى سؤال حائراً هكذا ينتهي دور متعب في الجزء الأول - التيه. ويبرر عبد الرحمن منيف هذا الانتهاء خلال حوار ه "حين سألني المرحوم حسين مروة بعد أن قرأ 'التيه' عن إمكانية عودة متعب الهذال في الجزء الثاني، قلتُ له: أن عدم عودته أفضل له وأكرم، لأن الظروف لم تعد تحتمله، ولم يعد

ملائماً لها، إنه بطل من العصر الماضي وللعصر الماضي، ولذلك يجب أن يتوارى، أن يتخفى، لكي يبقى رمزاً: موجوداً وغير موجود¹⁸⁶.

هاملتون:

هو الذي جاء برومانسية المستعمر وهو يريد مزجها ببساطة البداوة من أجل تثبيت السيطرة والاستعمار علي دفة الاقتصاد دون الالتفات الي حياة الناس العاديين في الصحراء.

راجي وأكوب

وشخصية راجي وأكوب وهما يمثلان شريحة من الناس تواجه المشاكل الوجودية في مجتمع غريب، وقد جاءت من أجل العمل بعد اكتشاف النفط. والجدير بهما التناقض اللافت في الشخصيتي، أكوب يدخل الطريق قادما والآخر راحلا في الإتجاه المعاكس. ولكنهما حتما يلتقيان في نقطة ما والدلالات التي يشير لها هذا اللقاء كثيرة راجي الصاحب الساخط صاحب اللسان الطويل. وأكوب الأرمني الهادئ الذي يعمل بصمت والملء بالإنسانية والمحبة والرغبة في المساعدة. والأهم اللقاء في نقطة الإلتقاء خلقت صداقة متفردة صامته عند أكوب وصاخبة عند راجي ومتواطئة عند كليهما.

ولهما أهمية لدى أهل المدينة كما يتضح من قول السارد " ولم تكن الأسماك الكبيرة غير 'رضائي' الذي استورد مجموعة باصات كبيرة ومريحة وفتح شركات نقل تمارس أسعاراً زهيدة، ما جعل أهل المدينة يتخلون عن راجي وأكوب وشاحنتيهما المهترئتين، فضاقت فرص عيشهما ثم فقدا عملهما، قبل أن يتوفى أكوب بظروف مؤلمة. ولأن ثمة حيتان أكبر من أي سمكة، سيتحوّل سوق 'رضائي' بدوره إلى كساد ويواجه مصير 'راجي' و'أكوب'، بعد فتح 'ابن النقيب'¹⁸⁷.

186 من عبد الرحمن منيف الى فيصل درّاج، من أجل علم جمال المضطّهدين، مجلة بدايات: فصلية ثقافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥.

187 محمد العلمي، شركة كبرى للنقل، بحثاً عن متعب الهذال، مجلة العربي 18 أغسطس 2014، <https://www.alaraby.co.uk/books/2014>

صالح الرشدان:

صالح الرشدان شخصية في الاخدود. وهو الذي ظل حريصا علي البقاء قريبا من السوق القديم. وكان صالح الرشدان سيد الزمن والمكان، وهو يأمر وينهي، وعندما مات ابنه، لم يشارك الناس الفقد، بل اتهموه بالسرقة، وعندما سار حاملا النعش الابيض الصغير بين يديه فكان وحيدا و يثير السخرية أكثر مما يثير الشفقة. ولكن صالح لا يلتفت ويسير لا يرفع وجهه ولا يسمع وهو يمسك بجثة الصغير، بحقد اكبر، وكأنه يريد ان يستمد من الجثة مزيدا من الصلابة والقوة.

وهناك شخصية الانتهازي الحالم مثل المستعمر التي ساهمت في بناء المجتمع النفطي. وكذا هناك نساء فقد كان وجودهن ضروريا، ولعبن دور المحرك في الكثير من الاحداث، سواء كزوجة، خليعة في القصر، ربة بيت، او زوجة رجل انتهازي .

المبحث الثامن : الزمان والمكان في مدن الملح

عبدالرحمن منيف هو الذي وصف نفسه بالثائر الروائي وانشغل بموضوعين لكل رواياته وهما القمع والنفط. وعرضهما على عمل تشكيل مدن واماكن وحيوات شخوص. وفي دائرة هذا الفهم كان منيف يقدم التغييرات النفسية والظاهرية التي تحدث علي المكان والزمان. واشتغل بالهموم السياسية والثورية التي حدثت بعد الانكسار والهزيمة العربية، والتي لم تخلف وراءها إلا الإستغلال والفقير والسجون والتفرقة. وآمن منيف بأن الرواية تقدر على مجيء التغيير في العالم العربي. والمكان في مدن الملح - الخماسية هو عامل مهم يتداخل في حيوات الشخوص. والزمان تنصهر فيها كل الشخصيات التي تتعاقب كالمياه الجاري بحيث لا يتوقف الواحد منها اكثر مما يحتمله المشهد لكي يأتي الاخر البديل المكمل ويواصل المشوار - الحياة.

وقد اتخذ كُتاب الرواية العرب من مكان محدد في الجغرافيا العربية، ولكن قدم منيف أماكن ليست محددة، والتي تجمع العديد من الصفات تشير الى المحددة والممتلة للواقع العربي. فجاءت الأماكن في مدن الملح ممثلة للواقع العربي دون ان تكون محددة

بمكان حقيقي معروف لدى الجمهور. وادي العيون وموران وحران ... هي أسماء أماكن، وان كان القارئ ذا قدرة علي وعي التاريخ والجغرافي العربي يدرك المكان وربطه باي واقع عربي الذي أشارت إليه الرواية.

"وهذا لا يعني ان منيف لم يكن شغوفا برسم المكان وتحديد ملامحه فتضاريسه واجزائه واضحة لان المكان يظل خزاناً لأفكار ومشاعر الشخصية، حيث يولد معها ويتشكل بتشكيلها ولديه قابلية علي الزوال كما في مدن الملح التي يقترح عنوانها وجوداً مؤقتاً قابلاً في اي لحظة للانتهاء والتلاشي، وهذا الوجود قائم علي الطفرة. لا محدودية المكان لا تجعل من مسرح الاحداث ارضاً غامضة فأسماء الروايات تدل علي مكانيتها. المكان في بناء منيف الروائي مرتبط بالإنسان والزمان فقيام مدينة او مكان ونهايته متصل بهذه الثلاثية التي تبدو هامة في سرد الكاتب¹⁸⁸".

تبدأ أغلب اعمال منيف بمكان كما تبدأ مدن الملح بوادي العيون. "انه وادي العيون...، فجأة وسط الصحراء القاسية العنيدة تنبثق هذه البقعة الخضراء، وكأنها انفجرت من باطن الارض او سقطت من السماء، فهي تختلف عن كل ما حولها ، أو بالأحرى ليس بينها وبين ما حولها أية صلة ، حتى ليحار الانسان وينبهر ، فيندفع الى التساؤل ثم العجب - كيف انفجرت المياه والخضرة في مكان مثل هذا ؟"¹⁸⁹ . "وفي بناء منيف لعالمه الروائي لم يكن المكان عاملاً مكملاً او زخرفاً وحلية للتأنق ولكنه برز كعامل حاسم ومحوري في تطور الاحداث. يقول منيف ان المكان ليس جامداً او محايداً، انه الحاضنة التي تتكون فيها الافكار والعلاقات وتكتسب من خلالها حتي الملامح ونمط القول والنظرة وبالتالي يترك المكان بصمته القوية علي البشر والشجر وكل ما ينهض فوقه"¹⁹⁰

والزمن هو العامل الثاني في ابداعات منيف. ان اكثر ما تخشاه شخصيات منيف هو الزمن، كما يقول الحكيم صبحي : ان اكثر ما اخشاه هو الزمن، انا وموران وهذا

188 إبراهيم درويش، د/ نبيه القاسم، الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، صحيفة القدس العربي، لندن، 2005/11/21.
189 عبد الرحمن منيف، مدن الملح - التيه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المركز الثقافي العربي، 2008.
190 د/ نبيه القاسم، الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف: المكان ، الزمان ، الشخصية، دار الهدى للطباعة ، كفر فرع/2005.

الزمن. ويتجاهل منيف تحديد الزمن كما فعل في أمر المكان. وهو ويترك الزمن فضاءً فسيحا مع الإشارة الي بعض التواريخ والاحداث مثل واقعة عام 1948، واحداث ايران ، وحكم الاتراك والحرب العالمية الأولى والثانية. والقارئ يجد نفسه أحيانا صعوبة في تحديد زمن الحدث في الرواية، لأن الكاتب يسمح الحرية الكاملة في تعيين الزمن والحدث. والأماكن التي ظهرت في مدن الملح، لم يعيش فيها الابطال في انسجام وتعايش، حتى القوافل ظلت مهددة، مثل حران والحدرة التي حولها النفط والأمريكان.

"وهناك صلة عضوية بين براءة المكان الذي يعيش خلف سراب الصحراء العنيدة والقاتلة، وبين وصول الآلات العتيدة التي لم تغير البيوت وطابع الارض كما حلم في ذلك الحكيم صبحي المحملي، بل غيرت نفسيات الناس بحيث صارت صيرورة الزمن الذي عاشوا فيه قائمة وغريبة، بعضهم تهمش وانعزل والبعض الاخر اخذ يطارد خياله واشباح الماضي التي لم يتخل عنها، فيما فقد الاخر عقله، وصار موضعا للشبهة"¹⁹¹. وبطلٌ صالح الرشدان مثلا في الجزء الثاني - الاخدود، الذي حرص علي البقاء قريبا من السوق القديم، كان يشير الي انفتاح المدينة. وكان هناك سيد الزمن والمكان، الذي يأمر وينهى.

وفي بعض الأوقات، علاقات الشخصيات مع المكان تأتي نتاجا للاختلاف والصور الموجودة كما تظهر في مواجهة الأجانب الامريكي مع الصحراء. لأن الصحراء بدت في رؤي القادمين الاجانب كالجحيم وبدوا فيها كحيوانات حتى تبدوها ملعونة. "ولا ينسى منيف الزمن المتسارع الذي شكّل عاملاً مهماً في تشتيت الذاكرة الجمعية لأهل 'وادي العيون' وفي نسيان تاريخ الأجداد. إذ ستفكك عرى ارتباطهم بالماضي أمام ماكينات التكنولوجيا التي تختزل الزمن والمسافات وتحول الماضي من مادة تشكّل الحاضر إلى مادة للذكرى والحنين"¹⁹². ومن ضمن معادلة الزمان والمكان والشخصية في ابداعات منيف، يظهر دوره الريادي في بناء وتصوير الرواية العربية الحديثة ويظهر أيضا كيف استفاد من تقنيات السرد الغربي الحديث، أخيرا العودة الي التراث العربي.

¹⁹¹ إبراهيم درويش، د/ نبيه القاسم، الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، صحيفة القدس العربي، لندن، 2005/11/21.
¹⁹² محمد العليمي، بحثاً عن متعب الهذال، مجلة العربي 18 أغسطس 2014.

الفصل الثاني

العناصر الاجتماعية في مجال الحكومة

- المبحث الأول : صورة بناء السلطنة والحكومة
- المبحث الثاني : صورة الجيش
- المبحث الثالث : صورة الدستور
- المبحث الرابع : صورة المحكمة
- المبحث الخامس : صورة الانقلاب

الفصل الثاني : العناصر الإجتماعية

المبحث الأول : صورة بناء السلطنة والحكومة في مدن الملح

فقد كانت السلطة بالنسبة لمنيف هي الدولة. وذلك لرأيه، لأن حقيقة الدولة الخليجية لم تكن أكثر من سلطة محكومة بقوة الأجنبي وضعف أركانها الذاتية . وهو الأمر الذي جعل منيف ينظر إلي تاريخها باعتباره تاريخا مصطنعا ووهميا. وهذه هي الحالة التي رسمها الكاتب في مدن الملح. وقسمها الى ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى :

هي مرحلة تأسيس المملكة بناها السلطان خريبط علي مستوي السياسة الداخلية و صنع هاملتون علي مستوي العلاقات الخارجية. وقد امتدت هذه المرحلة الأولى من الحرب العالمية الأولى، أو قبلها بقليل، حتي ما بعد الحرب العالمية الثانية. شغلها بداية علي المستوي المحلي الأمير مرخان هديب وهو والد خريبط. كان أميراً لموران وما جاورها، لمسيرة يومين من كل اتجاه. وكان الصراع حينذاك علي أشده بين أمراء الصحراء ومنهم مزهر بن سحيم الذي عادي مرخان. ولهذا السبب أراد خريبط أن يقتل مزهر السحيم حتى أصبحت موران تدين له بالطاعة والولاء. فدعمته بريطانيا وأعلن نفسه سلطاناً علي موران، وطال الأمر علي هذه الحال، حتى شهد الإنقلاب السياسي العالمي بُعيد الحرب العالمية الثانية.

بدأ خريبط حياته السياسية أميراً بدويا صغيراً ومع ذلك شجاعاً وفتاكاً في الحروب. وكان يقضي ساعات طويلة مع الناس العاديين ويتكلم معهم ويستمع إليهم. علاوة علي ذلك كان دائم التستر بالدين. وكان يؤكد أن الغاية من حروبه إعلاء راية الدين. وتعامل مع الحكام المجاورين بالذكاء، بعث إليهم الرسل يطمئنهم ويبحث شؤون الحدود والمراعي والمياه. أما في الحرب كان شديد البأس لا يرحم لأحد، يصدر نفسه أوامره بالذبح والضرب. وقد أوصي ابنه خزعل بأن يكسر رقبة أي شخص إذا خالف،

ونصح ابنه فخر بأن يفتك بالناس. وأكّد خريبط بأنه يمتلك ذكاء فطريا في ما يختص بالحرب والإمارة.

ووسّع خريبط حدود مملكته عبر الغزوات حتى أصبحت مملكته أكبر مما أراد به. وقد تحالف منذ البداية مع الإنجليز فدعموه بالرجال والسلاح والمال، أخيرا اقترح عليه الإنجليز بأن يطلق علي مملكته اسم السلطنة الهديبية نسبة لجدّه - هديب. فأسس أكبر مملكة في الصحراء وأعلن اسمها السلطنة الهديبية. وكان يتعامل مع الإنجليز والأميركيين حذرا في ذلك الوقت، حتى أسر لإبنه فخر: "حنا، وبتوفيق من الله، نصلي وراء علي ونأكل مع معاوية، وبالسياسة مع الإنجليز وبالمصلحة والشغل مع الأميركيين". فمات خريبط وسط التحول السياسي الكبير عقب الحرب العالمية الثانية. وورثه ابنه خزعل السلطنة، وفي نفس الوقت ورث الأميركيون البريطانيون الذين ضعفوا، على مستوى السيطرة والنفوذ.

المرحلة الثانية :

هي مرحلة الانقلابات السياسية العالمية وبطلها داخليا السلطان خزعل. وهذه المرحلة كانت استمرارا للمرحلة الأولى. لكن الأولى كانت حقبة الفتك والعنف والثانية كانت مرحلة وهم القوة. وقد كافح خزعل مع أبيه ليكون خلفية للسلطنة. ولما تولى الولاية، قام أولا بطرد هاملتون من السلطنة لأن خزعل يريد سياسة جديدة وعلاوة على ذلك قد عارض هملتون ترشيح خزعل لولاية العهد مفضلا أخاه فخر.

"وكانت مرحلته هي مرحلة تثبيت الوجود الأمريكي في الصحراء وإحكام سيطرتهم علي النفط. فقد عمل الأميركيون جاهدين لاستبعاد الاتحاد السوفيتي عن المنطقة والحيلولة دون دخوله شريكا في نفطها واهتموا بإعادة رسمها وإعداد حكامها وبناء توجهاتها السياسية. لهذا كان المطلوب من السلطان خزعل أن يكون قويا ليبقي سلطانا وأن يترك السياسة لغيره. وقد أدى هذا الدور المناط بصورة نموذجية. فقد كان همه الأول إبعاد إخوته عن القصر والتفرغ لحريمه. لكنه بني مع ذلك بعض المؤسسات

بمعزل عن الخلفيات السياسية أو الأيديولوجية. جعل منها هياكل مادية جاهزة للشحن السياسي، وتولي ذلك الأميركيون في خطوة لاحقة. وهي الحصيلة التي جعلت من فكرة منيف عن هذه المرحلة تنحصر في إبراز ما أسميناه بوهم القوة. بمعنى أن شخصية خزعل 'الملك' لم تكن أكثر من أكذوبة كبرى"¹⁹³.

وهذا هو واضح فيما حدث بعد. فلما غادر خزعل السلطنة إلى ألمانيا ليقتضي شهر العسل مع عروسه، فإنه تسلم قرار عزله من موران وولاية أخيه فنر عهد السلطنة في منسبه. ويظهر هذا الحدث أن خيوط اللعبة لم تكن بيديه داخل القصر، ولم يكن علي علم بحقيقة الأوضاع التي يديرها حتى المقربون منه. فظل في ألمانيا عاجزا تماما عن القيام بأي عمل حتى مات فأعيد جثمانه إلى موران.

المرحلة الأخيرة :

هي مرحلة تثبيت الحدود والسلطات والعلاقات بالخارج . واستطاع السلطان فنر أن يعطيها بعض المميزات الخاصة. هي مرحلة صيرورة المملكة الجديدة في الخليج وهي التي تتوج بها صيرورة الدولة الجديدة في الصحراء، وهي مرحلة السلطان فنر. فقد تهيأ فنر قبل الوصول إلى السلطة لأنه عاش دهرا من حياته عند أخواله بعيدا عن السياسة، ثم عاد إلى قصر أبيه وصار يتعلم نفسه بهدوء، وقرر أبوه خزعل أن يجربه بعد ذلك قرر هاملتون العميل البريطاني إعداده للوصول إلى منسب السلطة. فأصطحبه إلى بريطانيا مرات متتالية فتعلم الإنجليزية وأدرك العالم، وبعد ذلك أعده أميراً علي طريقة مكيا فيلي.

أخيرا وصل فنر في السلطنة عندما ذهب أخوه خزعل ،، ونفذ فنر الإدارة بصورة جديدة. وقد جدد فنر نفسه المعاهدات التي تسهل أمر الولايات المتحدة الأميركية. "وهو الانتقال الذي صوره عبد الرحمن منيف بواقع ربط الولايات المتحدة سياستها في موران بالمعطيات والمعادلات السياسية العالمية . فقد كانت تلك مرحلة الحرب الباردة. فصار

¹⁹³ طلعت أبو زيد، السلطة والدولة الخليجية في إبداع عبد الرحمن منيف، مجلة الأهرام الديمقراطية.

من الضروري لها ومن خلفها الغرب أن تثبت دولة إسرائيل في المنطقة. لذلك كان لا بد من إضعاف العرب. من هنا محاولاتها للسيطرة التامة علي نفط الصحراء وعلي قرارها السياسي . وبالتالي عزلها عن دائرة التأثير. واندلعت حرب الأيام الستة 1967 واستولت إسرائيل علي أراض عربية وأضعفت مصر و سوريا المعول عليهما في الحرب. كما عملت الولايات المتحدة لضمان سيطرتها علي النفط، وعزل الصحراء عن بقية العرب وللإبقاء علي دعمها للكيان الصهيوني في الوقت نفسه. وكان علي فخر أن يعي هذا التوازن , وأن يبحث له عن دور فيه. عليه أن يتقبل النفوذ الأمريكي في منطقتة وألا يلتفت إلي بقية العرب وإن هزموا!¹⁹⁴. فحاول عبد الرحمن منيف من خلال عمله الأدبي والروائي الكشف عن المراحل الثلاث لظهور وتطور واستتباب الدولة الخليجية.

إن الموقف النقدي العام والتاريخي الذي اختاره عبد الرحمن منيف لرسم معالم الصحراء الثقافية والمدنية وبناء الدولة الخليجية، كان مجرد نقلة ظاهرية للقبيلة. "وهي الفكرة التي يجمع الكثير من الباحثين العرب عليها. إذ يؤكدون علي أن القبيلة ذاتها تحولت إلي دولة أو مشيخة أو إمارة. مما جعل منها منذ البدء مأزومة ومشوهة وليست مبنية علي تطور طبيعي للقوي البشرية التي أنشئت من أجلها. ويؤيد منيف هذه الرؤية، فيري أن هذه الصيغة للدولة لا تمت بصلة إلي مفهوم الدولة في العصر الحديث، وأنها عاجزة عن فتح طريق للمستقبل وتتناقض تماما مع أية محاولة للتقدم"¹⁹⁵.

والحكومة في مدن الملح لا تزال بمفهوم قبيلة، لأن تشكيل الإدارة والأجهزة الأمنية والعسكرية والدستور والقضاء لا تتماشى بالمفاهيم الحديثة. ولذا يتحدث هاملتون عن حكومة خريبط ويصفها بكلمة 'حكومة صاحب الجلالة'. وهو يقصد بها السلطان، الذي يمتد به العمر ولا تشكل علي يديه أية حكومة أو أية صيغة لمؤسسة إدارية يمكن أن تشبه الحكومة. وظلت الحال علي هذا النحو أيام خلفه السلطان خزعل هو الحكومة والسلطة. ويعبر أحد رجال الرواية عن هذا الواقع بقوله : القصر هو الحكومة وهو الدولة.

194 طلعت أبو زيد، السلطة والدولة الخليجية في إبداع عبد الرحمن منيف، مجلة الأهرام الديمقراطية.
195 المصدر نفسه.

ولم تتعد الإدارة في الدولة الخليجية أكثر من إدارة بدائية وهي الوجه الآخر لتنظيم القبيلة الموجودة الصحراء منذ سنوات. وفي مدن الملح يوجد نماذج كثيرة مثيرة للسخرية لإدارة الشؤون الدولية والاقتصاد. " فقد كان خريبط يحمل ديوانه معه أينما ذهب. وهذا الديوان هو الإدارة. إنه مجموعة كبيرة من الأوراق في صناديق تحملها جمال مخصصة لها" (36). "ويدير تلك الجمال والصناديق والأوراق مسئول معروف يعتمد علي ذاكرته في عمله. لكنه بعدما تفرعت السجلات وكثرت، اضطر إلي تخصيص دفتر لفهرستها، ثم وسم الجمال بوسم خاص" (37). لأن الإدارة في تلك الحقبة كانت غايتها مجرد تنفيذ ارادة السلطان الشخصية. ولهذا السبب ولاضمحلال معنى الإدارة في عهد خزعل وفنر، أن عبد الرحمن منيف لا يأتي بنماذج للإدارة بمقومات عصرية وحديثة.

المبحث الثاني : الجيش

أن بناء الجيش في رواية مدن المل، يوجد متابعته وارتباطاته من الجندي الأول حتي الجيش الجرار المقاتل علي الحدود. وقد كان الجيش في أيام خريبط عبارة عن جموع من البدو والفلاحين التي تتجمع في أوقات الحروب فقط، ويقودها الأمير شخصيا أو من يوكله. وكان هدفها الأول أن تحصل علي الرواتب والغنائم. وبعد الحوائج أو الحرب تتفرق الجيش الا القليل، فيبفي قليل منه إلى جانب الأمير. "وفي عهد خزعل أنشئت المفزة العسكرية الأولى بعد ثلاثة أيام من الجهد الشاق والمستمر. (45)". "دار هذا الجيش حول نفسه في البداية لا يدرك حقيقة مهماته. كان الجنود. يمشون في السوق وبأيديهم العصي ولا يترددون في ضرب أي إنسان لأتفه الأسباب (46)". "وفجأة حصل الانقلاب الكبير في السياسة العالمية، فنظر الأميركيون إلي هذا الجيش وقرروا تنظيمه وتسليحه وإحكام السيطرة عليه. عرضوا علي السلطان في البداية تسليحه بأحدث الأسلحة وبأسعار زهيدة فقبل (47)". واستمرت سيطرة الأميركيين علي الجيش في عهد السلطان فنر، حتى جدد المعاهدات التي أبرموها مع خزعل. وازضافة إلى ذلك، بنت الشركات الأميركية المستودعات في تلك المناطق. أما النتيجة كانت الحكومة تملك جيشا بلا قوة، و قصر عمل الجيش على حفاظ أمن السلطة. فخضع باقي المملكة للسيطرة الأجنبية.

المبحث الثالث : الدستور

إن الدستور مجموعة من القواعد والمبادئ التي تحدد اختصاص الحكام وتتعلق بحقوق شتى الأركان والأفراد وحررياتهم. ورواية مدن الملح لا تعرض نماذجاً وضوحاً للدستور، حتى لا يوجد أية إشارة إلى قوانين مكتوبة أو المحاكمات. فيظل الدستور غائبة في إبداعاته. ومن المعلوم أن هدف الدستور هو تنظيم الدولة والمجتمع وأركانها. وهو يعطي حقاً لأهله، وهو يفرق بين السلطة والإدارة التي تتولي تنفيذه. " ويؤرخ دارسو المجتمع العربي للدساتير والقوانين، فيحكون عن المشكلات والأزمات الخطيرة في تلك الأمور المهمة. أنهم يتحدثون عن قوانين خاصة بالغوص، صدرت في العقد الثاني من القرن العشرين، في ظل سيادة كلية للأعراف التي تعني بالشؤون الحياتية الأخرى" (53). " وتبلورت بعد ذلك بعض الدساتير في تلك الدول. لكنها ظلت محكومة بالأعراف القبلية السائدة. ويمثل عليها بدستور المملكة العربية السعودية للعام 1926 الذي شكل المجالس لكنه حصر صلاحياتها ضمن النطاق الاستشاري فقط" (54). "وليس مصادفة ألا تظهر في المملكة العربية السعودية وعمان، علي سبيل المثال، دستور مكتوب حتي عام 1983 علي الرغم من الوعود المتكررة في هذا الشأن". (65) ويؤكد عبد الرحمن منيف " أن الدول القائمة في تلك المنطقة، في أواخر القرن العشرين، هي دول قبلية ليس لها دساتير". (57)

المبحث الرابع : المحكمة

تخلو رواية مدن الملح من أجهزة القضاء ومن أية أصول للمحاكمات، وعلي الرغم منها تكثر السجناء فيها وتعدد أصنافهم وأعمارهم وأجناسهم. وفي المقابل يقول أن أغلب السجناء يقضون زمناً طويلاً داخل السجن بدون أحكام. "ويروي أحد أبطالها أنه حكم عليه بالسجن لمدة إحدى عشرة سنة بسبب دعوته، عبر الكلمة والفكرة، إلي جعل حياة الناس أكثر سعادة". (61) أما في رواية مدن الملح نرى الأمير يلعب دور القاضي أحياناً، ويأتي السلطان نفسه بوصفه القاضي الأول والأخير. وكان خريبط، نموذجاً، يأمر بالإعدام وينفذ الحكم نفسه. " وقد فعل ذلك مراراً. حكم بالإعدام علي عدد من الخدم

والعاملين في المخازن والخصيان والعبيد، بسبب أخطاء صغيرة ووشايات لا قيمة لها". (63)

وقد أورد عبد الرحمن منيف من خلال تصوير تطور الدولة ونشوءها ومؤسساتها إلي التعرض عن طبيعة الخلل التاريخي والسياسي والاقتصادي والثقافي فيها. وهو يصور أن كلما حدث فيها مصنوع بإرادة خارجية. ولذلك جميع ما فيها من أمير وجيش يعمل وفقا لقواعد لا علاقه له بالمصلحة العامة ورأي الدولة الحديثة والامور التطور الذاتي. أما النتيجة كانت تدخل القوة الخارجية، وكانت البريطانية أولا والأميركية بعده.

المبحث الخامس : صورة الانقلاب

حدث الانقلاب في السلطنة ثلاث مرات، والراوي يصوره خلال ثلاثة أجزاء من الرواية:

- المرة الأولى في الجزء الثاني، التيه، من ص: 591 – 619.
- المرة الثانية في بداية الجزء الرابع ، المنبت، ص : 226 – 245.
- المرة الثالثة في الجزء الخامس، بادية الظلمات، ص: 1 – 23.

ويظهر هذا الانقلاب من وجهتي نظر لشخصيتين هما: شمران العتيبي والحكيم صبحي المحملي. بالنسبة لشمران الذي لا ينتمي إلى أوساط السلطة، وخبر الانقلاب والاضطرابات التي هزّت القصر بعده تُستقبل بنوع من عدم الاكتراث والاستسلام. ويعلم شمران أن سيأتي بعد خزل أمير آخر من ذرية السلطان خربيط فلا يتوقع أية تغييرات إيجابية. ففي وجهة نظر الحكيم صبحي المحملي الذي قام الى موران وصارمعاون السلطان خزل ليحقق طموحاته الشخصية. بالنسبة اليه خبر الانقلاب خبر رهيب وكأنه حُكم عليه بالإعدام.

وفي الجزء الرابع ، المنبت، فوجئ السلطان خزل بخبر الانقلاب وهو في ألمانيا مع حاشيته وزوجته الجديدة التي يقضي شهر العسل معها. يعتبر السلطان أنه ضحية مؤامرة وخيانة لم يكن يستحقهما، بعد هذه الإهانة يطلب من سفير السلطنة الهديبية في ألمانيا أن يسرع في إرسال مكتوب الى أخيه فخر بأمره بالاعتذار. اذا رفض ، فسيعامل على أنه خائي ويوضع في قفص الاتهام ، وهكذا يتخيل خزل ، الذي فقد السيطرة على زمام الحكم ، أنه راجع الى عاصمته متحديا منافسيه.

الفصل الثالث

العناصر الاجتماعية في مجال العامة

- المبحث الأول : جدلية الذات والآخر
- المبحث الثاني : صورة حقوق الإنسان
- المبحث الثالث : وضع التوازن الطبيعي
- المبحث الرابع : وضع اللاتوازن الطبيعي
- المبحث الخامس : دور متعب الهذال كعامل اجتماعي
- المبحث السادس : صورة المرأة
- المبحث السابع : صورة الجنس
- المبحث الثامن : القمع من جهة السلطة
- المبحث التاسع : مسألة الديمقراطية
- المبحث العاشر : صورة البيع والشراء

المبحث الأول : جدلية الذات والآخر

مفهومه:

وهي محاولة للبحث عن ملامح هوية في صدمة الذات مع الآخر. سواء أكانت سلبية أم إيجابية تترجم لنا ثنائية الشرق والغرب، وثنائية الذكورة والأنوثة، وثنائية المادة والروح، وثنائية العلم والجهل، وثنائية التقدم والتخلف.

في الرواية العربية

منذ النهضة العربية ظلت إشكالية الذات والآخر واحدة من أهم الموضوعات التي ناقشها المفكرون والمتفكرون من عالم العرب طوال قرن الماضي. "وقد تركت أحداث سبتمبر 11 بصمتها على الضمير العربي ، مما أرق الإبداع والفكر، لذلك من الطبيعي أن يزداد طرح إشكالية 'الأنا' و'الآخر' في الرواية العربية ، فقد زاد حرص الذات العربية على تأكيد هويتها، والدفاع عنها في مواجهة تهمة الإرهاب ، التي ألحقها الآخر الغربي بها، بعد أن شاع لديه الرهاب منها أي الإسلام فوبيا ، فاستمر في اختزال 'الأنا' العربية في صورة نمطية مشوهة، كانت قد بدأت بالظهور منذ بداية الاحتكاك بينهما في القرن الثامن عشر"¹⁹⁶.

"ولم تظهر رواية الأنا والآخر في أدبنا العربي الحديث والمعاصر إلا في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك مع التغلغل الاستعماري في العالم العربي والإسلامي قصد التحكم فيه سياسياً، واستغلاله اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وإضعافه عسكرياً وإعلامياً، وتغريبه دينياً وحضارياً، وتشكيكه عقدياً وفكرياً. ومن هنا، طرحت إشكالية الشرق والغرب فكراً وإبداعاً وتخيباً، فعرضت على مائدة النقاش والبحث والجدال الواسع، ولا سيما ثنائية التقدم والتخلف، ثم برزت أيضاً عبر ذلك عقدة النقص العربي أمام تفوق الإنسان الأوروبي واضحة للعيان في الكتابات السردية العربية الأولى بالخصوص"¹⁹⁷.

¹⁹⁶ الدكتورة ماجدة ، إشكالية الأنا والآخر ، سلسلة عالم المعرفة عدد مارس/أذار 2013.
¹⁹⁷ د. جميل حمداوي، رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية، مجلة الرافد ، <http://www.arrafid.ae>

ومن المبدعين العربيين الذين جعلوا تلك الجدلية موضوعاً لإبداعتهم، يحيى حقي صاحب 'قنديل أم هاشم' والطيب صالح صاحب 'موسم الهجرة للشمال'. وتوالت الروايات من هذا الصنف حتى جاء عبد الرحمن منيف بإبداعاته القيمة في السبعينات. جمع منيف في رواياته بين الوثيقة التاريخية وتفاصيل من الواقع الشعبي ليقدّم آراء متعددة لصوت الأنا، وليقدم حد التناقض بين الأنا والآخر. "وإن الرواية الحضارية هي التي تجسد العلاقة بين الأنا والآخر، وترصد اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب تخيلاً وإبداعاً وتشخيصاً، وذلك على مستوى العادات والتقاليد والأعراف والأديان والمعطيات الثقافية والمادية والعلمية والفنية والأدبية والتقنية. وهذه العلاقة التي حددتها هذه النصوص الروائية المذكورة غالباً ما كانت تخضع سيميائياً على مستوى الرغبة 'رغبة الذات في موضوع ما' لقانون الاتصال 'الحب والغواية والافتتان والانبهار والجنس' والانفصال 'الفراق والطلاق والعودة إلى البلد الأصلي' والتشبهت بالقيم الشرقية"¹⁹⁸.

في إبداعات منيف

" وتحمل رواية منيف أيضاً الجانب الآخر والسلبى من حضارة الآخر، كالتمايز في الطبقات الاجتماعية والانقسام وتسلط الطبقة الرأسمالية وتركيز السلطة والثروات. وقد استطاع أن ينفذ إلى عمق هذه الإشكالية الحضارية من خلال مصير السائقين 'راجي' و'آكوب' اللذين سيقعا ضحية الرأسمالية التي ستدخل مع الأميركيين المجتمع البدوي فنطبق على الطبقات الضعيفة والفقيرة وتحولها إلى هامش وأداة استخدام. وقد وضع 'راجي' تعبيراً يشف عن هذه الحقيقة المرّة التي لم ينتبه إليها أهل حرّان، بتشبيهه الضعفاء والفقراء بأسماء صغيرة تبتلعها أسماك كبيرة"¹⁹⁹.

د. جميل حمداوي، رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية، مجلة الرافد، <http://www.arrafid.ae>، محمد العليمي، بحثاً عن متعب الهذال، مجلة العربي 18 أغسطس 2014.

198

199

في مقطع وادي العيون

فالعلاقة بين الذات والآخر تكون دائماً علاقة سلبية قائمة على الكراهية والعدوان ولا يكون هناك فرصة أن تكون العلاقة دائماً إيجابية قائمة على الأخوة والمحبة والصدقة والتعايش.

الذات	الآخر
وادي العيون	الأميركان
الوطن	الوطن/الاستعمار
الشرق	الغرب
البدوة	الحضارة
متعبد الهذال	الحكوم
المواطن	السلطة
حقوق الانسان	رد الحقوق

في مقطع حران:

الذات	الآخر
يعني به كل ما له علاقة بالمكان 'حران' الذي لا يقل أهمية ومكانة دلالية من مكان 'وادي العيون' في المقطع الأول. ويشمل مكون محور الذات هذا على مجموعة من العناصر المساعدة بما فيها: أهل حران وفئة العمال فيها.	يقصد به بالخصوص الأميركان بمن فيهم : ابن الراشد 'الخادم الخائن' والأمير وحكومته وفئة الأغنياء.

الذات والآخر و دور متعب الهذال

" ولدى تعرّف أهل القرية التدريجي إلى أدوات التكنولوجيا، من آلات ومعدات وحفّارات ورافعات، يقوم منيف بتعريف كل آلة بدقة متناهية متوقفاً ملياً عند انبهار الإنسان العربي آنذاك بطبيعتها ووظيفتها. وفي هذا السياق، يصف بذكاء اللحظات الأولى لرؤية المنظار ثم المذيع، ويرصد طريقة تعامل الإنسان البدوي مع هذين الجهازين وما يتبعها من أسئلة بدائية. إذ يسأل أحد الحاضرين في مجلس الأمير، لدى وصول المذيع ورؤيته لأول مرة: ماذا يأكل هذا المذيع وأين يجلس هذا الذي يتكلم داخله. كما قام الأمير ورجاله بحركات غريبة وفزعة إثر اندلاع صوت المذيع، وكأن كارثة ما ستحدث، وبأخرى طفولية حين سألوا عن موعد نوم من يتكلم داخل صندوق المذيع. سلوك يشي باندهاش كبير بمفردات هذه الحياة الجديدة"²⁰⁰.

وشيناً فشيناً يصوّر منيف عملية ذوبان المجتمع البدوي في ثقافة الآخر، كاشفاً كيف سيصبح المسكوت عنه بالأمس حديث اليوم، كما هو الحال بالنسبة إلى موضوع الجنس. فبينما كان أهل حران يتجنّبون الحديث في بادئ الأمر عن مشاكلهم الجنسية إلى الطبيب "صبحي"، لن يلبثوا أن يتناولوها علناً، بعد أن كانت تدور سرّاً في المجالس الخاصة.

أما سؤال الوجود المستقبلي لأبناء الصحراء على أرضهم فيلقي بظلاله على المشهد الروائي برمته ويحشد الروائي له ظواهر طبيعية غريبة كثيرة، مرّكزاً على مظاهر التحول الاجتماعي والفروقات الأساسية في المسكن والملبس والمركب والخدمات والرفاهية، بين الأنا والآخر، التي ستكون السبب في نشوء سؤال الخصوصية العربية، وبالتالي في ارتفاع حساسية أهل حران تجاه الأميركيين وثورتهم على الوجود الأميركي في نهاية المطاف.

وفي هذا السياق، يضيف ظهور "متعب الهذال" الاستيهامي في الجزء الأخير من الرواية، كمنقذ وحيد يبعث سؤال الهوية ويثير تساؤل العربي حول الذات والآخر، جواً من الواقعية السحرية على النص.

المبحث الثاني : صورة حقوق الإنسان في مدن الملح

رواية مدن الملح تتبعت معاناة الانسان العربي في ظل انتهاك حقوقه واساليب القهر التي تلعب بحقه. وهي تقدم دلائل علمية التي تظهر اساليب الالتفاف عليها. وما كتبه منيف قد يكون مرآة تعكس الحياة العربية بكل مقوماتها ، في تلك الحقبة التي كانت السلطة اولاً لشيخ القبيلة، وثانياً للسلطان او الحاكم. وآراء منيف يعطينا صورة واضحة عن المعاناة. وذلك حين يتناول علاقات البشر فيما بينهم، ويتدخل الى اوضاعهم الفردية الاجتماعية والثقافية والسياسية. ويرى منيف ان الإنسان هو مخلوق خطير الشأن في دورة الحياة. وان حق الحياة حق مقدس وأصلي ولكل فرد في المجتمع حق العيش معزراً، مكرماً وسعيداً طوال حياته ، وليس لأحد حفر ان يمس حيات الفرد لا في جسمه ولا في روحه.

يربط منيف في مدن الملح بين الحرية الفكرية والحرية السياسية، لأن هذا الربط يجب ان تكون حقاً عاماً متساوياً بالنسبة الى الجمهور، وهو ليتسنى لهم متابعة حياتهم بحرية وليخلفوا بالتالي جبهة ثقافية عريضة على أساس وجودهم الفكري والحري. وقد ركز منيف على انتهاك الحقوق والصراع بين ثقافتين: الشرق والغرب، المظلوم والظالم، الثائر المتمرد وغيرها. ولذا نرى معظم الشخصيات الرئيسية ثائرة متمردة على الاوضاع الجديدة التي استجدت في المنطقة. وهذا يظهر في أعماله عامة وفي مدن الملح خاصة.

وقد دلت ابداعات منيف الى انتهاك فاضح لحرية التفكير والدين على الرغم من ان الميثاق العربي لحقوق الانسان قد كفل للمواطن هذا الحق ولم يسمح له الأمير أو الحكومة بممارسة حقوقه الدينية بعيداً عن سلطته. واستغل الأمير العلماء لاستصدار فتاوى تعطيه الحق في استخدام الدين لمصلحة موقعه وسلطته. "حاول منيف أن يصلح بين ما رآه المصري طه حسين وتطلع إليه اللبناني رفيف خوري، وذلك في لحظة تاريخية تحلم

بتحرر عربي شامل، تبدأ بإنسان يعرف حقوقه ويقاقل من أجلها ، ولا تنتهي تحرير فلسطين. كان من ذلك الجيل العربي الغاضب، الذي أبصر مبكراً اغتصاب فلسطين، وآمن بذات عربية فاعلة، تقرأ الظواهر الاجتماعية والوطنية في أسبابها التاريخية، وتقرأ في الأسباب الوسائل العملية التي تستولد وطناً عربياً متحرراً. ولهذا بدأ مثقفاً متحرراً، بالمعنى النبيل للكلمة، ذلك أن بين الوعي المتخرب والوعي الحزبي مسافة كبيرة²⁰¹.

ان الكتابة الثورية التي مارسها منيف في معظم أعماله هي كتابة فعل الواقع أكثر منها مسألة انفعال بالحوادث وبعد ذلك يتقن تصويرها ، فهو لا يلجأ الى التلاعب على مسألتي الزمان والمكان ليدلك على حسن استعماله للأنماط والأساليب الحديثة في مجال الرواية. وقد دلت أعماله على ان منيف محكوم بالتسلسل التاريخي المنطقي. وترك منيف اسئلة الحرية التي تطرح نفسها على الجيل القادم وقد حملته مسؤولية النهوض بالمجتمع العربي ونفض الافكار البالية وحثه للبحث عن كيانه وبالتالي العمل على ايجاد كيان ثقافي وحضاري خاص به.

" أعار الروائي منيف صوته إلى المضطهدين الذين لا يحسنون الكتابة. انتمى اليهم عن طريق رواية أخرى، تشتق شكلها من وظيفتها النقدية الاجتماعية التحريضة ، بعيداً عن رواية تعويضية تقدمية ينصر بطلها الإيجابي الآخرين ولا يعترف بهم. كان في روايته شاهداً على مجتمعات عربية تهزمها سلطاتها ، وتهزم معها حقوق الإنسان وشروط الحداثة الاجتماعية ، وكانت روايته، ولا تزال ، وثيقة أدبية سياسية عن حقبة عربية محددة عنوانها : انتصار السلطة على المجتمع، ونصرة ما يؤدي إلى هزيمة الوطن وتدميره"²⁰². وقدمت لنا رواياته ابطلاً يبدون انهم ضائعون ويبحثون دائماً عن شيء معين ولا يجدونه. وهذا نظراً الى عدم إحساسهم بالانتماء الى اية طبقة من طبقاته، وهنا تتجسد الأزمة في الجيل الجديد حيث تبدو خيبته في تحقيق آماله، أخيراً يجد حلاً في الاغتراب لكل الأزمت التي يعاني منها.

201 فيصل دراج، الثقافة الديمقراطية وسياسة الكتابة، بدايات ، العدد 10، شتاء 2015.
202 المصدر نفسه.

فاستعمل منيف التقنيات العصرية والادوات الحديثة ليظهر اساليب التعذيب في السجون التي استخدمتها السلطة والإدارة. وحاول التفتيش على ارض الواقع عن أدوات الاهانة والإذانة في داخل الوطن، ورسم لنا أبطالاً واقعية حية التي تلهث في الأجواء الصحرائية العربية خلف الحياة الهادئة وتنفس من أجوائها المشحونة بالعنف والقمع المليئة بالضباب والفوضى .

المبحث الثالث : وضع التوازن الطبيعي في مدن الملح

وهو وضع افنتح به الكاتب نصه، لفهم كيفية بناء وانتظام العلاقات الاجتماعية اليومية والحياتية في وادي العيون كما يتضح في حياة أهله بصفة عامة و في حياة قبيلة آل هذال ثم عند متعب الهذال بصفة خاصة، وهذا كله قبل أن يغير ويفسد من طرف جماعة الأجانب الأميركيين. ومن أهم هذه الاوضاع ما يظهر خلال :

- 1) علاقة وادي العيون بأهله
- 2) علاقة وادي العيون بآل الهذال
- 3) علاقة وادي العيون بمتعب الهذال

علاقة وادي العيون بأهله

هذه العلاقة تقوم على أساس ضروري، يجمع بين طرفين هامين، هما الإنسان وأرضه التي ينتمي إليها. وهذا الوادي الأخضر عبارة عن أرض خصب في منطقة صحراوية. يقول منيف:

"وادي العيون قد يبدو بنظر الذين يسكنون فيه مألوفاً، وبعض الاحيان لا يثير تساؤلات كبيرة ، لأن هؤلاء تعودوا أن يروا اشجار النخيل تملأ الوادي ، وتعودوا أن يروا الينابيع تتفجر في امكنة عديدة خلال فصل الشتاء ثم بداية الربيع، الا أنهم. رغم العادة ، يحسون أن قدرة مباركة هي اللتي ترعاها وتسير لهم الحياة. أما اذا جاءت القوافل ، وقد جللتها أكوام الغبار وهدها التعب والعطش ، واخذت تجدّ في السير ، خاصة في

المرحلة الأخيرة ، لتصل الى وادي العيون بأسرع وقت، فكانت القافلة كلها تمتلئ نشوة أقرب إلى الرعونة ، لكنها لا تلبث أن تسيطر على اندفاعها حين ترى الماء، متذرة بحجة أن الذي خلق الدنيا والبشر خلق في نفس الوقت وادي العيون في هذا المكان بالذات ، ليكون إنفاق من الموت في هذه الصحراء الغادرة الملعونة. فإذا استقرت القافلة ، وفكت أحمالها، وارتوى الرجال والدواب ، فان نوعا من الخدر اللذيذ ، لا يلبث أن يتحول إلى رضي عارم، يسيطر على كل شيء ، ولا يعرف إذا كان ذلك يتولد من المناخ أم من عذوبة الماء، أو ربما نتيجة الشعور بزوال الخطر، لأنه لا يقتصر على البشر وحدهم ، إذ يتجاوز هم ليصيب الحيوانات أيضا، فتصبح أقل طاعة وأقل رغبة على الاستجابة للأحمال الثقيلة أو على مواصلة السفر بعد ذلك²⁰³

علاقة وادي العيون بآل الهذال

التريخ هو الذي يربط عشيرة آل الهذال بوادي العيون. ويعتبر أن هذه العشيرة من أقدم وأعرق مقيمي وسكان هذا الوادي. ومن مواصفات هوية هذا المكان كأرض طبيعية واجتماعية، أن هذه الأرض التي ظلت تشكل جزءا لا يتجزأ من ذات شخصية آل الهذال، لأنهم عاشوا ضد الظلم وأطماع الأعداء في الماضي، وبصفة خاصة عاشوا ضد الأتراك. وإليه يشير الكاتب:

" وإذا كان الناس لا يتذكرون جازي الهذال قبل أربعين او خمسين سنة، وما فعله ضد الأتراك ، وكيف جعل حياتهم في وادي العيون جحيما لا يطاق، كيف كان يختفي فترة حتى يظن الكثيرون أنه قد قتل أو قد مات، ولم يعد له أثر ويكاد ينساها الناس ، بمن فيهم الأتراك أنفسهم ، حتى ينفجر مرة أخرى فيقتل ويدمر ويحرق ويأخذ ما يستطيع أخذه ويغيب وفي الصحراء فترة من الزمن يعتبرها كافية للنسيان، فإذا عاد مرة ثانية حول الوادي الى جحيم. لقد فعل جازي ذلك مرات عديدة ، حتى قبل أن يصبح الأتراك أعداء بنظر الناس ، واستمر كذلك الى أن تركوا. اما محاولات القيادة التركية ملاحقته والقبض

²⁰³ عبد الرحمن منيف ، مدن الملح - التيه ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص 9.

عليه فقد انتهت بأن قتل قواد الحملتين اللتين سيرتا عليه، وحول الأفراد إلى جزء من جماعته يغزو بهم ويقطع الطريق، وقيل انهم ظلوا معه الى النهاية. هذه القضية التي سيطرت على آل الهذال وعذبته كانت تعرض لهم بأشكال وصور تتغير فترة بعد أخرى ، وربما هي السبب الذي دفعتهم لاختيار هذا المكان المتوسط، محطة للذين يسافرون ويرجعون ، وليكونوا أيضا شهودا على فترة من الحياة والتاريخ لا تقع إلا مرة واحدة ثم لا تتكرر، وليقولوا بعد ذلك للناس ما رأوا من أعاجب وغرائب!²⁰⁴.

علاقة وادي العيون بمتعب الهذال:

ان العلاقة بين أهل الوادي كمكان، وبين آل الهذال كبشر، تنبني على أساس وجودي وتقوم على أساس تاريخي وجودي. لأن العلاقة بين متعب الهذال ووادي العيون هي علاقة خاصة " في ذلك اليوم البعيد الذي يشبه آلاف الأيام قبله، ولد لمتعب الهذال آخر أولاده الذكور. حدث ذلك اواخر الربيع ، عند العصر. كانت الحرارة قد اشتدت ذلك اليوم والايام التي سبقتها، وثمار النخيل برعمت وتكورت وكان على متعب الهذال أن ينتهي بسرعة من وضع العصي تحت عتوق 'أم الخوش' ويربطها بقوة، لكي ينصرف الى بيته في الظهر، رأى ابنه فواز راكضا نحوه ، وقد امتلأ وجهه بالفرح ، فقد أدرك أن زوجته وضعت ، وأنه جاء ولد ذكر فظل نصف معلق على النخلة ينتظر وصول العيون تلك اللحظات اكثر خضرة . قال في نفسه: 'أمطار السنة كانت كثيرة'²⁰⁵.

المبحث الرابع : وضع اللاتوازن الطبيعي في مدن الملح

وهو وضع جديد نشأ بعد تأسيس التحولات المفاجئية من قبل جماعة الأميركان الثلاثة، وهذه المرحلة مختلفة ومتميزة من تاريخ حياة وادي العيون وأهله. ومن أهم هذه الأوضاع السقوط والانكسار وبداية ظهور مجموعة من التصدعات والاختلالات في العلاقات الأساسية التي تنتظم الحياة الطبيعية والاجتماعية. بدأت هذه الاختلافات منذ

204 عبد الرحمن منيف ، مدن الملح - التيه ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص: 19.
205 المصدر نفسه، ص: 20.

واقعة المجيء المفاجئ للأمريكان الثلاثة إلى وادي العيون، وهو من أجل البحث والتنقيب عن النفط، ولتنفيذ مشروع صناعي تشرف عليه شركتهم الأمريكية.

وتساءل متعب الهذال التواجد الأمريكي في الوادي " أكيد هؤلاء لم يأتوا من نأجل الماء، إنهم يريدون شيئاً آخر. ولكن ما عساهم يريدون؟ وأية أشياء في هذه الفلاة غير الجوع والرمل والعجاج؟ ويقولون إنهم سيقضون هنا وقتاً طويلاً؟ كيف سيعيشون؟ كانوا وهم يأكلون أشبه الدجاج؟ والأسئلة التي يسألونها خبيثة ملعونة، وتؤكد إنهم ليسوا مثل الذين جاءوا من قبل : 'هل جاء أجنب غيرنا؟' 'هل سمعتم عن أجنب، عن انكليز وفرنسيين، جاءوا إلى هنا؟' 'هل بقوا فترة طويلة؟ هل فعلوا شيئاً؟' إنهم خائفون، عندهم ما يخافون منه، وأنت تعرف أن الذي يعمل عملاً خبيثاً يخاف من الآخرين. لو كانوا صادقين وجاءوا من أجل الماء ، فالماء معروف مكانه، لا يريدون أن يبقوا في هذا المكان، يريدون أن يذهب ويرجعوا، وبعدهم سيأتي غيرهم، هكذا قالوا ، وقالوا 'انتظروا، اصبروا، سوف يصبح كل واحد منكم غنياً!' ولكن ماذا يريدون من وماهمهم إذا أصبحنا أغنياء أو بقينا على حالنا؟ انظر إلى عيونهم، الى أقوالهم وتصرفاتهم ، انهم شياطين، ولا يمكن لأحد أن يثق بهم. إنهم ألعن من اليهود.. ويحفظون القرآن أولاد الحرام... عجائب،²⁰⁶.

وانتقل متعب الهذال بسؤاله حول تواجد الأميركيكان في الوادي، إلى أهل وادي العيون وأبنائه الآخرين. فأظهر أهل الوادي آراءهم وموقفهم بشكل واضح كما يتضح من مواقف الشخصيات الآتي : هم هذيب، وشعلان، وضحة الحمد. عبّروا موقفهم لمتعب الهذال.

هذيب: هو شيخ وادي العيون، يقول "هذا رأي الحكومة يا ولد العم"²⁰⁷.

206 عبد الرحمن منيف ، ا مدن الملح - التيه ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص: 36.
207 المصدر نفسه، ص: 46.

شعلان: هو الابن الأكبر لمتعب الهذال، حين دار النقاش حول الوجود الأمريكي في أرضهم، يقول "هذا عمل حكومة يوبه.. ومادامت الحكومة تعرف والأمير قال مالكم لازم، والاعتراض ما يفيد"²⁰⁸

وضحة الحمد: هي زوجة متعب الهذال، تقول له بيأس درجة التوسل، عندما ظهرت لها بعض ملامح زوجها المرضية، بتأثير مشكلة الأميركيين: "اترك هذه السوالف يا رجل- الحكومة تعرف أكثر من الجميع"²⁰⁹.

موقف الحكومة

ومن الواضح، من خلال الردود والمواقف من قبل الشخصيات أعلاه، أن أهل الوادي يتفقون على إلقاء مسؤولية تواجد الأميركيين في أرضهم على رأس الحكومة، التي هي مصدر جميع القرارات، والممثلة للسلطة في تلك المنطقة. ولذا يتوجه متعب الهذال بأسئلته إلى الحكومة نفسها. وتعاملت الحكومة مع متعب الهذال بمواقف سلبية ومتوافقة مع الأميركيين. "حين سأل متعب الهذال ابن الراشد، عن الأجانب قال أن معهم تفويضا من الأمير، وانهم قضوا أسبوعا في ضيافته، وحين سأل الدليلين أكدا أن الأمير أرسلهم، وإنهما جاءا منهم لهذا السبب"²¹⁰.

موقف ابن الراشد

ابن الراشد هو ممثل سلطة الحكومة في الوادي، ووجهة نظره أكثر واضحا من شخصيته " وابن الراشد الذي بدا شخصا مختلفا منذ أن وصل هؤلاء الأجانب ، وبالغ بالكرم والعناية ، وإظهار هذا الكرم وهذه العناية ، وكأنه كان على علم سابق بوصولهم ، أو ربما نتيجة تعليمات مشددة من قبل الأمير، نقلها إليه الرجال الذين جاءوا معهم، فقد كان في دخيلته يحس أن مغنم كبيرة يمكن أن تجنى من هؤلاء، ولذلك بالغ في كل شيء ،

208 عبد الرحمن منيف ، مدن الملح - التيه ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص: 45.
209 المصدر نفسه ، ص: 52.
210 المصدر نفسه، ص: 37.

حتى في الحديث والتصرف، وكان هذا أكثر مما يطيق الوادي وأكثر مما يحتمل الناس. وإذا كان الكثيرون داخلهم شعور الكبرياء في الأيام الأولى، وكان الوادي يعيش في بحبوحة ورخاء، ويعرف كيف يحتفي بالضيوف، فقد بدأ الشك يخامرهم وتساءلوا ما إذا كانوا قادرين على الاستمرار، خاصة وإن إقامة هؤلاء الأجانب قد طالت، وبدا أنها ستطول أكثر²¹¹. وهذه المواقف جعلت متعب هذا يشك في أمر العلاقة القائمة بين الحكومة والأمير كان.

موقف الأمير

هو شخصية تعتبر قول الأخير لحكومة وادي العيون والمنطقة بكاملها، وعن طريقها وصل الأميركان الثلاثة إلى هذا الوادي. وقد فسر الأمير مجيئ الأجانب وتواجدهم في الوادي بالتعاون مع أهله ومساعدتهم للترقية لاغير. كما هو واضح من حديث المسافرين " أما حين أمرحنا ورأينا الأمير قبل خمسة أيام فقد قال لنا ' من يعترض طريقهم سيلقى جزاءه... إنهم خويا، وجاءوا لمساعدتنا!'"²¹²

وقد ذاق متعب الهذال طعم الهزيمة وعجز عن مقاومة عندما حاول الدفاع عن حرمة وادي العيون، وإطلاق الرصاص على معسكر الأميركان الاستعماري الجديد، فاكتشف أنه غير قادر على أن يقدم، لوحده على مثل ذلك الفعل العظيم. عاد متعب الهذال إلى بيته حزينا قال لزوجته وضحة: "يقولون : يوم القيامة؟ اليوم يوم القيامة. يقولون : إذا مشى الحديد على الحديد؟ اليوم رأيت الحديد يمشي على الحديد!، كان علينا أن نفعل شيئا منذ وقت طويل يا وضحة، منذ أن جاءوا أول مرة. عرفت أنهم سيرجعون ، وأنهم سيفعلون أشياء لا يفكر بها إنس ولا جان. جاءوا . رأيتهم بعيني. في مثل لمح البصر أطلقوا عشرات الجن والغفاريت. وهذه الغفاريت تتوقد وتهدر في الليل والنهار، إنها أشياء

211 عبد الرحمن منيف ، مدن الملح - التيه ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص: 38.
212 المصدر نفسه، ص: 40.

مثل رحي الطاحون تظل تدور وتدور دون أن تتعب ودون أن يديرها أحد. ماذا سيحصل في هذه الدنيا؟ وكيف سنقضي عليهم قبل أن يقضوا علينا؟²¹³.

أمام هذه المواقف المأساوية العامة، للوجود الأميركي في أرض وادي العيون الطبيعي والبشري، تابع متعب الهذال طريقة أجداده في مقاومة ومحاربة خطر المتسمرين الظالمين. وهي طريقة الحرب والسلاح هي السبيل إلى المقاومة ومن هذا المنطلق كان عنصر السلاح، في حياة آل الهذال عامة وفي حياة متعب خاصة، علامة مقدسة وأساسية. وكان متعب الهذال يطلق دوما النار في اتجاه القمر كلما وضعت له زوجته ولدا جديدا. وقال مرة لابنه الأكبر شعلا " لا تلعب بالسلاح أبدا، لأن من يلعب به مرة يلعب به كل مرة. والناس الذين يهابون السلاح الذي يقتل، والرجل الذي يقتل، لا يهابون ولا يحترمون الرجل الذي يلعب بالسلاح. وإذا رفعت السلاح فاضرب ... أو لا ترفع أبدا"²¹⁴.

ومن الملاحظ أن هذه التغيرات في الوادي، جعلت شخصية متعب الهذال تسير في خط مواز للتغيرات الجذرية التي يتعرض لها وادي العيون. حتى وصل متعب الهذال الى حالة جنون، وقد نقل آخرون أنهم سمعوه يقول لآلات الأمريكية " يا أولاد الزواني ، يا أحجار القراني ، سأنتقم منكم قبل أن ينتقم الواحد القهار، وقالوا أيضا أنه شتم الحكومة والسلطان والأمير وكل اللذين يساعدون الكفار"²¹⁵.

أما أهل الوادي، فكان نصيبهم من كل هذه التغيرات والتطورات، تعرضوا للتشريد والترحيل الإجباري عن أرضهم ، إثر ما شرعت الآلة الأميركية في ابتلاع الأشياء اليابس والأخضر. يقول منيف : " في الظلمة الزرقاء الناصلة، ومع هبات ريح خفيفة منعشة، كانوا، بصمت، قد انتهوا من استعدادهم للرحيل. أما حين تركوا وادي العيون ، أو بكلمات أدق ، حين أجبروا على تركه ، بعد شروق الشمس بقليل، فقد كانت بين الراحلين

213 عبد الرحمن منيف ، مدن الملح - التيه ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص: 76.
214 المصدر نفسه، ص: 78.
215 المصدر نفسه، ص: 108.

عائلة متعب الهذال، وكان فواز الكبير بين إخوته. شعلان وحده بقي في الوادي ، لكي يتابع تحصيل ما يستحق للعائلة من تعويض، ثمنا للبستان الصغير الذي كان لهم ، وللأرض التي كانت عليها داراهم"²¹⁶.

موت مزبان وإضطراب ابن الراشد

هاجم هو البدوي يعلن الحرب ضد المتواطئين. وأخوه مزبان، مات غرقا في عمق البحر، وهو بصدد قلع إحدى صخوره، من أجل توسيع الميناء، 'والحوت الصغير' هي تسمية لقب بها هاجم من طرف العمال، في حين لقب أخوه مزبان 'بالحوت الكبير' لإتقانهما فن السباحة. نزل مزبان مع اثنان آخران في البحر فوق رجلة مزبان في ثقب صخرة، ويقول الراوي: " ففي فجر اليوم التالي، حيث تعود عمال البحر أن يذهبوا قبل غيرهم، وبعد أن غادر هؤلاء المعسكر وركبوا البحر، وحين طلب إلى ثلاثة من العمال الغوص لكي يثبتوا حبلا في أحد الصخور تمهيدا لقلعها، وكان مزبان واحدا منهم، في هذه النزلة التي أخذت الثلاثة إلى حيث حدد لهم، وبعد فترة قصيرة عاد الإثنان ولم يعد مزبان. نزل وراءه عدد من العمال، بعد بحث طويل وجدوا مزبان: كانت رجلة في فجوة صخرة، كان يوما صعبا مشؤوما يوم عادوا بمزبان جثة هامدة. انتشر الخبر بسرعة في المعسكر، في حران الأميركيان وحران العرب"²¹⁷.

وبالمقابل لهذا الحدث، كان لموت مزبان في البحر تأثير عميق على الحالة النفسية لدى العمال. وبالتالي بدأ العمال يدركون حقيقة محور الآخر عامة والأميركان بوجه خاص، لأن الأميركيان الاستغلوا طاقاتهم وقدراتهم المادية والبشرية، في منتهى الحال. فتولد الإضطراب الصامت بين العمال.

وحاول ابن الراشد لإنهاء هذه القضية بأسرع وقت إلى حل ممكن أمام موقف الأميركيان الراض لدفع التعويض، وصمت الحكومة. رأى فيه علاجا لمشكلته التي تورط

216 عبد الرحمن منيف، مدن الملح - التيه ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص: 123.
217 المصدر نفسه، ص: 289، 290.

فيها، بحيث إنه عرض على إبعاد هاجم المريض، الذي كان يعكس تواجده وحضوره مأساة أخيه مزبان، في حران، إلى منطقة بعيدة تسمى أم السعف، ليطمس بذلك معالم مأساة موت مزبان في ذاكرة العمال.

أما هاجب الذي أُبعدَ، فقد عاد أيضا بصحبة رجل مسن، كان هاجم يبديا شديد النحول، كأنه لم يذق نوما أو أكلا من أيام حتى لا يرى الوجوه ولا يسمع الأصوات. ولقد ازداد توتر العمال ووعيهم بحقيقة العلاقة التي تشد الأمليركان إليهم، نتيجة الصورة المأساوية التي عاد بها هاجم إلى حران، وبرفقة خاله هو الرجل البدوي الغاضب، حيث إن عمال حران الذين استقبلوا الشخصين، شعروا " بالحنن يسحق عظامهم، وشعروا أنهم غير قادرين على أن يواصلوا النظر إلى وجهه، خاصة العينين، وزاد حزنهم أنهم تذكروا كيف كان الحوت الصغير"²¹⁸. "وحران التي شعرت بالحنن إلى درجة التعاسة لم تستطع أن تخفف من غضب الرجل، أما الدعوات التي وجهها إليه أهل حران، أن يذهب معهم، أن يستريح ويتعشى حتى إذا جاء اليوم التالي لا بد أن يجدوا ابن الراشد، وأن يجدوا حلا لهذه المشكلة، فإن الرجل رفض الدعوات بحزم أقرب إلى الخشونة، وبعد أن انتظر وتعب وقال قبل ان يخرج: أنا وراه .. وراه والزمان طويل"²¹⁹.

ولذا تهيأت الحكومة مع شرط في دفع التعويضات لهاجم ، وهي لئلا يتولد الاضطراب نتيجة الاتهامات والتهديدات من ناحية، وأن يمنع تهديد ابن الراشد من ناحية ثانية. وقيل نائب الأمير " أما التعويضات التي يمكن أن تصرف عن الوفاة، فما زال أمرها معلقا. إذ يعتبر المكتب القانوني في الشركة أن "الشركة غير مسؤولة وغير ملزمة"، باعتبار أن المصادقة على نقل العمال إلى مسؤولية الشركة قد تمت بعد الوفاة، أما التعويض المستحق لهاجم فسوف يتم صرفه في بضعة أيام .. وشرط أن يكون الوضع عاديا وهاديا"²²⁰.

218 عبد الرحمن منيف، مدن الملح - التيه ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية

عشر 2008، ص: 331.

219 المصدر نفسه، ص: 331.

220 المصدر نفسه، ص: 342.

ولكن المحاولات التي جرت من أجل انهاء المشكلة لم تنته الى نتيجة. ورفضت الشركة بإصرار أن تقدم أي تعويض، حتى لو كان رمزياً. أما محاولات الأمير فقد فشلت أيضاً. وفي المقابل، كان ابن الراشد لا يألو جهداً لإبعاد التهمة وثقل المسؤولية عن نفسه، وهو يتهم الشركة الأميركية، حيث إنه قال، عندما سأله الرجل البدوي، عن أخي هاجم، مزبان، وفي حضور نائب الأمير:

"ابن الراشد: مات موت الله

الرجل البدوي: أخذته للبحر وغرقته وتقول مات موت الله؟

- انطح فالك يارجل، الحياة والموت من الله؟

- لوما أخذته للبحر ما مات..

- أنا ما أخذت أحدا.

- أنا أخذته؟

- الشركة، الأميركيان هم أخذوه، وهم مسؤولون، يقولون التعويض يصلكم؟"²²¹.

يقول الراوي: " من خلال ما بدأ يظهر على ابن الراشد من قلق وخوف بدأت الأخبار والإشاعات تتردد في مقهى أبو أسعد، وفي السوق أن عددا من المسافرين شاهد هاجم وخاله في عجرة، ولم يكونا وحدهما هذه المرة، كأن معهما متعب الهذال ذاته، وبرفقته عدد من البدو المسلحين"²²².

التغيرات النفسية، التي بدأت تنعكس آثارها على سلوكيات ابن الراشد وعلاقته مع الآخرين،. يقول الراوي: " كان يبدو شديد القلق، وقد تغير شكله كثيرا: حركته سريعة، وعيناه شديداً التنبه والفرع، وكان دائم الالتفات إلى هذه الناحية وإلى تلك، دون سبب

221 عبد الرحمن منيف، مدن الملح - التيه، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الثانية

عشر 2008، ص: 339، 340.

222 المصدر نفسه، ص: 364.

ظاهر وبطريقة عصبية. أما الأصوات المفاجئة. حتى لو كان أحد ينادي على آخر، أو سقوط شيء من الأشياء، كانت هذه الأصوات تفزعه²²³."

المبحث الخامس : دور متعب الهذال كعامل إجتماعي

تعرض رواية مدن الملح منيف نموذجاً غير مسبوق لتحول المجتمع العربي من عصر الانحطاط إلى عصر الانفتاح على الآخر، وقد أسس فيها منيف مدينتي 'وادي العيون' و'حران' كنموذجين مصغرين لتحويلات الاجتماعية والشخصية العربية. " لقد قاسى المجتمع العربي معاناة وشظف هذا التحول القسري إلى مستقبل مجهول والانصراف عن مرابع الصبا وذكريات الطفولة وموطن الأجداد. وفي هذا السياق، تلعب شخصية 'متعب الهذال' في الرواية دور المتوجس من الآخر والمرتاب من كل جديد، فيسرد الروائي كيفية وقوفه في وجه الأميركيين الذين جاؤوا بمعداتهم وآلاتهم للتنقيب عن النفط، بتنسيق مع السلطات الرسمية آنذاك. وقد بدا 'متعب الهذال' غاضباً ومتوعداً وشاتماً الأميركيين في أول الأمر، قبل أن يتحول حنقه إلى قلق ويأس وصمت إثر تخاذل رجال القرية تجاه هذا القادم الغامض، فيغادر في ظل صمت رهيب وحزن تاركاً خلفه الأهل والأرض دون أن يكون لرحيله وجهة محددة"²²⁴.

وكابدت أسرة 'متعب الهذال' بعد رحيله المفاجئ أتعاب هذا الغياب الطويل والغامض من الوادي. وإلى جانب ما تضيفه الحياة من قسوة في العيش، فغادرت الأسرة 'وادي العيون' من شدة الآلام. " دون أسباب واضحة تستدعي شخصية 'متعب الهذال' من التاريخ العربي شخصية 'زرقاء اليمامة' التي تحدر بدورها قومها من خطر قادم في المستقبل. وتكاد تتطابق هاتان الشخصيتان في مصير كل منهما. فها هي زرقاء اليمامة تلقى مصيرها باقتلاع عينيها إثر رفض قومها الإصغاء إلى حديثها، وها هو 'متعب الهذال' يقرر، إثر رفض قومه الإصغاء إلى تنبؤاته، الاختفاء بطريقة غامضة"²²⁵.

223 عبد الرحمن منيف، مدن الملح - التيه، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر، 2008، ص: 365.

224 محمد العلمي، بحثاً عن متعب الهذال، مجلة العربي 18 أغسطس 2014، www.alaraby.co.uk/books/2014، المصدر نفسه.

رغم واقعية الرواية أسلوباً وموضوعاً تشكل هذه الشخصية في طبيعته وسلوكه خروجاً عن الواقعية، وكذلك عن حالة مانعة غريبة أمام التغييرات التي ابتهج لها أهل الوادي. وإلى جانب متعب الهذال، تظهر في وادي العيون امرأة اسمها 'نجمة المثقال'. وهي ترفع حالة القلق وتكسر حالة الرضا والاطمئنان لدى أهل الوادي، وتحول جو الرواية إلى توجس وخوف من المستقبل. وكأن كليهما يلعب دور راءٍ يكشف المستقبل ويرى أهوال ما سيحدث في الوادي. كما تمثل شخصية 'متعب الهذال' العظمة العربية الدفينة التي تقاوم كل محاولات الآخر للاختراق.

وكان متعب الهذال حزينا في شأن الطبيعة، بكى للأشجار "مجزرة الأشجار سوف تترك متعب صامتاً وباكياً، الأشجار صرخت أما متعب فبكى بصمت: كانت الأشجار وهي تميل وتترنح، قبل أن تسقط، تصرخ، تستغيث، تولول، تجنّ، تنادي نداءً أخيراً موجعاً، حتى إذا اقتربت من الأرض هوت بتضرع، وكأنها تحتجّ أو تريد الالتحام بالتراب من جديد، في محاولة لأن تنبثق، لأن تنفجر مرة أخرى. ومتعب يقف صامتاً: 'قالوا إنهم لأول مرة في حياتهم يشهدون رجلاً مثل متعب الهذال يبكي. كانت دموعه تتساقط بغزارة، لكن وبصمت أيضاً'،²²⁶.

المبحث السادس : صورة المرأة في خماسية مدن الملح

توجد حضور المرأة في الإبداع العربي والغربي الحديث والقديم على حد سواء. لأن تصوير المرأة كانت دفعا كبيرا للأدب ونهضته منذ عصور لدى جميع الأمم. لكن تختلف وجودها وتصويرها من جيس إلى آخر حسب مقتضى الحال. وفي الأدب العربي الحديث سميت الرواية الأولى بـ 'زينب'. ومن تلك البدايات كانت الإبداعات القصصية والروائية ممزوجة من عبق المرأة بشتى الأشكال.

226 الياس خوري، بحثاً عن بطل 'مدن الملح'، مجلة بدايات: فصلية تكافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥.

والإبداع القصصي والروائي العربي تناقش صوراً مختلفة ومتباينة للمرأة انطلاقاً من أبعاد تكون إما اجتماعية أو دينية أو أخلاقية أو ثقافية أو سياسية. ومن أهم هذه الصور:

- المرأة كأداة الإنتاج والمتعة
- حصر دور المرأة في الحياة الزوجية
- تحميل المرأة أعباء حقوق المجتمع بأكمله

فتكون دور الشخصيات هذه الصورة إما تثبيتها للدور أو رفضاً أو ثورة علي دورها.

وفي مدن الملح يوجد حشداً كبيراً من النساء يلعبن في مختلف الأدوار، ومنها : أمهات، زوجات، أخوات، خادמות، جوارى، منجمات، عرفات وغيرها. ومعظم هذه الشخصيات النسائيات يأتيين من خلال أجزاء الرواية في عالم البدو وعالم الوافدين وعالم القصر.

عالم البدو :

وهو المسرح الذي يأتيها الشخصيات النسائية بالدور الاجتماعي والحياة التقليدية مثل الأم والزوجة والأخوة وغيرها. ومن بينهن:

وضحة الحمد : هي زوجة متعب الهذال في الجزء الأول - التيه. وهي في دور زوجة وأم ومربية ورفيقة وشريكة للرجل ومساعدته وفي إطار ذلك المجتمع البدوي.

أم الخوش : وهي المرأة التي كابدت من أجل تربية وحيدها الخوش والتي لها من صفات الرجال. وهي المرأة الصالحة الطاهرة التي حظيت بعطف واهتمام كبير من أهل وادي العيون. وظلت تعيش على أمل عودة ابنها الوحيد الذي سافر في قافلة وغاب سنين طويلة بدون خبرا ورسالة ، حتى أصابها العجز بالحزن والصمت، ثم أصابها الجنون فالموت في اليوم الأخير

بالوادي . دخلت عالم الجنون بسبب فقدها لابنها الخوشومع ذلك أن السارد لم يعطها اسما شخصيا خلافا للشخصيات الأخرى المسميات.

"وهناك نساء أخريات تتقاسمن دور هن الاجتماعي والتقليدي في عالم البداوة. وأسماء هؤلاء النسوة تأتي على إيقاع واحد فمنها : وضحة ، ودعة ، صبحة ، وسمة ، وطفة ، آمنة ، خزنة ، رضية. ورغم أن السارد حدد بأوصاف وحيدة مثل طويلة وقبيحة وقصيرة وجميلة"²²⁷.

عالم الوافدين :

والصورة للمرأة من خلال عالم الوافدين على السلطنة الهديبية أخذت بعد ظهور النفط، وهم عناصر مغامرة باحثة عن المال والجاه والسلطة، عناصر تتظاهر بوضع خبراتها المختلفة من شخصية إلى أخرى وهي لخدمة أهل البلد بصفة عامة وخدمة الأسرة الحاكمة بصفة خاصة، حتى يتسنى لها تحقيق رغباتها وأهدافها. ومنها:

وداد : هي زوجة الحكيم المحملجي. تمتد حضرتها عبر أربعة أجزاء من الرواية. هذه المرأة التي عاشت في بيت يطبعه الموت فتزوجت من الحكيم للهروب من هذه المخاوف. تعدد التسميات عند هذه المرأة من جزء إلى آخر بحسب الأدوار التي تقوم بها. فكانت زوجة وأم الأولاد في 'التيه' وفي 'المنبت' تقدم بأم غزوان لعلاقتها بابنها والسفر معه إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وفي الجزء الثالث - بادية الظلمات نجد وداد الحايك امرأة أعمال ومشاريع. وهي في الجزء الرابع - الأخدود حيث يبرز دورها من خلال الجنس والجسد: جسدها متجبر وجسدها طوفان، وجسدها يحكم تصرفاتها، وكانت تشتتهي السلطان خزعل راغبة فيه ، لكن شعرت باللوعة حين علمت أن السلطان يريد ابنتها سلمى.

فوجد أن علاقتها بزوجها يطبعها العجز الجنسي. وأن وجود العاشقين يطعن الحكيم في رجولته. ويجعله مخصيا من خلال التحدي الذي يعلنه ويجسده جسد وداد.

ويقول الراوي : "حاولت بعقلها أن تقول لا، أن ترفض، لكن جسدها كان أقوى منها كان جسدها متجبراً طاغياً، والحكيم الذي عجز عن فهم هذا الجسد أو عن ترويضه أفلت منه . وعلى نفس الفراش، وعلى نفس الوسائد ، وأن تغيرت مواضعها ، اكتشفت وداد ، لا بل وتأكدت أن الموت الذي حاربتة طويلاً كان يطوقها من كل ناحية"²²⁸. وإن علاقة وداد بهؤلاء تطرح تشابكاً غنياً من الأحداث يكشف سذاجة الحكيم وتفاهة ثقافته لأنه كان طبيبياً متخصصاً في الأمراض التناسلية ، وما زال ما يعطي نصائح حول الجنس. و يقول السارد أن الذي "يتحدث عن الجنس بهذا المقدار، والذي يملأ سهراته مع الأصدقاء بتفاصيل لا تنتهي حول أهمية هذا العامل وتأثيره ليس فقط على سلوك الإنسان الفرد، وإنما على الدول والمجتمعات البشرية أيضاً، لا يجد الوقت أو القوة لكي يكتشفه بنفسه... أو لكي يمارسه"²²⁹.

سلمى : وهي ابنة وداد والحكيم المحملجي، الصغيرة الفاتنة التي تزوجها السلطان خزعل من أجل اللذة والمتعة. وكانت لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها، فكانت كما يقول الراوي "خرقة مبلولة، إذ علاها الشحوب وبدت متعبة، والهالات الزرق حول عينيها"²³⁰.

أم حسنى : ليست صورة المرأة الجسد كانت وحدها المؤطرة لحضور المرأة في الخماسية من خلال عالم الوافدين. وكان هناك وجه آخر تمثله أم حسنى هذه المرأة وهو الأم، المحافظة على التحام العائلة والصبورة التي اتخذت من العمل وسيلة لتأمين حياتها وأبنائها، التاجرة التي أتاحت لها قراءة الفئان التقرّب من نساء القصر.

228 عبد الرحمن منيف، مدن الملح - الأحدود ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص: 58.
229 المصدر نفسه، ص: 415.
230 المصدر نفسه، ص: 71.

عالم القصر:

صورة المرأة في عالم القصر نقف على صورة أو صور أخرى للمرأة في الخماسية، ولعل أهم صورة تطالعنا في هذا العالم هي صورة الشيخة أمي زهوة.

الشيخة أمي زهوة : وهي امرأة لها حضور قوي جدا من خلال أحداث الرواية. وهي ذات مكانة متميزة جدا عند السلطان خريبط. كانت منبع إرشادات بالنسبة إليه، وعلى ذكائها ومالها اعتمد اركان السلطنة الهديبية. فأمي زهوة أقوى امرأة في قصر الروض وقصر الغدير، وهي امرأة متجبرة، ومسيطرة على كل نساء القصر. وهي تأمر وتنهاي تمارس سيطرتها من خلال العرافة والسحر. وهي التي تحتل هذه المكانة المتميزة والغامضة في آن. لأن البقية من نساء القصر تلعب الدور الاجتماعي التقليدي زوجة، ، ابنة أخت ، خادمة، وصيفة، جارية.

وفي رحاب القصر وبين السلاطين والأمراء تبقى المرأة محدودة الدور، سجينه شهوات هؤلاء، فتحدد قيمتها بمقدار قدرتها على إمتاع هذا السلطان أو ذاك. "فكان خريبط مهتما بالحديث عن الجنس وممارسته إلى أقصى حد، فهو لا يتردد في قضاء الساعات الطوال للاستماع لقصصه، رغم أن زيجاته لا تتوقف وعدد محظياته وجواريه يزداد يوما بعد يوم وكانت هذه النقطة بالنسبة إليه مصدر قوة يفاخر بها ويعتز بها كما يفاخر بقوته الخارقة، وقامته المديدة. إن شغف خريبط بالمرأة، وهوسه بها، والذي يراه نقطة قوة، هو في حقيقة الأمر، نقطة ضعف بالنسبة له، لأن هذا اللهاث المحموم وراء المرأة يجعله ضعيفا أمام شهواته ورغباته

يقول عنه أحد رجاله المقربين: صحيح أنه سلطان يأمر وينهى يقول يصير وما يصير لكن كل هذا ليس علينا"²³¹.

وكان خزعل قد ورث عن أبيه حب النساء وطول القامة. قد اتبع نهج أبيه في هذا المجال، بشهوات البطن والفرج. يقول الراوي: "لما أصبح الأمير خزعل سلطانا كانت المرأة السادسة عشرة قد مرت من تحته، وكان لا يزال يبحث عن هذا السر الإلهي في العلاقة بين الرجل والمرأة"²³². فكثرت جواريه وزيجاته تبعا لذلك، فلم تترك له هذه الهواية وقتا للتفكير في الأمور السياسية، وكانت غايته في دنيا المرأة. فكان المستشار الذي يفكر نيابة عنه ويذهب خزعل منتشيا بنفسه في هذا المضمار، فيشغف بوداد زوجة الحكيم. أخيرا تزوج من ابنته سلمى وذهب الى بادن بادن ليقضى شهر العسل. ولكن صار هذا المكان منفاه حتى يرجع إلى جوار بره.

المبحث السابع : صورة الجنس

إن اشكالية الجنس واحدة من العوامل الأساسية التي خلقت تاريخ الإنسان منذ قرون، وهي التي احتلت حيزا ملحوظا من مسائل في مجتمعات العالم الثالث. وأن الجنس في مدن الملح لم يكن مقصودا لذاته ولم يكن أداة للإثارة يقول منيف "أنا لست ميالا لوضع مجموعة من النساء مثل - ديكور في رواياتي مما يدفعنا للقول إن الجنس في الخماسية كان من أجل توضيح حقيقة لازال الكثيرون يسكتون عنها وهي أن المرأة تشكل قوة من هذه الناحية"²³³. ويقول شاكر النابلسي "وبما أن أهم القرارات تتخذ دائما في الخفاء، أي في مخادع النوم، فإن المرأة من هذه الناحية اكتسبت قوة وسلطة"²³⁴.

ملیكة كینا، صورة المرأة في خماسية "مدن الملح"، 12/5/15، www.aljabriabed.net/n98_10makika.htm عبد الرحمن منيف، مدن الملح - الأخدود، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص: 85.

عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى هموم وآفاق الرواية العربية، دار الفكر الجديد 1992، الطبعة الأولى، ص245. المصدر نفسه.

فتمارس الوجوه الموجودة المختلفة للمرأة في مدن الملح في شتى صورها في جميع عوالم الرواية، وهي :

- إن وضع المرأة في مدن الملح - الخماسية وفي كل العوالم بما فيها البداوة والوافدين والقصر ما زالت سجينة الدور الاجتماعي والتقليدي.
- إن صورة المرأة في عالم البداوة تعتمد على معاني الأمومة والتضحية.
- وضع المرأة في عالم الوافدين تعتمد على المال والسلطة، وهي صورة المرأة الجسد والمرأة العقل.
- وضع المرأة في عالم القصر هو صورة المرأة الفرج وصورة المرأة العقل. وهو ذات مكانة عالية لدى القصر والسلطان.
- حضور المرأة في الرواية يعطي صورة بانورامية لوضع المرأة العربية تلك الحقبة، التي لا تزال تعاني من التخلف السياسي والتدهور الاجتماعي.

المبحث الثامن: القمع من جهة السلطة

"نقرأ في إبداع عبد الرحمن منيف ملامح المثقف العربي التنويري في أكثر أشكاله خصبا واتساعا، ذلك المثقف الذي كان يبدأ الكتابة بنقد السلطة السياسية ويواجهها ببديل اجتماعي مستقبلي، على مبعده عن مثقف سلطوي يؤثر الحياد ويتطور من السياسي، ويفتش عن مصلحته الفردية المقدسة"²³⁵.

" فحين شعر الإنسان بقوته، بتفوقه، بدأ بتحويل المياه إلى مجاريه، وبعدها تتدفق المياه والخصب، تتولد الملكية، ولما يبلغ الإنسان هذه المرحلة يصبح شديد القوة وشديد العتو، وشديد التعاسة أيضاً، لأن كل الأشياء لها مقياس أساسي، وبعض الأحيان وحيد: ماذا يستطيع أن يفعل بنفسه وبالأخرين من أجل تعزيز قوته، ومن هنا تبدأ التعاسة لأنه يصبح مغلقاً ووحيداً بمعنى ما، ولأن وصفاً مثل هذا يتطلب الحماية والزيادة والدوام، وبالتالي يتطلب إسكات الأصوات المعارضة أو حذفها، ولذلك ينشأ الإضطهاد والقتل وينشأ

الخوف لدى المالك والملوك. خوف الممالك على ما لديه وخوفه من الذين لا يملكون من قوة المالك وبطشه، وينشأ الصراع ويتطور، إلى أن يصل إلى حد وينفجر"²³⁶.

المبحث التاسع : مسألة الديمقراطية

"ولأن الديمقراطية ليست حلا سحريا ولا هبة من السماء، إنها الوسط الذي يرسخ العقلانية، عقلانية المثقف والمجتمع ، ويسمح بمناقشة مختلف القضايا لبلوغ افضل الحلول ، وهي الصيغة التي تخلق توازنا تفرضه الحاجة والضرورة، هي حوار يستدعي عدم احتقار الأنا وإلغاء الآخر، هذا ما سيولد الوعي الديمقراطي حسب مضمون الكتاب الذي ألفه عبد الرحمن منيف سنة 1991 الموسوم الديمقراطية أولا، الديمقراطية دائما، ثم ولأن منيف عاش فترات متباينة في عدة مناصب عايش المنفى عن كثب وبعمق، استطاع أن يدلي بأرائه ويكشف عن موافقه المختلفة تجاه العديد من القضايا الفكرية والنقدية والسياسية والتاريخية واللغوية الحاسمة في المجتمع العربي الراهن عبر محاضرات ولقاءات وندوات كانت تجمعها بجامعة الدارسين والطلاب الجامعيين المهتمين بأفاق الرواية العربية المعاصرة، أمثال: حليم بركات ، يمنى العيد، فيصل دراج، كمال عيد وغيرهم، وقد نشرها في عدة مجالات : مجلة الحرية ، مواقف بيروت والطريق"²³⁷.

المبحث العاشر : صورة البيع والشراء

ويوجد في الرواية ، في الجزء الأول - التيه خاصة تصوير البيع والبيع ومجيء القوافل الى الوادي. أما إذا جرت عمليات البيع والشراء، فإن أهل الوادي يفضلون أن تجري بسرعة ودون مساومات أو إكراه ، "لأن المساومات إذا جرت ينظرون إليها باستغراب مشوب بعدم الثقة وعدم التصديق، خاصة إذا التقى رجال قافلتين وبدأت تلك المفاوضات القاسية الطويلة والتي يتخللها الكثير من مظاهر عدم الرغبة في الشراء ، أو الاختلاف الكبير فيما يعرضه المشترون وما يطلبه البائعون، حتى إذا انتهت تلك

²³⁶ من عبد الرحمن منيف الى فيصل دراج، من أجل علم جمال المضطهدين، مجلة بدايات: فصلية تكافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥.

²³⁷ عبد الرحمن منيف ، الكاتب والمنفى، هموم وأفاق الرواية العربية، دار الفكر الجديد، بيروت، 1998.

المفاوضات بشكل مفاجئ، والاثمان والشروط التي حددها المشترون ووافق عليها البائعون، بدت مظاهر الاستغراب، وبعض الأحيان صرخات عدم التصديق أو الاستنكار، لكن الضحكات التي تملأ وجوه الطرفين، والتي تدل على الرضا ، تدفع بعض رجال الوادي لأن يقول : هؤلاء التجار شياطين في ثياب بشر، لأنهم لا يعرفون الحلال ولا يخافون من الحرام²³⁸.

ولأهل الوادي، وصول القوافل فإنه يعني وصول عدد من الغنبيين الذين طال انتظارهم ، إضافة إلى ما تحمله القوافل من الأرزاق والأخبار وروائح الأمكنة البعيدة ، فيشتري الناس في هذه الأيام أكثر مما يفعلون في الأيام الأخرى، ويعرفون أو يقدرّون الصعوبات الجديدة التي قد تواجههم نتيجة ثبات الأسعار أو تغييرها.



الفصل الرابع

العناصر الإقتصادية

- المبحث الأول : مفهوم الاقتصادية
- المبحث الثاني : عناصر المشكلة الاقتصادية العامة
- المبحث الثالث : العولمة الاقتصادية
- المبحث الرابع : الأوضاع الاقتصادية الأولية في المجتمع البدوي
- المبحث الخامس : الإنعاش الاقتصادي في بداية عصر الحديث
- المبحث السادس : البدو بعد ظهور الثروة النفطية
- المبحث السابع : النفط ومدن الملح
- المبحث الثامن : رأي أهل وادي العيون عن المال ومجيء الأمريكين.
- المبحث التاسع : دور نائب شركة النفط
- المبحث العاشر : صورة المنح الاقتصادية
- المبحث الحادي عشر: صورة تصريف الأموال لدى البدو
- المبحث الثاني عشر : المساعدة المالية
- المبحث الثالث عشر: الأزمة الاقتصادية

الفصل الثالث : العناصر الاقتصادية

المبحث الأول : مفهوم الاقتصادية

هي احد العلوم الاجتماعية الذي يهتم أساسا بالطريقة التي يختار بها المجتمع أو يوظف موارده الإنتاجية النادرة لتحقيق أهدافه الاقتصادية المتعددة . وقد جاء في لسان العرب : "القصد في الشيء :خلافًا لإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة :ألا يسرف ولا يقتّر، يقال :فلان مقتصد في النفقة"²³⁹. أمّا مجَمَع اللغة العربيّة فقد عرّف كلمة 'اقتصاد' بقولهم الاقتصاد : " هو علم يبحث في الظواهر الخاصّة بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك، ويكشف عن القوانين التي تخضع لها"²⁴⁰. وجاء تعريفه في 'الموسوعة العربيّة الميسرة' بأنّه هو العلم الذي يبحث في شؤون إنتاج الثروة وإشباع الحاجات الماديّة لدى الأفراد. فالمشكلات الاقتصادية في عصرنا تحتلّ مكان الصدارة بالنسبة لغيرها من المشكلات، لأنّ الناس شغّلوا بمعركة الخبز، ولقمة العيش، حتى "أصبح العامل لاقتصادي أبرز العوامل في قيام الحكومات أو سقوطها، ونجاح السياسات أو إخفاقها، واشتعال الثورات أو خمودها، وكثير من حروب العصر الدائرة في قارّات العالم الآن تكون ذات طابع اقتصادي"²⁴¹.

المبحث الثاني : عناصر المشكلة الاقتصادية العامة

ولا شك أن لكل عصر مشاكله الاقتصادية الخاصة به وكذلك لكل بلاد وقطر من الأقطار همومه الاقتصادية إلا أن بصمات المشكلات الاقتصادية في المجتمع العربي وضحة للجميع كذلك أزماته التي يعاني منها المجتمع قد تعددت في أشكال شتى.

■ الحاجات : الحاجات لدى الإنسان كثيرة ومتنوعة ومتعددة كلما ظهرت حاجة وأشبعت ظهرت حاجه أخرى، لأن حاجات الإنسان كثيرة ومتجددة.

239 لسان العرب، جزء 11 ، ص 179، 180.

240 المعجم الوجيز، ص 503.

241 د/ يوسف القرضاوي. دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية.

- تنمية البلاد : الحاجات لدى الدول لمواصلة السياسة ولإستمرار الحكومة.
- الندرة : الموارد متوفرة ولكن بكميات قليلة والتي لا يمكن أن تفي بجميع الاحتياجات.

الحل للمشكلة الاقتصادية العامة

- الاختيار : من خلال التصرف الرشيد بأن تحقق أقصى إشباع ممكن في ظل ترتيب الاحتياجات الأهم فالأهم.
- التضحية : أي التنازل عن حاجات غير مُلحة للحصول على حاجات مُلحة.

المبحث الثالث : العولمة الاقتصادية

فإنَّ للعولمة دوراً كبيراً في استقطاب رؤوس الأموال في دول العالم الثالث، وجلبها وجذبها عبر وسائل الإقناع، لرصد أموالها في الأسواق العالمية في دول المركز "وقد نوّه لذلك علماء الاقتصاد العالمي، إذ جاء على لسان جورج سروس - أحد أقطاب الاقتصاد الغربي : " إنَّ العولمة أدَّت إلى انتقال رؤوس الأموال من الأطراف، هنا يقصد الدول النامية إلى المركز، يقصد الدول الغربية وقد تبنَّى جون ستحلتر - خبير الاقتصاد السابق في البنك الدولي - نفس الرؤيا والفكرة"²⁴²

ومع أنَّ كثيراً من المحلِّين الماليين والاقتصاديين كانوا ينادون بخطر اندماج المال العربي والإسلامي بكلِّيته في الأسواق العالمية البنكية، ولكن بدون استماع أو انتباه، وحينما حصلت الكارثة والأزمة المالية العالمية المعاصرة، فإنَّ خسائر الأموال العربية في الخارج جرَّاء تلك الأزمة - طبقاً لتقدير جامعة الدول العربية 2400 - مليار دولار، وخسر العرب أكثر من 40 % من ثروته المغتربة في ديار الغرب، وكما يُقال : على نفسها جنت براقش !

" لقد وصفَ الدكتور علي عقلة عرسان نتائج العولمة بأسلوب أدبي حين يقول : وهكذا نجد أنّ العولمة تفسح المجال واسعاً أمام أصحاب رؤوس الأموال لجمع المزيد من المال، على حساب سياسة قديمة في الاقتصاد كانت تعتمد على الإنتاج الذي يؤدي إلى تحقيق ربح، بينما اليوم فالاعتماد هو على تشغيل المالفقطنون مغارم من أي نوع؛ للوصول إلى الاحتكار الربح"، إنها مقولة تلخص إلحدّ ما بعودة 'شايوك' المرابي اليهودي التاريخي محملاً على أجنحة المعلوماتية والعالم المفتوح لسيطرة القوة المتغطرسية، وعودته المدججة بالعلم والتقنية - تقلب القاعدة القديمة القائلة: إنّ القوي يأكل الضعيف، إلى قاعدة جديدة عصرية عولمية تقول: السريع يأكل البطيء، وسمكالقرشالمزود بالطاقة النووية ومعطيات الحواسيبوغزو الفضاء يستطيع أن يبتلع الأسماك الأخرى، والصيادين الذين يغامرون إلى أبعد من الشاطئ"²⁴³.

كما نلاحظ ونشاهد محاولة التدخّل الأمريكي في السوق السوداني، تتمثل في السيطرة على الاكتشافات البترولية الجديدة بالجنوب السوداني، ومحاولة إبعاد الشركات الصينية والهندية والماليزية عن منافستها، " فقد أثبتت البحوث الجيولوجية في جامعة برلين وجود ثروة نفطية كبيرة في شمال السودان، بالإضافة إلى ما تمّ اكتشافه في الجنوب السوداني وغرب السودان بولاية كردفان، والتي بلغت طاقتها الإنتاجية الآن حوالي 300 ألف برميل يومياً"²⁴⁴.

ومن أبرز تجلّيات التدخّل الأمريكي في مجال الطاقة والمؤثر حتماً في المجال الاقتصادي في الدول الإسلامية، أن يتمّ ربط أسعار النفط - في جميع الدول النفطية - وفقاً لخام 'برينت'، وهذا فيه ظلم كبير لما تنتجه الدول النفطية العربية يومياً من النفط، فالسعودية تنتج ما يقرب من 10 إلى 12 مليون برميل يومياً، والكويت تنتج 3 ملايين برميل، والعراق تنتج 4 ملايين برميل، وربط السعر بهذا المعيار يصبّ في مصلحة الولايات المتحدة التي تشتري 15 مليون برميل يومياً، ومن ثمّ تجبر جميع الدول النفطية-

²⁴³ د. علي عقلة عرسان، رئيس اتحاد الكُتاب العرب، دمشق، 'الأسبوع الأدبي' العدد رقم 602 الصادر بتاريخ 14 / 3 / 1998 ، ص: 19

²⁴⁴ لعمر كمال حمودة، المنشور 'بترول السودان وأمن البحر الأحمر' في 'الشرق الأوسط'، عدد 9172.

التي معظمها عربية - على الانصياع إلى خام 'برينت'، "والتسعير وفقاً لبورصات العالمية بورصة نيويورك بورصة لندن بورصة طوكيو وكلها تتحكّم فيها كبرى الشركات النفطية الغربية مثل: شيفرون، وإيكسون"²⁴⁵.

المبحث الرابع : الأوضاع الاقتصادية الأولية في المجتمع البدوي

وكانت تربية الجمال من المصادر الاقتصادية في القبائل البدوية منذ قديم، فاستطاعت من تعزيز مقومات وجودها الاقتصادي داخل الصحراء خلال تربية الجمال وبعمل التنقل بين المناطق المختلفة والمتجاورة. وللأوضاع البيئية دور هام في تحديد الموارد الاقتصادية التي يعتمد عليها السكان البدوي. يفرق الباحثون بين ثلاثة أشكال رئيسية للبدوة، ويعد العامل الاقتصادي معياراً أساسياً في هذا التقسيم.

وتعد مهنة القنص والصيد من أقدم الحرف التي هي الأساس الاقتصادي للبدوة في شكلها البدائي، ومهنة الزراعة المتنقلة تأتي في الموقع الثاني وأكثر تطوراً، ثم مهنة الرعي، وتربية المواشي التي ترفع البدوة في أعلى مراحل تطورها. "يعتمد سكان البادية الرعي وتربية الحيوان مصدرراً أساسياً من مصادر دخلهم، وتنتشر بينهم أشكال كثيرة لتربية الحيوان، منها تربية الإبل ويعرف مربوها بالبدو الجمالة، وتربية الضأن والمعز ويعرف مربوها بالبدو الغنامة. وتعد تربية الإبل أكثر أنواع التربية قدرة على التفاعل مع الصحراء والمناطق الجافة، وهي تزداد شيوعاً في المناطق ذات الحرارة المرتفعة حيث تكون أحوال المعيشة أكثر صعوبة، والماء أقل انتشاراً. ويلاحظ أن تربية الإبل صارت أقل انتشاراً مما كانت في السابق بسبب وفرة مصادر العيش في المناطق القريبة من المعمورة حيث تنتشر تربية المواشي من جهة، وتتناقص الحاجة إلى الإبل من جهة أخرى بسبب تطور وسائل النقل التي صارت تستخدم على نطاق واسع. ويستفيد سكان البادية من تربية الحيوان في العمليات التجارية التي يقيمونها مع سكان المعمورة، حيث

يقدمون اللحوم والألبان والصوف على اختلاف أنواعها، ويستفيدون من المعمورة، وينالون قسطاً من حاجاتهم منها"²⁴⁶.

ويلاحظ أن ظاهرة البداوة تختلف في انتشارها بين دول الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق والمغرب العربي اختلافاً بينياً، "فهي أكثر انتشاراً في الجزيرة مما هي عليه في العراق والشام، حيث تزداد نسبة السكان المستقرين في المدن والمناطق الحضرية الذين زالت عنهم صفة البداوة من حيث كونها نشاطاً اقتصادياً، ومن حيث كونها تنظيمياً اجتماعياً، وصار السكان فيها يتميزون بأعمالهم، ومهنتهم ونشاطاتهم الاقتصادية، ولم يعد للانتماء العشائري القوة نفسها الملحوظة في الحجاز واليمن والخليج العربي"²⁴⁷ التي يظهر فيها التنظيم الاجتماعي للبداوة حتى بين سكان المدن والمراكز الحضرية، ويميل فيها البدو إلى الاستقرار والانتقال من مرحلة البداوة إلى شبه البداوة.

"ولعل ما يميز المجتمع البدوي عن غيره من المجتمعات كونه يعتمد على الأرض في استدامة الحياة، ويتسم بالبساطة الاجتماعية والاقتصادية والتي ترجع إلى قلة الفروق بين أفرادها وقلة الحاجات المادية والتي لا تتعدى الضرورات الأساسية كالغذاء والملابس"²⁴⁸.

"بيد أن التغيير في الأساس الاقتصادي للبداوة يبدو أكثر سرعة من التغيير الملحوظ في أساسها الاجتماعي، لذلك تنتقل البداوة في أشكالها الاجتماعية إلى مناطق الاستقرار والمراكز الحضرية، ويلاحظ أن العلاقات العشائرية من تنافس وصراع وتحالف تنتشر أيضاً بين البدو الذين أخذوا بمظاهر الاستقرار غير أن أدواتهم ووسائلهم صارت مختلفة تماماً، وهي أضعف بكثير مما كانت عليه في السابق، خاصة مع ظهور الدولة التي أخذت تمد سيطرتها على كل بقعة جغرافية ضمن حدودها، ولم يعد للعشائر سلطة مباشرة تمارسها على أفرادها أو خصومها إلا بمقدار ما تسمح به السلطة من نفوذ ضمن إطار قانون الدولة. ومع ذلك فالتغيير الاجتماعي يمس بنية العلاقات الاجتماعية ضمن السلطة،

الموسوعة العربية ، البداوة: 10/09/15 www.arab-ency.com/ar/on

246

المرجع نفسه.

247

الحسن، احسان محمد: موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات.

248

كما أن التنوع السكاني في التجمعات الحضرية والانفتاح نحو الآخر هما من العوامل التي تقوض البداوة وتهدد مستقبلها²⁴⁹.

الرواية مده الملح في مجموعتها الخمسة، صورة دقيقة ومتأنية للمجتمع البدوي، واستعارة تكشف ثورة المجتمع والاقتصاد والسياسة التي تبعت ظهور النفط، وزعزعة التوازن بين الإنسان والطبيعة. فالصدام بين الدول العربية الغنية والفقيرة وتواطؤ بريطانيا العظمى والولايات المتحدة لضمان نفوذهم في المنطقة. فالطبيعة وإيقاع الحياة البدوية آخذان في التلاشي وكذلك الأخلاق وكرامة أهلها وأساليبهم للحفاظ على الماضي وتراثه.

المبحث الخامس : الإنعاش الاقتصادي في بداية عصر الحديث

وفي بداية تطور الدول العربية كان معظم المزارعين والرعاة من البدوي، ولكن العمال في مجال الأخرى مزيج من البدو والحضر وهم عماد الأنشطة الاقتصادية التي اعتمدت عليها بعض الدول في عالم العربي. ويظهر دور البدو في الجانب الاقتصادي المرتبط بالمدينة في ازدهارها وتطورها، منذ القرن الثامن عشر. وكانت مشاركتهم في الجانب الاقتصادي للمدينة تتمثل في تنميتهم للاقتصاد المحلي ويتحقق ذلك من خلال ما يحضرونه معهم من ماشية وغيره عند دخولهم أسوار المدينة حيث تجري المعاهدات التجارية بينهم وبين أبناء المدينة.

وقد كان أبناء البادية يجيئون إلى مدينة للمشاركة في موسم الغوص كما كان أبناء المدينة يزودون بما لديهم من المنتجات للقبائل المنتشرة في الصحراء فأسواقها تعمر بما يجلبه تجار المدينة من مصنوعات البدو وبما يبيعه البدو من هذه المنتجات في كل عام حيث كانت الباب الوحيد لحصول البضائع من الهند وشرق أفريقيا والشام.

المبحث السادس : البدو بعد ظهور الثروة النفطية

ومن أحد أهم العوامل الحاسمة في توطين البدو والقبائل العائدات النفطية لأنها كانت تمثل المصدر القوي الذي مكن السلطة من إيجاد التمويل لمشاريع التوطين والتحسين التي استوعبت البدو في المدن والعواصم. وكان لظهور النفط تأثير كبير على نمو الدولة خاصة بعد دخول عدد كبير من القبائل في إطار المجتمع المدني في محاولة للإندماج الكلي ، فتوطين البدو في العالم العربي بدأ في أوائل الستينات من القرن العشرين. فبعد ظهور النفط كثرت هجرات البدو إلى داخل المدينة وانتشروا في مناطق المدنية، حتى أدت إلى تغييرٍ وتقدم واضحٍ في شكل التركيبة السكانية للدولة. وكانت ظاهرة جديدة على الحياة الاجتماعية في عالم العرب.

وقد انقسم البدويون في معظم بلدان العرب، بعد ظهور النفط إلى مجموعتين. المجموعة الأولى كانت شبه مستقرة واعتمدت نشاطها الإقتصادي على الرعي والزراعة وسكنت القرى والأطراف، والمجموعة الثانية وافقت على التنقل الدائم فاستقر جزء من هذه المجموعة قرب حقول النفط، ثم استقرت في مناطق قرب المدينة. شارك البدو أبناء المدينة في وظائف الحكومة بعد دخول البدو إلى مجتمع المدينة إثر ظهور الثروة النفطية، حيث كان منهم الفراشون والجنود والحراس ورجال الشرطة والعمال في المكتبات مدنية لاسيما في شركات النفط .

هكذا مارس البدو دورهم في جوانب الحياة المختلفة داخل المدينة وأصبحوا مواطنين فيها. وهذا أدت إلى تحسين حالهم الاقتصادي. "وعند تكوين المؤسسات كخطوة لبناء الدولة الحديثة في بداية الخمسينيات من القرن العشرين والتي تزامنت مع دخول البدو وهجرتهم التي تلت الثروة النفطية في الكويت، كان لهم بروز في هذا المجال حيث أن فرص العمل التي تتطلبها تلك المؤسسات تستدعي المزيد من العمالة، فلما كانت فرص العمل هذه تتصادم مع نمط حياتهم البدائي القائم على التنقل كما إنها تتنافى مع مستواهم الثقافي والتعليمي فقد تمكن البدو من تخطي تلك العقبات و ذلك بالإستقرار انسجاماً مع الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الكويت، وبالتالي فإن هذا الإستقرار وفر

لهم وضعاً أفضل والحقيقة أن هذه المرحلة من حياة البدو تعتبر مرحلة مفصلية إذ إنها تتطلب منهم التكيف الاجتماعي من خلا التعامل مع المجتمع الحضري المستقر في بقعة جغرافية محدودة.

وكخطوة من خطوات هذه التكيف بدأوا بالعمل ضمن مجالات تتفق وقدرتهم التعليمية ومهاراتهم فعملوا في شركات النفط في مهن شبه فنية مثل التنقيب والصيانة كما عملوا كسائقين وحراس فكان استقرارهم قرب حقول النفط في عدة مناطق وما لبثوا أن انخرطوا في سلك الوظائف الحكومية التي تتماشى وقدراتهم²⁵⁰.

وقد إندمج البدوي في مكونات المجتمع مع ظهور الثروة النفطية في الستينيات من القرن العشرين، إلا أن البدو لازالوا يشكلون فئة لها حالة خاصة في المجتمع متمسكة بالعصبية والميولية. "وهناك من يرا أن عدم الإندماج الكلي للبدو داخل مجتمع المدينة إنما يعود إلى كونهم بالأصل هاجروا على شكل تكتلات ذات نظام إجتماعي معين"²⁵¹. لكن على الرغم من ذلك نجد دوراً فاعلاً للبدو في مجتمع المدينة منذ البواكير الأولى لنشأته.

المبحث السابع : النفط ومدن الملح

وإذا كانت الرواية 'النهايات' تقدم بالأساليب التقليدية الصحراوية التي ستجيب في مدن الملح، فإن الموضوع الذي في رواية مدن الملح هو مجيئ امراطورية النفط، يناقش الأمريكية التي ستمحو تلك التقاليد من حيات العرب. تعالج الرواية عمليات التحولات الاجتماعية التي تفاعلت مع اكتشاف النفط. وتحاول الأشياء التي حدثت بعد إستخراج النفط من الرمال وتسلب الضوء على الحياة البدوية والصراع الطبقي والنقائل على الثروة في مدن أكثر من حديثة. وهي تصور الثروات النفطية على أنها الشر والفساد والضعف الإنساني.

الحداد ، محمد وآخرون: تراث البادية ، الكويت، 1986ص. 86
251
خلف، عبد المالك تميمي، أبحاث في تاريخ الكويت، دار قرطاس للنشر، الكويت، 1998

ومحور مشكلة مدن الملح هي النفط. وهي ليست مشكلة ثروة فقط، إنها تغيير كامل في وضع المنطقة العربية، خلال الثلاثين أو الأربعين سنة الأخيرة. في رأي منيف منذ أن أصبح النفط الثروة التي تعتمد عليها الدول المنتجة، حدث انكسار عميق يفرق بين مواطني هذه الدول ومواطني البلدان المجاورة غير النفطية الذين يتوقعون أنهم سيستفيدون من هذه الثروة بطريقة أو أخرى.

وحين تباشر جرارات الأمريكيين الصفراء، أخيراً، اقتلاع أشجار الواحة وتمزيقها، يختفي متعب، وهو شخصية هامة في الرواية، على ظهر بعيره في عمق الصحراء، داخلاً عالم الأساطير بوصف شخصية أسطورية في الوعي الجماعي، ثم يتحرك المشاهد إلى بلدة حران الساحلية حيث يكون الأمريكيون بحاجة إلى بناء ميناء ومد خط أنابيب إلى الآبار التي حفروها. وهناك يجري إغواء البدوة المقتلعين من جذورهم بأن يصبحوا عمال بناء مستغلين مع تولي الأمير رئاسة عملية نمو بلدة، ومجتمع طبقي.

مدن الملح بدأت من عالم التحت هو وادي العيون، موران، حران، حيث يلتمس أثر الحدث النفطي على حياة البشر العاديين، وكيف يعيد النفط تشكيل حياة الناس، ومن ثم لاحقاً تشكيل السلطة. يقول منيف: "أنني كروائي، وإزاء التعقيدات الكبيرة والخطيرة، والتي لها جذور في الماضي، وجدت أن معالجة الوضع القائم حالياً يقتضي مني أن أدرس تاريخ هذه المنطقة، وأن أتابع تطوراتها، وأن أرصد انعكساتها. وباعتباري من أبناء هذه المنطقة وأحد ضحاياها. وبحكم دراستي لاقتصاديات النفط، وعملي لسنوات طويلة في هذا الحقل، ولأنني لم أجد بعد الصيغة السياسية التي من شأنها أن تحدث أو تساهم في التغيير، فقد وجدت الرواية الصيغة الأكثر ملاءمة لقراءة المجتمع قراءة متأنية وموضوعية، وفنية أيضاً، وهذا دعائي إلى كتابة مدن الملح"²⁵² بأجزاءها الخمسة لكي تكون إحدى القراءات التي تساعد في فهم مجتمع في مرحلة هامة من مراحل تطوره.

و مدن الملح ، تضع أمام القارئ نظرة شاملة إلى بيئة البلد، ونظامه الاجتماعي الاقتصادي، وأجهزته السياسية وثقافته ولغته. فيكشف كاتبها عن التوترات التي نشأت بين الأفراد والمجتمع الذي خلقه النفط.

فإن رواية مدن الملح قد ألفت أضواء كاشفة، غير مسبوقة، على مرحلة مهمة في تاريخ العالم العربي الحديث، المرتبط باكتشاف النفط. فهو ، إذ يتحدث عن الجزيرة العربية وعن صحرائها المجدبة، التي كانت تخزن بحرا كبيرا من النفط من دون أن يعرف ذلك أسيادها الأول، فانه لم يحصر استنتاجاته حول ذلك الحدث التاريخي بالمملكة العربية السعودية، بل تجاوزها الى العالم العربي برمته. ذلك أن اكتشاف النفط الذي جعل بلدنا مالكة لتلك الثروة الضخمة ، وحولها من حالة البداوة الى ما يشبه حالة الحضارة ، كان هذا الاكتشاف ، في واقع الأمر، مصدر نقمة على هذه البلدان، بدلا من أن يكون مصدر نعمة. إذ هي تقدمت في الغني ، وظلت فقيرة ، عاجزة عن تحويل تلك الثروة الى قوة تقدم حقيقي ، بالمعاني التي يرمز اليها ويوحى بها مفهوم التقدم.

المبحث الثامن : رأي أهل وادي العيون عن المال ومجيء الأمريكين.

- سكان وادي العيون يرغبون عن الجانب الأميركيين. وهذا يظهر من محادثاتهم مع الأمير:
 - ابن الراشد : أنت تعرف، ياطويل العمر: المال ما هو كل شيء في هذه الدنيا، قبل المال : العرض، الأخلاق، العادات التي تعودنا عليها ...
 - متعب الهذال : الله يخزيهم .. ما نريدهم ولا نريد مساعدتهم.
 - الأمير : ولكن حنا نريد مساعدتهم ، وأنت إذا كنت لا تريد فأرض الله وسعة.
 - ابن الراشد : وأية مساعدة.. يا طويل العمر؟
- : هم ما يريدون أي شيء، حنا طلبناهم وجاءوا لمساعدتنا.

▪ الأمير : تحت أرجلنا ، يا ابن الراشد ، بحار من النفط ، بحار من الذهب ، جاءوا ليخرج النفط والذهب. من يدرينا لولا مساعدتهم ؟ هم قالوا لنا: تحت هذه الأرض بحار من الخير، ولأنهم يحبون الخير²⁵³.

ويتذكر الناس ما قالته نجمة امرأة من وادي العيون عن الأميريين الأجبيين: "ابن الحرام يأكل ماله ومال غيره وما هو جايح. اللي يقول الصدق مهبول ومن الكثيرين مردول، والكذوب صوته يملأ الدروب وأخباره من ديرة لديرة تجوب"²⁵⁴.

المبحث التاسع : دور نائب شركة النفط - ابن الراشد

ولما وصل الأميركيون الى وادي العيون عيّنوا شخصا من سكان الوادي نائبا لشركتهم هو ابن الراشد، فبدأ شخصا مختلفا، وبدأ أن يعمل للأجانب، "ربما نتيجة تعليمات مشددة من قبل الأمير، نقلها اليه. فبالغ ابن الراشد حتى في الحديث والتصرف"²⁵⁵. "ومثلما فعل ابن الراشد في وادي العيون فإنه جمع رجال حران وبدأ: - ابشروا يا جماعة الخير، الخير جاءكم، والله سبحانه وتعالى فتح عليكم أبواب السماء وانشاء الله بعد تعبكم وشقاكم ترتاحون، هذه الشركة شركتم، جاءت لمصلحتكم ولخدمتكم وهي تريد مساعدتكم ولازم تساعدها ، أما بخصوص التعويض المستحق لكل منكم فابشروا ان شاء الله ما تكونون الا راضين"²⁵⁶.

خلال الأيام الأولى فكر عدد من العمال أن يتركوا حران، أن يعودوا من حيث أتوا، حالما يتسلمون أجورهم ، "لكن الراتب الأولى الذي دفعه ابن الراشد غير قناعاتهم وموافقهم ، إذ لم يحلم أحد باستلام مثل هذا الراتب، ولم يدخل جيب أي منهم مبلغ مثله، وقد جرى ذلك بطقوس من الصمت والاهتمام كانت أقرب الى الجلال. ففي عصر الخميس الثالث، وبشكل مفاجئ طلب ابن الراشد من الجميع أن يقفوا صفا. كان يقف مزهوا وإلى جانبه دحام المزعل، وما كاد الرجال ينتظمون حتى بدأ ينادي عليهم واحدا

253 عبد الرحمن منيف، مدن الملح - النيه، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص : 90، 91.

254 المصدر نفسه، ص : 164، 165.

255 المصدر نفسه، ص : 38.

256 المصدر نفسه، ص : 180.

بعد آخر، ومن كيس خيش صغير، كان ينتزع كمية من النقوج الفضية. لما أتم ابن الراشد توزيع الرواتب، وتأكد أن الجميع قاموا بعدها، قال انالراتب سوف يرفع في الشهور القادمة، لأن الحسمومات التي تقتطع الآن ثمنا للأكل، سيعاد فيها النظر، ويترك الخيار لكل واحد ما إذا كان يفضل أكل الشركة أو أن يحضر أكله بنفسه، بعد أن يشتري ما يشاء من الدكاكين التي ستقام خلال فترة قريبة²⁵⁷.

الصراع الذي بدأت بوادره في الجزء الأوّل 'التيه' يتصاعد ويتسع في الجزء الثاني 'الأخدود'، بعد أن تم تشييد مدن الحديد والاسمنت، وبعد أن أخذت السلطة تعتمد على القوة والقمع من أجل الإخضاع ثم الترويض. وبسبب تغييب الناس، واقامة حاجز بينهم وبين حكامهم، تصبح الحكومات امتدادا لإرادة الأجنبي ورغباته، وتصبح الثروة ضعفا بدل أن قوة، إذ تبدد على المظاهر والأستهلاك، لا من أجل الاستقلال والإعداد للمستقبل، وهكذا يزداد الشرخ، ويتسع الأخدود، ويصبح المستقبل رهانا على المجهول. وهذا يظهر من أقوال الشخصيات. وهذا بعد أن بدأ النفط يتدفق، وأخذت تصل البواخر إلى حران كل يوم، لتحمل آلاف الأطنان كل ساعة.

فقد قال شمران كلمة استقرت في قلوب الكثيرين: "اسمح لي يا جلالة السلطان أن أقول ما يجب أن يقال: أنت سلطان السلاطين، وأنت هبة الله للعالمين. بمجيئك الخير جاء بعد العذاب والانتظار وبعد ذل السؤال. موران كانت نسيا منسيا، كانت مكانا قصيا، لا يأتيها إلا ضال هارب ولا يبقي فيها الا قوي محارب. أما بعد أن جنّت وجاء الخير، وبعد أن أمسكت بالرمل فتحول إلى ذهب، فلا بدّ أن تفعل الكثير، أن تجعل الأرض غير الأرض والبشر غير البشر، ونحن، يا جلالة السلطان خدم بين يديك تأمر فنطيع، ترغب فنستجيب"²⁵⁸.

عبد الرحمن منيف، مدن الملح - التيه، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص: 183.

المصدر نفسه، ص: 29.

المبحث العاشر : صورة المنح الاقتصادية

ويوجد في الرواية صورة المنح الاقتصادية من قبل السلطة ، للدراسة في الخارج وكذلك التحكم المالي من قبل المدارس. "عندما رتب الحكيم المستشار للسلطان خزعل، زيارة لابنه من أجل وداع السلطان، قرر الجلالة أن تكون دراسة غزوان وتكاليف سفره وإقامته هدية منه، وفي يوم الأخير قبل السفر قال الحكيم لابنه: لا أريد أن أوصيك يا غزوان، أصبحت رجلا وتعرف كيف تتصرف، وإذا كان للعائلة أمل فقد وضعتك فيك، وصاحب الجلالة الذي تكفل بمصاريف دراستك ونفقاتك كلها لن ينسأك، ومع ذلك فهذا المبلغ - دفع اليه مظروفا مغلقا - قد تحتاج إليه وقد يساعدك على نوائب الزمن!"²⁵⁹.

وهذا التحكم يظهر في رسالة من غزوان الى أبيه : " يا والدي العزيز، ولم أشر إلى الراتب إلا بشكل عرضي للغاية ، فقد ذكرت لهم أنني فتحت حسابا في بنك سيتي بيك، وذكرت رقم الحساب ، وعلى فكرة ، يا والدي ، وضعت الألف دولار في حساب غير قابل للسحب إلا بعد سنة، وبهذه الطريقة ستدفع لي فائدة، والجميع يفعلون ذلك هنا، وأمس بالضبط تلقيت من مساعد القنصل رسالة جوابية ابلغني أن السفارة تلقت التعليمات بابتعائي على حساب جلالة السلطان وستقوم بتحويل راتبي الشهري على حسابي في البنك"²⁶⁰.

المبحث الحادي عشر : صورة تصريف الأموال لدى البدو

ولما تطور قطاع النفط ترك معظم العمال البدويين أعمالهم في القطاع المحلي، وتركوا مهنتهم الغوص على اللؤلؤ. حدث هذا لما حصلو على فرص عمل هائلة ذات أجور دائمة من صناعة النفط. نتيجة لهذا، أصرفوا في معاملاتهم بدون أي تحكم في حفظ المال. ولذا يسخر 'هاملتن' منهم.

259 عبد الرحمن منيف، مدن الملح - الأخدود، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص : 149.
260 المصدر نفسه، لبنان، ص : 162.

وقال هملتون لنفسه: " هؤلاء البدو لا يعرفون سوى شيء واحد: المال. المال يدير رؤوسهم، يجعلهم أطوع وأسرع من الماء على منحدر ويحولهم إلى فم لا يعرف غير كلمة واحدة: نعم ، فإذا امتلكوا المال أصبحوا كالكلب على العظام، لا أحد يستطيع أن يقترب منهم ، لا يتركوها ، ولا يعرفون كيف يتصرفون بها، وأخيرا، بعد أن يقبلوا الأموال في أيديهم مئات المرات، بعد أن يضعوها تحت الوسائد ، وقريبا من الصدور ، فإنهم يتركونها تنسب تماما كما تتسرب المياه من اليد لا يفعلون أكثر من شراء بندقية جديدة ، أو يتزوجون امرأة ثانية أو يولمون لمن يعرفونهم ولمن لا يعرفونهم، لكي يأكلوا أكثر مما يطيقون ، فقط ليثبتوا لهم أنهم قادرون على أن يفعلوا ذلك. ولذلك فإن الأموال لا تحل مشاكلهم ، إنها تفسدهم ، تجعلهم أناسا غير ناعين لا للعمل ولا للحرب وليس لديهم مانع أيضا من أن يحاربوا من أعطاهم المال ، حتى لو كان السلطان ، لأنهم يتوهمون أنهم أصبحوا أقوى منه"²⁶¹.

وهذا الظاهرة توجد في صورة بسيطة في معاملات الحكيم عندما كان يسكن في فندق ستراسبورغ في جنيف، مع أنه قد أوصى لابنه لتحكم المال لما خرج إلى الولاية المتحدة للدراسة. "مدير الفندق وموظفوه ، اللذين ارتابوا بالحكيم في الأيام الأولى، فاحتفظوا بجوازات السفر، لئلا يغادرهم دون تسديد الحساب، اعتبروا أن تقديراتهم خاطئة بعد أن وصلت إليه وبسرعة عشرة آلاف دولار، وصلت قبل نهاية الاسبوع الأول، استبقى الحكيم القسم الأكبر من المبلغ لدى الإدارة ، واشترى لسلمى ونفسه مجموعة كبيرة من الثياب، واشترى حقيبتين كبيرتين ، فأعيدت إليه جوازات السفر، مع الاعتذار بأنها استبقيت سهوا، وأصبح يحاسب في نهاية كل أسبوع. ولما تكررت النداءات الهاتفية الى الولايات المتحدة أو منها ، لم يعد موضع شكوك من ناحية ملاءمته المالية. أكثر من ذلك كان لا يُشعر بالحساب الا عرضا وبيع بعض الخجل. ولم يتردد صاحب الفندق في أن يخصه بضع مرات بزهور وضعها له في الغرفة وبسلال من

²⁶¹ عبد الرحمن منيف، مدن الملح - تقاسيم الليل والنهار المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية،الدار البيضاء، لبنان، ص : 114،

الفواكه. وقد سرّ الحكيم من هذه الالتفاتات وقدرها بامتنان. وكرد على هذه المواقف كان يترك للعالمين هدايا مالية، في الغرفة أو في المطعم²⁶².

المبحث الثاني عشر : المساعدة المالية

وفي نفس الوقت هناك نماذج للمساعدة المالية والدعم المالية للفقراء من قبل الأغنياء بموران. "عدد من أغنياء موران القدامى ، الذين تعودوا إخراج الزكاة كل عام، وقد وُجّه لبعضهم اللوم لأنهم لم يتبرعوا إلا بالقليل للمجهود الحرجي، وفضلوا ألا تذكر أسماءهم، أخرجوا الزكاة هذه السنة أيضا، وأضافوا إليها صدقات كثيرة ، كانوا يحرصون على تقديمها بسرية يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع. لقد استمروا يفعلون ذلك مما ساعد في إنقاذ البدو وعدد من الفقراء، لأنهم يحسون أن لقماتهم تصبح مرّة، ولا يمكن ابتلاعها، إذا نام احد من مدينتهم جائعا. وهذا ما جعل بين الناس علاقات يحار الغريب وفي فهمها أو تبريرها، رغم فرق الثروة والجاه"²⁶³.

المبحث الثالث عشر : الأزمة الاقتصادية

وتأتي الأزمة الاقتصادية في عالم الصحراء لتكمّل الأزمة الحضارية العامة، حيث كشفت عن أن الصحراء تعودت على أن تكون سوقاً لاستهلاك ما ينتج في البلدان خارجية عامة وما ينتج في البلدان الغربية خاصة. فهي لأن الصحراء لا تنتج غير النفط، وتستورد بالمقابل ما يمكن لحاجة أو لغير حاجة، إضافة إلى أنها خضعت لمضاربات السماسرة في الصفقة والمتنفذين من رجال السلطة والتجار. فكثرت السرقات والفساد واستفحل النهب المتواصل للمال العام. واعتادت الصحراء في رواية مدن الملح على البذخ والإنفاق وهي في جميع المجالات الاستهلاكية. ولم يفكر أحد في مرحلة ما بعد النفط، في حين اكتملت الأزمة الاقتصادية عندما دمرت قطاعات الإنتاج البلدية قبل اكتشاف النفط، من دون بناء قطاعات بديلة.

عبد الرحمن منيف، مدن الملح - المنبت، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص : 148.
عبد الرحمن منيف، مدن الملح - بادية الظلمات، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص : 529.

262

263

" فألات الحفر لم تأتِ بقيم رأسمالية جديدة، بل أتت بنظام اقتصادي ريعي قائم على الزبائنية، قام بتسيخ منظومة القيم القديمة عبر تحويلها الى فولكور للاستبداد الوهابي والنظام الملكي. لم يجد متعب ملجأ وسط بلبله القيم التي نجمت عن تدمير 'وادي العيون'. انهار عالمه القديم من دون بدائل، وجاء العالم الجديد ليدعم الاستبداد، ويحيل منظومة 'الحرية' النسبية التي كان يتمتع بها أهل الوادي إلى حطام"²⁶⁴.

ومنيف ، يأسف في النظريات الاقتصادية لدى العالم العرب ويأتي إلى رأي نهائي. يقول: "مثلما تبدد الجزء الأكبر من ثروة النفط ، تبدد الجزء الأكبر من الزمن الذهبي الذي كان بمقدوره أن يجعلنا على صلة بالعصر، وعلينا الآن أن نواجه رهانات ما تبقى من عصر النفط، وما بقي من الزمن الذي كان ذهبيا وواعدا. ولأن البادية بالغة السعة، والظلمات تزداد وتتكاثر ، فإن العقل وحده هو الذي يبني أوطانا قوية، ويترك إمكانية لأجيال المستقبل أن تواصل العيش ، وأن تتدارك ما قصرت عنه الأجيال التي سبقتها وإلا... فإن الفناء المادي قد ينتظر أوطانا وشعوبا، واللغات ستكون النشيد الأخير قبل أن يعم الصمت ، وتمتلئ الصحراء بالوحشة مرة أخرى"²⁶⁵.



264 الياس خوري ، بحثاً عن بطل 'مدن الملح'، مجلة بدايات: فصلية ثقافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥.

www.bidayatmag.com

265 عبد الرحمن منيف، مدن الملح - بادية الظلمات، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، من غلاف الكتاب.

الخاتمة

تمت هذه الأطروحة بعون الله الوهاب، ان هذه الدراسة، التي احتوت فيما سبق من الأبواب والفصول والمباحث ، دراسة تحليلية.

قسّم الباحث هذا البحث إلى ستة أبواب ما عدا المقدمة والخاتمة. وهي : عبد الرحمن منيف، سيرته الذاتية و الرواية في الأدب العربي والمجتمع البدوي وتطوراته، واكتشاف النفط في العالم العربي والعناصر الاجتماعية في إبداعات منيف ، دراسة أعماله المختارة مختارة والعناصر الاجتماعية والاقتصادية في رواية مدن الملح.

قام الباحث في الأبواب الثلاثة الأولى، بدراسة حياة منيف وآثاره والمواضع التي تؤدي إلى هدف المنشود بهذا البحث، وهي : مكانة الرواية العربية في العصر الراهن والمذاهب الجديدة في الرواية الحديثة ، وتطورات المجتمع البدوي في مجال أسلوب الحياة ومجال السياسة ومجال التصرفات المالية واحتفاظ البيئة في مناطق سكان الصحراء.

والأبواب الثلاثة الأخيرة من أهم المباحث في هذا البحث. تناول الباحث فيها العناصر الاجتماعية وهي المشاكل التي عاناها المجتمع البدوي والعربي مع بداية اكتشاف النفط وما بعده. وعرض فيها على التغيرات التي حدثت في جزيرة العرب، وعلى صورة تصرفات الأموال الطائلة من قبل السلطات نتيجة لكثرة الناتج المحلي الإجمالي. وقام فيها بدراسة كيفية التطور الاقتصادي، واحتلال الأمريكيين على أرض الصحراء. وتناول الباحث ثلاث روايات للدراسة والتحليل وهي رواية 'الأشجار واغتيال مرزوق' و'قصة حب مجوسية' و'النهايات'. وهي روايات التي ناقش فيها منيف معانات الشبان العربي وقضايا الاجتماعية مثل 'الشرق والغرب'، و'اشكالية الذات والآخر'، والإيذاء في السجون، وانتهاك حقوق الإنسان. وحلّل الباحث رواية مدن الملح تحليلاً دقيقاً، هي الهدف المنشود بهذا البحث.

نتائج البحث

ومن أهم نتائج البحث:

- ان 'مدن الملح' رواية جديدة تنفتح على الأصناف الروائية الأخرى وعلى شتى الأساليب والتقنيات الروائية الفنية السيكولوجية واستخدام أنواع السرد مثل الذاتية والموضوعية والواقعية السحرية.
- ويحاول منيف أن يخلق تاريخ مواز للتاريخ الرسمي المدون، ويسعى إلى تصوير الصراعات التاريخية، والتغيرات المادية الاجتماعية والتغيرات الاقتصادية.
- والرواية تُعبّر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي شخصيا بأماكن الأحداث قبل اكتشاف النفط، وبعد أن ساهم النفط بحدة في تحديد السياسات الجغرافية السياسية للمنطقة.
- ان الفكرة الرئيسية في 'مدن الملح' هي فكرة التحول التاريخي من النظام العشائري إلى النظام الرأسمالي.
- الكاتب لا يحدد أمكنة بعينها، ولا يسمى مدنا بالذات، بل يلمح إلى الأمكنة وتظل أسماؤها مبهممة ملتبسة.
- تحتل حياة البدو والنفط والصحراء حيزا هاما في الرواية، وقد عبّر الكاتب عنها رفضا وقبولاً.
- الرواية تناقش التغيرات المفاجئة التي قام بها الأجنبي بحثا عن النفط.
- ان موضوع رواية 'مدن الملح' غني بمشاكل أساسية عاناها العرب فترة طويلة، وماتزال هذه المشكلة حية باسم النفط، وهي ليست مشكلة ثروة فقط، إنها تغير كامل في وضع المنطقة العربية.
- ان رواية مدن الملح، صوّرت بديقة التحول العجيب الذي تسلط على منطقة الشرق الأوسط من جراء اكتشاف النفط فيها، ونقل حياة الناس نقلا مفاجئا عنيفا من البداوة إلى مسخ الاصطناعي والوهم.

- الأحداث الهامة في 'مدن الملح' هي: القمع في مواجهة الحرية، والتخلف في مواجهة التقدم، والاستهلاك في مواجهة الإنتاج.
- الرواية تُظهر توافق بريطانيا العظمى والولايات المتحدة على ضمان نفوذهم في المنطقة.
- ان 'مدن الملح' تنقل رسالة : "مثلما تبدد الجزء الأكبر من ثروة النفط ، تبدد الجزء الأكبر من الزمن الذهبي الذي كان بمقدوره أن يجعلنا على صلة بالعصر، وعلينا الآن أن نواجه رهانات ما تبقي من عصر النفط، وما بقي من الزمن الذي كان ذهبيا وواعدا. ولأن البادية بالغة السعة، والظلمات تزداد وتتكاثر ، فإن العقل وحده هو الذي يبني أوطانا قوية، ويترك إمكانية لأجيال المستقبل أن تواصل العيش ، وأن تتدارك ما قصرت عنه الأجيال التي سبقتها وإلا ... فإن الفناء المادي قد ينتظر أوطانا وشعوبا، واللغات ستكون النشيد الأخير قبل أن يعم الصمت ، وتمتلئ الصحراء بالوحشة مرة أخرى" .
- 'مدن الملح' مدن اصطناعية تبرز بين ليلة وضحاها، منتفخة مثل بالونات على وشك الانفجار والإضمحلال في لحظة مدن لا استقرار لها، مثل الملح تماما، وهي المادة الأساسية لضمان الحياة الطبيعية والقادرة أيضا على اتلاف البيئة ان زيد الملح.
- ويرى منيف أن تطور المدن التي ظهرت خلال سنوات قليلة في الخليج العربي، وخاصة السعودية مشيرا إلى أنها خُلقت من لا شئ وفي اللامكان ولذلك ستبقى وتعيش ما دام النفط موجودا، ولكن ما مصيرها إذا جفت الآبار وانقطع سيل الدولارات إنها ستذوب.
- فيعلن منيف خطورة الوضع في الجزيرة العربية، متسائلا، ما مصير المنطقة بعد نضوب النفط ما مصير هذه المدن وهؤلاء الناس الذين يعيشون في أبراج من الإسمنت والزجاج بعد انقطاع التيار الكهربائي ، وبعد مغادرة مئات ألوف الأجانب؟

- الكاتب يقدم الرواية كإنذار أخير قبل حدوث الكارثة، وهو يصور الأحداث كدعوة من أجل التغيير لما يحدث من انتهاك حقوق الإنسان في المنطقة.
- بالإضافة إلى التوتر النفسية لبعض الشخصيات، فإن النفط أثر في البنية الجسدية لأبناء الصحراء العربية.
- ان رواية 'مدن الملح' في مجموعتها صورة دقيقة ومتأنية للمجتمع البدوي، وهي تكشف ثورة المجتمع والاقتصاد والسياسة التي تبعت ظهور النفط، وزعزعة التوازن بين الإنسان والطبيعة.
- والرواية تريد أن تقول ان مجيء الأجنبي واكتشاف النفط أدّى إلى تلاشي الطبيعة وإيقاع الحياة البدوية، وكذلك الأخلاق وكرامة أهلها وأساليبهم للحفاظ على الماضي وتراثه.
- وفي نهاية الرواية، توضح الأحداث الحنين إلى الطبيعة بقوة حيث فرّ الناس من 'موران' التي تحولت إلى سجن كبير.
- وأخيرا يرى الباحث أن باب البحث في هذا المجال مايزال مفتوحا ويحتاج إلى دراسات أخرى مثل التاريخ الموازي وقتل الطبيعة.



المصادر والمراجع

الكتب العربية

1. محمد القشعوى ، ترحال الطائر النبيل ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت، لبنان، 2003.
2. عبدالرحمن منيف 2008 ،المركزالثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009.
3. بين الثقافة والسياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي، بيروت / دار البيضاء 1999.
4. عبدالرحمن منيف، جبرا ابراهيم جبرا، عالم بلا خرائط، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الخامسة ، 2007 .
5. عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان.
6. طارق على ، وداعا يا عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص : 487.
7. شاكرا النابليسي، مدار الصحراء ، ص 367، 368.
8. عبد الرحمن منيف بين هم الابداع الروائي ومأساة السياسة وأكذوبة التاريخ، الأستاذة بعبو نورة، جامعة تيزي وزو
9. طه وادي، الرواية السياسية ، 1994، القاهرة، در النشر للجامعات المصرية .
10. أنيس مقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، الطبعة الرابعة، 1984، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
11. د/ ابراهيم السعافين، تطور الروايات العربية الحديثة في بلاد الشام - 1870 - 1967م.
12. مصطفى عبد الغني ، الاتجاه القومي في الرواية ، المجلس الوطني للثقافة، 1994.

13. د / سهيل ادريس ، محاضرات عن القصة في لبنان ص 5 معهد الدراسات العالية القاهرة 1978.
14. جورج زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ج 4 ص 572- 573، دار مكتبة الحياة بيروت 1972.
15. عبد الرحمن منيف، ذاكرة للمستقبل، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان.
16. لمحة عن ظهور الرواية ، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابع، شتاء ، 1391
17. عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى ، 2001 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
18. الدكتور السيد محمد ديب، فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور، المكتبة الأزهرية للتراث، 1995.
19. طه وادي ، دراسات في نقد الرواية ، القاهرة ، دار المعارف. 1994.
20. د/ عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنونه. دار الفكر العربي 2010.
21. فن القصة ، محمد يوسف نجم، بيروت، 1979، دار الثقافة.
22. عزيزة مريدن، القصة والرواية ، بيروت ، دار الفكر ، 1980.
23. النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ص 125.
24. د/ محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص 113.
25. نادر أحمد عبد الخالق ، الرواية الجديدة ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2009.
26. جبور، جبرائيل: البدو والبادية، بيروت، دار الملايين ص: 32
27. ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، دار النهضة ، مصر.
28. الحسن، احسان محمد: موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات.
29. صابر، محيي الدين ولويس مليكه: البدو والبدوافة مفاهيم ومناهج ، سرس الليان 1966.
30. الحداد ، محمد وآخرون: تراث البادية ، كويت، 1986.
31. د/ محمد عبد محجوب، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج وتطبيق)، وكالة مكتوبات ، الكويت.

32. د/ ابراهيم عبد الله غلوم، القصة القصيرة في الخليج العربي، دراسة نقدية تحليلية، البحرين، 2000
33. خلف، عبد المالك تميمي، أبحاث في تاريخ الكويت، دار قرطاس للنشر، الكويت، 1998
34. شرق وغرب، رجولة وأنوثة : دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، جورج طرابيش، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى 1977.
35. عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2005، ص 203.
36. "البعد الحضاري في روايات عبدالرحمن منيف"، مقالة منشورة في صحيفة "المدى" في 15 يناير/ كانون الثاني 2011
37. جورج طرابيش، شرق وغرب، رجولة وأنوثة : دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى 1977.
38. عبد الرحمن منيف، قصة حب مجوسية، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الثانية عشر 2008، ص 7.
39. عبد الرحمن منيف، النهايات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.
40. روجر ألن، الرواية العربية، ترجمة: حصة ابراهيم المنيف، مجلس الأعلى للثقافة 1997.
41. إيريك غوتيه، عبد الرحمن منيف : بين التاريخ والخيال، منيف 2008. المملكة المغربية، الدار البيضاء، 2009.
42. عبد المجيد بن الطاهر، مدن الملح وظروف كتابتها، الحدود المغربية، 2009/09/14.
43. طارق علي، وداعا يا عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، ص : 488.
44. الدكتورة ماجدة، إشكالية الأنا والآخر، سلسلة عالم المعرفة عدد مارس/آذار 2013.
45. د/ يوسف القرضاوي. دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية.

الكتب الانجليزية

1. Deconstruction: two edges of a Magian love story, Nisrinejaafar, the MIT Electronic Journal of Middle East Studies, Vol. 7, spring 2007.
2. Abdulrahman Munif: Cities of Salt. Translation, Peter Terroux. New York: Vintage Books, 1987.
3. Monera Nahedh, The Sedentarization Of A Bedouin Community In Saudi Arabia, the university of leeds, department of social policy and sociology, june 1989.

♦♦♦

المجلات

1. منيف، سيرة حياة : مجلة نيولفت ريفو (new left review) العدد : 37، كانون الثاني - شباط 2006 .
2. من عبد الرحمن منيف الى فيصل درّاج، من أجل علم جمال المضطّهدين، مجلة بدايات: فصلية تكافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥ .
3. محمد عبد الرزاق القشعمي ،الجزيرة والخليج العربي .. نصف قرن من النهضة الثقافية، مجلة العربي الثاني عشر 4 – 6 مارس/آذار 2013 بالكويت.
4. فيصل دراج، الثقف الديمقراطي وسياسة الكتابة، بدايات ، العدد 10، شتاء 2015.
5. شاعر عبد الحميد ، مجلة إبداعي ، ع 3 ، يناير 1985م، القاهرة.
6. جمعه الخلفي، مجلة الحرية ، لبنان ، 28 /4 /1991م.
7. د / مجدي وهبه ، مجلة عالم الفكر الكويتية ،ص 4 العدد الثالث ، 1972.
8. فاروق خورشيد : مجلة الكاتب ، مدخل إلى دراسة الرواية المصرية المعاصرة” السنة الخامسة عشرة فبراير 1975 العدد 167.
9. سليمة، الرواية التاريخية بين التأسيس والسيروورة، ، مجلة عود الند، المجلة الثقافية الشهرية، issn 1756 – 4212 العدد 93.
10. فواز طرابلسي، النفط في المِخيال العربي، تقاسيم على مقام السوائل ، مجلة بدايات: فصلية تكافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥ .
11. كلمة العدد، عبد الرحمن منيف، مجلة العربي، العدد 544 ، مارس 2004.
12. طلعت أبو زيد، السلطة والدولة الخليجية في إبداع عبد الرحمن منيف، مجلة الأهرام الديمقراطية.
13. الياس خوري ، بحثاً عن بطل ’مدن الملح‘، مجلة بدايات: فصلية تكافية فكرية، العدد العاشر - شتاء ٢٠١٥ .

♦♦♦

الجرائد

1. عبد الرحمن بسيسو، مفهوم الرواية عند عبد الرحمن منفي، نُشر في الجديد، العدد: 4، في 2015/05/01.
2. د/ نبيه القاسم، 'بموت منيف فقدنا عرّافة العرب وصوت الضمير الحي'، الاتحاد، في 2004 / 02 / 6 .
3. عبد الرحمن منيف في الرواية العربية ، جريدة الحياة ، 26 يناير ، 2004 الرقم : 14914
4. جورج زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية جـ 4 ص 572-573، دار مكتبة الحياة بيروت 1972.
5. "البعد الحضاري في روايات عبدالرحمن منيف " ، مقالة منشورة في صحيفة "المدى" في 15 يناير/ كانون الثاني 2011
6. د/ فرحان اليحيى، البعد الحضاري في روايات عبد الرحمن منيف، صحيفة 'المدى' 15 / يناير / 2011.
7. د/ قيس كاظم الجنابي ، الهوية والحياة في رواية ' قصة حب مجوسية' ، جريدة الاتحاد، 2014 / 8 / 24 .
8. كمال عبد اللطيف، عساف بطل رواية النهايات يعيش بيننا، جريدة الاتحاد الاشتراكي يوم 2014-06-13.

♦♦♦

المقالات من المواقع الشبكية

1. د.حسين جمعة ، أطيف المنطلق والتضاد 'منيف نموذجاً'
<http://www.startimes.com/?t=9322639/20/11/2016>.
2. الادب العربي بعيون المانيا، "مدن الملح" الممنوعة سعودياً مُحْتَقَى بها عالمياً،
<http://www.dw.com>
3. الأستاذة بعيو نورة، عبد الرحمن منيف بين هم الابداع الروائي ومأساة السياسة
وأكذوبة التاريخ.
<http://revue.ummt0.dz/index.php/khitab/article/view>
4. ملحمة روائية...دهاليز المكائد وعالم الحروب، <https://ar.qantara.de>
5. الادب العربي بعيون المانيا، "مدن الملح" الممنوعة سعودياً مُحْتَقَى بها عالمياً،
<http://www.dw.com>
6. محمد العليمي، بحثاً عن متعب الهذال، 18 أغسطس 2014،
<https://www.alaraby.co.uk/books/2014>
7. نادر أحمد عبد الخالق ، الرواية الجديدة ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2009.
www.wikipedia.com
8. <http://alencyclopedia.com> الرواية النفسية. 9 pm . 09/10/2015
9. الموسوعة العربية، (10 am 10/09/2015)
<http://www.arab-ency.com/ar/>
10. نظرة على الوضع السياسي والاقتصادي- الاجتماعي لهم ضمن إطار قيام الدولة
منذ النشأة وحتى ظهور النفط، (on 20/12/2015 2.pm)
<http://myq8history.blogspot.in>
11. عبد الرزاق خلف محمد الطائي، النفط وما أحدثه من تغيرات اقتصادية واجتماعية
في اقطار الخليج العربي، مدرس مساعد مركز الدراسات الاقليمية، جامعة
الموصل، الموصل، العراق.
<http://pulpit.alwatanvoice.com/articles>

13. عماد مطاوع، ملحمة مدن الملح،
www.alexandrie3009.com/vb/showthread.php?4721 on في
- 22/04/15.
14. د/ صالح ولعة، صورة المثقف العربي في روايات عبد الرحمن منيف، الجزائر،
منشورة في www.startimes.com في 2014/06/12.
15. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=40224012/6/1
16. http://www.alwasatnews.com/news/221030.html
17. محمد الشوابكة، السرد المؤطر في رواية النهايات،
http://alghad.com/articles/732549 on 16/10/2015
18. جمعة الحلفي، زاوية - كيف كتب منيف - مدن الملح؟ ، الحوار
المتمدن، 2004- 3- 14- www.ahewar.org/-
19. د/ عمر هشام الشهابي، مدن الملح ، مركز الخليج لسياسات التنمية،
www.gulfpolicies.com
20. د. جميل حمداوي، رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية، مجلة الرافد ،
http://www.arrafid.ae
21. 'الفقر أكثر قسوة في يوم الفقير العالمي' مقالة في رابط
www.diwanalarab.com / spip.php?article11024
22. نهضة الشرق تبدأ بفكّ تحيزات الغرب، مقال منشور في إسلام أون لاين:
www.islamonline.net

♦♦♦

المعاجم

1. الدكتور ميشال عاصي والدكتور إميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في اللغة والأدب، ج - الأول ، 1987، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
2. د/ ميشال عاصي و د/ إميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في اللغة والأدب، ج - 1 ، دار الملايين، بيروت.
3. لسان العرب، جزء 11 ، ص 179، 180.
4. المعجم الوجيز، ص 503.

☆☆☆